أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٩٠٥٩١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في الجمهورية العربية المتحدة
عن عام من مواعيد الاعتماد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
والمدرسون والطلاب نصف هذا المبلغ

الجزء السادس — السنة الخامسة والثلاثون — شعبان سنة ١٣٨٣ هـ - يناير ١٩٦٤ م

الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

بقلم : أحمد حسن الزيات

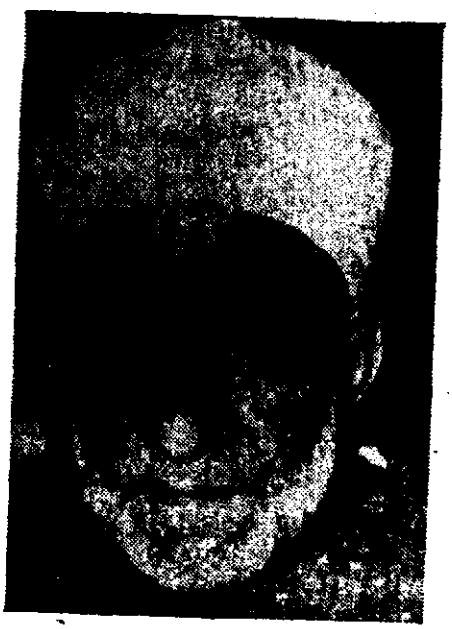

في المزيع الأول من ليلة يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رجب ، وهي ذكرى الليلة المباركة التي أشرقت فيها الأرض بنور الإسراء ، وانطوت السماء على سر المعراج ، صعدت إلى عليين روح طاهرة بارة بعد أن لبثت في دنيا الناس خمسين سنة تشع بالهدى والعلم ، وتنطق بالحكمة والموعظة ، وتهدي بالكتاب والسنة ، لا يصرفها صارف من هوى ، ولا يشغلها شاغل من شهوة ، حتى لقيت ربها لقاء الصالحين وبين يديها سجل حافل بالجهاد الصابر والعمل المثمر والأثر الخالد والألم الممحص ، ومن خلفها ذكر حسن لا ينمحي ، وفراغ واسع لا يمتلئ وأسى ممض لا يخف .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إن فى الناس رجلين يربكان الكاتب إذا حاول أن يكتب عنهما : رجلا لا يستطيع أن يجد ما يقوله فيه ، ورجلا لا يستطيع أن يختصر ما يعرفه عنه . ومن هذا النوع صاحب هذه الروح فقيد الإسلام وشيخ الشيوخ الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت . فقد كان رضى الله عنه من البابة الأولى فى الرجولة ! تجلت فى خلائقه مزايا الإنسان الرفيع ، وتمثلت فى أعماله فضائل المسلم المؤمن ، وجعل عمره كله لله وللعلم فانبث فى عمله روح الصوفى الصالح ، وانطبع فى فكره أثر الحكيم المصلح ، فامتاز فى وقت واحد بعقلية فيلسوف جرىء ونفسية طفل برىء فهو فى الحق عاصفة لا تهدأ إلا إذا انتصر العدل . وفى الخير نفحة لا تسكن إلا إذا انتعش الإحسان . وبهذا الخلق الذى استقام له من الغضب للحق والرضا عن الخير ، جرى فى الاعتقاد على الإخلاص ، وفى القول على الصراحة . وفى العمل على الجرأة ، وفى الرأى على الاستقلال ، وفى الحياة على التمرد . وهذه الخلال فى العلماء ، أشبه بالإرهاص فى الأنبياء ، تبلغ درجة المصلحين فيشعرون بذلك الخلق الروحى المقدس الذى لا يفتأ يساورهم فى كل هم يحاولونه وكل عمل يزاولونه وكل مكان يستقرون به ؛ لأن مبعثه فهم صفاء النفس ولطف الحس ودقة الفطنة . فهم وحدهم يدركون النقص فيرومون الكمال ، ويلحظون الخطأ فيطلبون الصواب ، ويستشعرون الركود فيريدون التحول . ولذلك كان الإمام شلتوت لا يكره طبعه على حال ، ولا يلبس سمعه على رأى ، ولا يملك لسانه عن نقد ، ولا يكف عزمه عن تغيير ، ولا يخزل جهده عن إصلاح .

كانت عدة الجهاد والاجتهاد مجتمعة لديه ، فقد كان واحد جيله فى اكتناه سر العقيدة .. واقتباس نور الشريعة . وكان أفهم العلماء لكتاب الله ، فبراهين قضاياه من قواعده ، وبينات دعاواه من شواهده ، ومضامين مؤلفاته من هديه ، وعناوين مقالاته من آيه وكان من أخلص الدعاة إلى سبيل الله : أيقظ همم للإسلام فقرب عقائده الأفهام بما ألقى من دروس وألف من كتب ونشر من مقالات وأذاع من أحاديث ، وتعمق جذور الأصول فى الفقه ، وتقصى أطراف الفروع فى التشريع ، فوجد فى أقوال الفقهاء على اختلاف مذاهبهم ومدى عصورهم جوابا شافيا عن كل سؤال يخطر على الذهن ، وحلا حاسما لكل إشكال يعرض على المجتمع ، وحكما عادلا فى كل قضية ترفع إلى القضاء . وساعده على ذلك ملكة فقهية تنفذ إلى العلة الباعثة والحكمة المستورة ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومعرفة شاملة بأمور العصر تحيط بالظروف الطارئة والأحوال الداعيـــة ، فاستغنى عن الاجتهاد المبتدع باجتهاد من نوع آخر هو الاجتهاد فى اختيار الرأى المناسب وترجيح الحكم الموفق ، دون أن يتقيد بمذهب من المذاهب ، ولا بإمام من الأئمة ، وإنما يجرى فى فتاواه على أن شريعة الله خالدة ثابتة عامة لا تتأثر بالمكان ولا تتغير بالزمان ولا تتسم بالخصوص ولا تضيق بالحضارة ولا تبرم بالعلم ولا تنبو على التطور ومن هنا واكب الزحف الثورى الاشتراكى فى ميدان الإصلاح العام يؤيده بروح الله ويرشده بنور الله ويقطع عنه ببيانه ولسانه ألسنة الجهل والكيد التى اندلعت من أوكار الرجعية تضل الناس باسم الدين والدين منهم براء !

* * *

كان الإمام محمود شلتوت يرى أن الأزهر معقل الإسلام الحصين وقبلة المسلمين الأخرى ومنشأ الدعاة والهداة والقضاة والمعلمين فى مصر وفى غير مصر . فإذا أصلح على الوجه الذى يريد فقد وضع الطباب على أصل العلة ، واختصر الطريق إلى بلوغ الغاية .

وكان قد سبقه فى محاولة هذا الإصلاح ثلاثة من أبناء الأزهر النابغين ، ولكنهم منوا جميعا بالعجز عنه لاستبداد (القصر) يومئذ بسياسة الأزهر يجريه على هواه وينزله على حكمه فقضى محمد عبده بحسرة من بنى عباس ، ومضى المراغى بخيبة من هوى فؤاد ، وخرج عبد المجيد سليم ينزوة من نزق فاروق ! فاتجه بعقله وقلبه إلى المشاركة فى هذا الإصلاح ، فاتبع الأول وكان ينحرق أسفا على تعويقه عن مقصده ، وأيد الثانى وكان يضيق ذرعا بطول تردده ، وعاون الثالث وكان يرتمض أسى على كف يده ، وكان هو ونفر من إخوانه فى الرأى يجتمعون فى دار (الرسالة) ، فيتشاكون ما حاق بالأزهر من ركود وجمود وانحسار ظله ، ويشفقون على ينبوع الثقافة الإسلامية أن يصد تياره ما ارتكم فى مجراه من الحطام البالى والغثاء الطارئ ، فكتبوا فى الرسالة فصولا فى نقد التعليم الأزهرى كانت مبعث وهى فى نفوس الطلاب ومثار حركة فى قلوب الأساتذة ، وانفرد هو بدعوة الإصلاح الأزهرى بعد فشل دعاته من قبله ، فرسم الخطط وسن المناهج وكتب الرسائل وحبر المقالات وقدم التقريرات ، ثم جعل للإسلام النقى الواضح قولا فى كل مسألة ، ورأيا فى كل معضلة ، وتوجيها فى كل قصد ، تارة بلسانه فى الإذاعة ، وتارة بقلمه فى الصحف ، وكان من أثر مناصرته لسياسة المراغى ومجاهدته فى سبيل الإصلاح ، أن غضب عليه (القصر) فأوعز إلى القائم على شياخة الأزهر يومئذ بفصله من عمله ففصله خمس سنين احتمل فيها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مكاره العيش ومصاعب الرزق بعزة الكريم وأنفة الأبي فلم يهن لما أصابه في سبيل الله ولم يستكن ، حتى انفرجت الأزمة وانكشفت الغمة ، وتولى مشيخة الأزهر الإمام عبد المجيد سليم وهو من إخوانه وأعوانه فرغب إلى فاروق أن يعينه وكيلا له ، فأبى الطاغية إلا إذا تخلى شلتوت عن الخطابة والتدريس في مسجد الأمير محمد علي الصغير بقصر المنيل ، فلما كلمته في ذلك بتكليف من الشيخ الأكبر قال لي في لهجة تنبض بالغضب : لأن أفصل مرة أخرى من الأزهر ، وأعيش مرة أخرى أنا وأولادي في صراع الفقر ، خير لي من أن أساوم على كرامتي وأصالح على هواني ، إن مسجد الأمير الذي أعمل فيه لله وأنا مدرس ، أحب إلي من قصر المليك الذي أعمل فيه الشيطان وأنا وكيل .

وانصرف الشيخ إلى خدمة الإسلام بالتعليم والتأليف ، ومصلحة المسلمين بالتوجيه والتثقيف ، فكان حركة لا تسكن وبركة لا تنقطع ، ولا نظن عالما من علماء العصر بذل من الفكر والجهد في إعلاء كلمة الله ما بذل شلتوت .

لذلك اختارته (ثورة الإصلاح العام) شيخا للأزهر ليدفع به إلى مكانه الخالي من صف القيادة العامة ، ويجمع عليه قلوب المسلمين في أقطار الأرض عامة ، ثم أيدته بالقانون والنظام والمال والرعاية . وتبوأ الإمام كرسي الأزهر الجديد وهو يشكر الله على أن مد في عمره حتى رأى نجاح المسعى وتحقيق الأمل . وكان متمناه الباقي أن يمضي في تطوير الجامع العتيق على النهج الذي أسن والمثال الذي تخيل ، ولكن الداء العياء فاجأه فأضعف من طاقته من جهة العزم ، وإن لم يضعف قيادته من جهة الرأي . فكانت هذه الحال سببا في ازدياد همه ومضاعفة علته .

* * *

كان ذكر الشيخ برياسة العلم وإمامة الدين قد دار على الألسنة وسار في الآفاق ، فكان بريده لا ينقطع بالرسائل ، ومكتبه أو بيته لا يخلو من الزوار ، يفدون إليه من الشرق والغرب اقتباسا من علمه والتماسا لبركته ، سواء في ذلك المسلمون والمسيحيون والرؤساء والملوك والأمراء والعلماء والقادة ، حتى أصبح مقره من المزارات المعدودة التي يحرص على زيارتها كل قادم إلى القاهرة من رجالات العالم ، وتلك عالمية لشيخ الأزهر لم تتح لأحد من قبله .

ومما ساعده على بلوغ هذه المكانة دعوته إلى التقريب بين المذاهب والطوائف ، وعمله للسلام بين الأديان والأمم ، واتساع علمه لتطبيق الشريعة على مقتضيات الأحوال والدواعي ، وانطباع خلقه على أخلاق

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الصالحين فى السلوك والسمت ، وتأثير حديثه الخصب فى مجالسيه بالإيمان والصدق .

كان محدثا فخم الصوت عصبى اللهجة واسع الرواية يمتزج حديثه بأجزاء النفس فلا يملك السامع إلا أن يتشربه بسمعه وقلبه .

وكان خطيبا جهير المنطق حافل الخاطر يضع لسانه من فنون القـــول حيث شاء فلا يتلجلج ولا يتوقف فكان مسجد قصر المنيل يغص بصفوة المثقفين يوم الجمعـــة ليسمعوا خطبته ويحضروا درسه ، كما كان يغص الرواق العباسى بعلية المفكرين ليشهدوا درس الإمام محمد عبده .

وكان مجادلا غزير البحر قوى الحجة بصيرا بمواضع الحق قديرا على استنباط الدليل فلا يسع المجادل إلا أن يسلم بحجته ويصير إلى رأيه : حاجه فى الله عالم طبيعى من أمة (السويد) كان يمج الإلحاد من مسامه ويفرزه فى كلامه ... وكان قبل لقائه الشيخ قد تحدى فلاسفة اللاهوت أن يحملوه على الإيمان بالله فما استطاعوا ، فلما زار القاهرة أراد أن يجرب إلحاده فى شيخ الاسلام فظل يحاوره ويداوره ثلاث ساعات كما روى الشيخ عبد الحكيم سرور مدير مكتب الإمام يومئذ حتى غمره من الشيخ إشعاع الإيمان وإقناع المنطق فرجع إلى الله صاغر العقل أبكم الحجة ، وقام فقبل يد الشيخ وقال له : بقولك اشتفيت وبفضلك اهتديت ، وأصبح منذ ذلك اليوم من أتباعه .

صحبت الفقيد الكريم ثلاثين سنة تمكنت فيها الألفة بينه وبينى . عرفته فى مجلة الرسالة وزاملته فى مجمع اللغة وعاونته فى مجلة الأزهر وبلوته فى حالات أخرى مختلفة فلم أعرف فيه إلا العقل النير بالعلم والقلب العامر بالتقوى ، والنفس الراضية بقضاء الله فيما تحب وتكره .

ابتلاه الله بالفالج وهو فى كمال البنية والعقل فلم يغلبه على الصبر يأس ولم يقعده عن العمل يأس . وإنما ظل على ديدنه يدبر شئون الأزهر ، ويقضى حقوق العلم ، ويغذى نهضة العرب بزاد التقوى كلما حزبهم أمر أو غشيتهم فتنة .

أدركته وعامة من ضعف الإنسان فقال لى فى لهجة تنم على القنوط والضجر : « لقد طال الابتلاء يا زيات ! » فقلت له : هون عليك ! إنك ما دمت تؤدى رسالتك بالعقل الراجح واللسان المبين فلا يهمنا بعد ذلك ألا تلعب الكرة ! فضحك واسترفه وحمد الله .

ولكن المنون كانت تتربص بالمريض القلق ساعة الأجل . فلما جاء أطبقت فمه على الضحكة الأخيرة ، وكفنت جسده بالراحة المقيمة ، وأسلمت روحه ليلة المعراج إلى رضوان الله فى جنة النعيم ... !

أحمد حسن الزيات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المُوفِّقُ المُوفَّق
الإمام المصلح "محمود شلتوت"

للأستاذ عباس محمود العقاد

فى كتابات الإمام الفقيد ـ الشيخ محمود شلتوت ـ كلمات لها طابعها الذى تتميز به بين أمثالها من الكلمات فى كتابات غيره ، ممن ينهضون بأمانة الدراسة الدينية .

ولعل أبرز هذه الكلمات فى كتاباته ، وفى أحاديثه ، كلمة « الشخصية » .

يلحقها بوصف العقيدة ، ووصف الفرائض المقدسة ، بل يجعل العقيدة ـ كما يجعل الفريضة ـ معلماً من معالم شخصية الأمة ، وشخصية الإنسان فى حياته الباطنة وحياته الظاهرة .

قال رحمه الله فى مفتتح مقاله عن رسالة الأزهر إن : « للإنسان فى هذه الحياة فرداً كان أم جماعة شخصيتين ، حسية ومعنوية ، ولا يحظى بالوجود الكامل إلا إذا نال حظه من الشخصيتين . وشخصية الفرد الحسية يكونها اللون والطول والعرض ، وشخصيته المعنوية يكونها إيمانه ومبدؤه وهدفه فى الحياة ، وماله من عقل وتدبير وثبات ومثابرة فى سبيل مبدئه وهدفه » .

ثم قال عن شخصية الأمة الحسية : « إنها ترجع إلى إقامتها فى الإقليم الذى نشأت فيه ، وإلى الأصل الذى تنتسب إليه » . . . « أما شخصيتها المعنوية فهى ترجع إلى روابطها الخلقية والعقلية والشعورية ، وعلى قدر ما يكون لها من التأثر بتلك الروابط المتفاعلة والحرص عليها وعلى معارفها التى تكونها ، وعلى الإيمان بمصدر تلك المعارف ... يكون لها بين الأمم من آثار الوجود المعنوى » .

وكتب عن الصلاة فى فصل من فصول « الإسلام عقيدة وشريعة » ، فقال عنها : « إنها العنصر الثانى من عناصر الشخصية الإيمانية » .

وعلى هذه الوتيرة كانت كلمة « الشخصية » تتردد فى أحاديثه للدلالة على قوام كل « وجود » حق يتميز به عقل الإنسان وضميره فى حياته الروحية ، وهى لمحة من لمحات التعبير الباطنى تدل على معناها وتدل مع هذا المعنى على مقدار شعوره بكرامة الشخصية واقترانها بحق الإنسان وواجبه وبالتبعة التى تناط بها الحقوق والواجبات ، وتقرر له موقفه من

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الشخصيات الإنسانية الأخرى فى إبداء الرأى والاضطلاع بأعباء الدعوة والإقناع .

هذه واحدة من خصال العقل المجتهد ، بل هى أولى تلك الخصال فى كل ترتيب لكفايات المجتهدين . من كان له رأى وعلم ولم يكن له نصيبه الأوفى من هذه الخصلة فلا سبيل له إلى الاجتهاد ، لأنه يلقى العائق الأول عن أداء وظيفة الاجتهاد من قبل نفسه ، ويحجم عن العمل فى سبيله قبل أن يصده غيره عن تلك السبيل .

وتلك هى الخصلة التى توافرت للأئمة الأسبقين من أصحاب الرأى والقياس فى الشريعة ، وبفضل الثقة التى كانت تملأ نفوسهم ، من هذه الخصلة كانوا يقولون لمن يستكثر عليهم التعقيب على أهل العلم من الصحابة والتابعين : إنهم رجال ونحن رجال .

* * *

وإذا اجتمع الاجتهاد فى كلمات معدودات صح أن يقال إنه هو القدرة على الرجوع إلى روح القرآن الكريم ، أو أنه بعبارة أخرى تفسير المذاهب بمعانى القرآن الكريم ، وليس هو تفسير القرآن الكريم بمعانى المذاهب أو بنصوصها أو بأقوال الرواة فيها .

ولقد كان هذا هو إيمان الإمام الفقيد بالكتاب المبين ، وكان هذا هو منهجه فى الاحتكام بالمذاهب إلى آياته وأحكامه ، مستقلة عما يضاف إليها من شروح المختلفين وتأويلات أصحاب الرأى أو أصحاب اللغة من المفسرين .

وقد لخص العالم الفاضل الدكتور محمد البهى هذا المنهج فى تقديمه لتفسير الإمام الفقيد فقال : « التفسير الذى نقدمه اليوم للمسلمين هو تفسير للمسلمين أجمعين ، لا لمذهب معين من المذاهب الفقهية ، ولا لون من ألوان العقيدة الكلامية ولا لاتجاه خاص من اتجاهات أهل الظاهر أو أهل الباطن » .

ثم قال عن المنهج الذى اختاره الأستاذ المفسر واقتدى فيه بالمعلم المصلح العظيم محمد عبده فقال : إنه منهج « جعل السورة وحدة واحدة ، يوضح مراميها وأهدافها وما فيها من عبر ومبادئ إنسانية عامة » ، وأنه لا يقحم فيه القرآن على القرآن من رأى خارج عنه ، أو مصطلح انتزع من مصدر آخر ، فجعل كلمات القرآن يفسر بعضها بعضا كما أطلق الحرية للقرآن فى أن يدلى بما يريد دون أن يحمل على ما يراد .

وبهذه المثابة يصبح تفسير القرآن تفسيراً للمسلمين جميعاً ، وعليه يقام أساس التوفيق بين المسلمين أجمعين ، وهى أمانة لا يضطلع بها غير أهلها من القادرين على الاستقلال بالفهم وعلى مواجهة الخلاف بما ينبغى للمجتهد من الشجاعة الصادقة ووسائل الإقناع

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بإحسان ، وما ينبغي للمجتهد المسلم خاصة من الصمود إلى غاية التعليم ، وغاية المعهد العلمي الذي يتولاه .

وصف الإمام الفقيد رسالة الجامع الأزهر معهد العلم الإسلامي الأكبر .. فقال في بضع كلمات: « إنه معهد الدين وحصن اللغة المكين ».

ومن أراد هذه الرسالة للجامع الأزهر ، فقد عرف من قبل رسالة القرآن الكريم ، بل عرف المعجزة الكبرى لهذا الكتاب في ناحية إعجازه التي لا مراء فيها ، وهي معجزة الأثر الخالد التي نستطيع نحن - أبناء هذا العصر - أن ندركها وأن يكون إدراكنا لها أقوى وأوضح ممن سبقونا إلى العلم بمعجزة الكتاب المبين .

معجزة الأثر في ألف وأربعمائة سنة أقوى وأوضح من معجزته التي شهدها أبناء القرن الأول ثم شهدها أبناء القرون الأولى بعد عصر الدعوة ... فإننا اليوم نستطيع أن ندرك تلك المعجزة التي لا نظير لها والتي تقاصرت عنها الهمم ووقفت دونها دعوات الأفراد والأمم ، وتم بها ما يتم بعمل إله وقول إله ، وهيهات أن يتم بجهد الإنسان بغير معونة الله :

أربعمائة مليون من بني آدم فرقتهم الأجناس واللغات والبقاع والأزمان ، وجمعتهم كلمات القرآن .

وكلمات حفظت اللغة التي نزلت بها وليست هذه اللغة هي التي حفظتها ، ولم يتفق قط للغة من اللغات أن عاشت بكتاب واحد مدى هذه السنين ، فلم تعش لغة اليونان خمسمائة سنة بكتاب هوميروس ، ولم تعش لغة اللاتين بعض هذه السنين بلغة فرجيل وهوراس ، وذهبت لغة فارس ولغة الهند وفيها من الكتب ما لا يقرأه اليوم غير كهان المحاريب ، وماتت لغات أخرى كانت تعيش قبل الإسلام وبقيت لغة القرآن حية في عالم الديانة وفي عالم الكتابة وفي عالم الثقافة ، وستحيا غداً كما حييت بالأمس ، ماشاء الله ، وصح فيها قول الأستاذ الفقيد : « إنها ليست في هذا المقام عربية الإقليم والجو ولا عربية النسب إلى أصل ينتسب إليه الجنس ... وصارت عربية الشخصية المعنوية المكونة من عنصري العروبة والإسلام ... » .

ولما تكلم عن غايته من التعليم في المعهد الأكبر الذي تولاه قال : « نريد تخريج تبريز لأئمة في اللغة وفروعها وأئمة في الفقه وأصوله ، نريده تخريجا أساسه النظر العميق والاجتهاد العلمي الذي يكون الشخصية الفقهية والشخصية اللغوية العربية ، لا نريده تخريجا نلتزم فيه مخلفات الماضي من آراء ومذاهب بل يجب أن نجتهد وأن نؤمن بأن حاجة اليوم في الفقه واللغة وعقائد الدين غيرها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بالأمس ، وأن نؤمن بأن فضل الله فى كل ذلك لم يكن وقفاً على الأولين » .

ونستعير من أسلوب الفقيه فنقول إن الاجتهاد كما أراده «و الاجتهاد بعناصر ، شخصيته ، على تمامها كما ينبغى أن يضطلع به المجتهد فى جميع العصور ، وهو أتم من ذلك بالنسبة إلى عصرنا هذا الذى نعيش فيه ، وبالنسبة إلى العصر المقبل الذى يواجهه المجتهدون عما قريب .

فما من عنصر من عناصر الاجتهاد إلا قد ظهر له فى هذا العصر باعث يستدعيه لم يكن ظاهراً بهذا الجلاء وهذه الضرورة فى عصر من عصوره الماضية .

فها هنا عنصر النظرة الموحدة إلى الكتاب المبين فى العصر الذى ارتفعت فيه حواجز الاستعمار الأجنبى ووجب أن تحل فى مكانها روابط القربى بين أمم الإسلام على تباعد الديار وتباعد الشيع والمذاهب التى لا بقاء لها مع توحيد النظرة إلى كتاب المسلمين أجمعين . .

وهاهنا عنصر اللغة فى عصر النهضة العربية وقوامها كله نهضة الثقافة العربية التى تتحد بها ثقافة الإسلام فى جميع اللغات .

وهاهنا عنصر «الاستقلال» فى عصر الحرية الفكرية أو عصر «الإنسان» الحر فى الجماعة الحرة ، وقد مضت الجماعات فى طريقها إلى الخلاص من طغيان الاستبداد وطغيان الاستغلال .

وهاهنا العصر الذى أصبح فيه معهد الإسلام الأكبر كما قال الشيخ رحمه الله : « يضم السودانى ، والمغربى ، والحبشى ، واليمنى ، والشامى ، والفلسطينى ، والأندونيسى ، والتركستانى ، والسعودى ، والأفغانى ، والتركى ، والروسى ، واليونانى ، واليوغسلافى ، والكردى ، والعراقى ، والكويتى ، والإيرانى والسيامى ، والباكستانى ، والفلبينى ، والملاوى ، والبرمى ، والأردنى ، واللبنانى ، والزنجبارى ، والأوغندى ، والليبى ، والتونسى ، والجزائرى ، والمراكشى ، والأرتيرى ، والسنغالى ، والصومالى ، والنيجيرى » ... إلى غير هؤلاء ممن وفدوا إليه أو يتوافدون مع الأيام بلا انقطاع لا جرم كان من بشائر الأمل - كما أسلفنا فى غير هذا الموضع - أن ينهض الشيخ شلتوت بمشيخة الأزهر فى الزمن الذى تفتحت فيه الطرق بين البلاد الإسلامية بعد أن تحررت من الطغيان الأجنبى عليها وبين هذا المعهد الذى لا معهد فى العالم الإسلامى أولى منه بضم الشمل وتقريب مسافة الخلف بين المسلم والمسلم حيثما كان فى أقاصى البلدان .

« ومن عرف الإمام الفقيد عرف أنه قد تزود لهذه الرسالة بزاد غير هلة الغزير

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وشجاعته الصادقة ، وهو زاد القلب الطيب والسجية الكريمة ، تجمع الخصوم على الألفة والثقة كما تجمع الأصحاب والأنصار » .

ولقد عرفنا الشيخ الأكبر سنوات فى مجمع اللغة العربية فتعودنا أن نعرفه « قرآنيا » فى دراسته لأسرار اللغة ، قبل أن نعرفه « لغويا » فى دراسته لأسرار القرآن ، وكنا نسمعه يقول : « إن القرآن معجز بما هو به قرآن ، ويعنى بذلك نسقه الذى ينتظم ألفاظه ومعانيه ويوحى من معانيها بما ليس فى مفردات الكلم ولا فى أجزائه التى يقتضيها الإعراب فى كل عبارة . . فليست الكلمة الواحدة هى محل الإعجاز ، وليس محل الإعجاز هو الكلمتين أو الكلمات الثلاث التى تتم بها جملة الفعل والفاعل أو المبتدأ والخبر والجار والمجرور أو المضاف والمضاف إليه ، ولكنه نسق دقيق يتخطى لوازم العلاقة بين الألفاظ فى النحو والصرف إلى لوازم العلاقة بين المعنى والوجدان ، وبين الوحى والبصيرة ، بما لا تدركه ولا تبلغ إليه بلاغة الإنسان . وبهذه البصيرة المتفتحة تسنى له أن يفهم القرآن كتابا للمسلمين جميعا يرجعون إليه فيرجعون إلى مصدر واحد يبطل فيه الخلاف ، أو يختلف فيه المختلفون ولكن كما يختلف العقل الواحد بينه وبين نفسه فى وجهات نظره بين حين وحين ، وبين اعتبار واعتبار .

وبهذه النظرة « القرآنية » عمل الشيخ الأكبر فى تنظيمه الدروس بمعاهد التعليم ، كما عمل على هذه الهداية فى علاقته بالأمم الإسلامية وعلاقته ببلاد العرب أجمعين . والجديد فى خطته على هذه الجادة القديمة أنه فهم أن اللغة العربية ، أو اللغة القرآنية ، شىء يتعلمه العربى المسلم كما يتعلمه المسلم غير العربى ، فلم يكن على المسلمين غضاضة فى هذه المساواة الشاملة ، ولم يكن للعربى إيثار على غيره ؛ لأن عروبته فى هذا المنهج هى عروبة القرآن الذى يتساوى فيه المسلم والمسلم من كل جنس ، وبكل لسان

ولئن مضى الإمام المجتهد ولم يعقب برنامجه المفصل للتطبيق الشامل « العملى » فى المستقبل الذى سيواجهنا عما قريب - لقد عمل وعلم وأعقب المثال الذى يهتدى به من عمل معه ومن تعلم على يديه ، ومن يقدر على مجاراته فى اجتهاده والزيادة عليه بما يتهيأ لهم من وسائلهم ولم يتهيأ له فى حياته ، وإنهم لكثيرون بعون الله ، يجزيهم الله وإياه .

عباس محمود العقاد

صفحة بيضاء من جهاد شلتوت

في سبيل الإصلاح الديني، والتقريب بين المسلمين

للأستاذ محمد محمد المدني

في العدد السابع والثلاثين بعد الأربعمائة من مجلة (الرسالة) الغراء (وهو يقع بين أعداد المجلد التاسع منها) ، نجد تنويها باقتراح عظيم خطير الشأن صادر من المغفور له الإمام الأكبر الراحل الشيخ محمود شلتوت ، حينما كان وكيلا لكلية الشريعة في نوفمبر سنة ١٩٤١ قدمه على إثر اختياره عضواً في « جماعة كبار العلماء » .

وهذا نص الاقتراح :

« إن هيئة كبار العلماء ركن مهم من أركان الإصلاح في الأزهر ، بل الذروة التي يجب بلوغها منه ليعود إليه أولئك الفقهاء المحققون ، والمحدثون الثقات ، والمفسرون المطلعون ، واللغويون البلغاء ، والمؤرخون الصادقون ، وأهل الصلاح والتقى .

إن هيئة كبار العلماء هي التي يرجى منها أن تكون تاج الجامعة الأزهرية ، ومن أهلها أن يكونوا أساطين العلم ، وحفاظ الشريعة ، ومقومي لغة القرآن ، لتركن نفوسهم الراجفة إلى حلومهم ، وتهدأ النفوس الراجفة بهديهم وإرشادهم وتطمئن قلوب المؤمنين لقيامهم حفاظاً لليقين ، وحراساً على شريعة النبي الأمين » .

بهذه العبارات الواضحة حددت لجنة إصلاح الأزهر المؤلفة في سنة ١٩١٠ ، الغرض من جماعة كبار العلماء ، وآمال الأمة الإسلامية فيها ، ولم تزل الأمة الإسلامية ناظرة إلى هذه الجماعة الموقرة ترقب منها أن تكون مصدر خير لها في دينها ودنياها ، ترقب منها أن تعمل على إعلاء كلمة الله ، ونشر ثقافة الإسلام ، وحياطتها بما يقويها ، ويدفع عنها غائلة المعتدين . ترقب منها أن ترشدها إلى أحكام الدين نقية مما خالطها من شوائب الابتداع في عقائدها وعباداتها ونظمها ومعاملاتها ، وإني أقترح تحقيقا لهذه الآمال الجسام أن يؤلف لجماعة كبار العلماء مكتب على دائم ، وأن يجعل لهذا المكتب مكان معين معروف ، شأن كل هيئة رسمية وغير رسمية من الهيئات التي تعمل لأغراض خاصة . أما مهمة هذا المكتب بعد إنشائه ، فهي ما يأتي :

(ا) معرفة ما تهاجم به الأديان عامة ، والدين الإسلامي خاصة ، في عصرنا الحاضر ، والرد عليه رداً كافياً مقنعاً بأسلوب ملائم لطريقة البحث الحديث .

(ب) بحث ما يحصل فيه الاختلاف

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بين علماء العصر من جهة أنه بدعة يجب تركها ، أو ليس كذلك ، ووضع الأصول الكفيلة بتمييز ما هو بدعة مما ليس بدعة ، والعمل على نشر كل ذلك ، ليرجع إليه الناس ، وتنقطع به أسباب الفتنة والنزاع بين المسلمين .

(ج) العمل على وضع مؤلف يحتوى على بيان ما فى كتب التفسير المتداولة من الإسرائيليات التى دست على التفسير ، وأخذها الناس على أنها من معانى القرآن ، والتى لا يدل على صحتها نقل ولا يؤيدها عقل ، وهذا يشبه ما قام به رجال الحديث من تجريد الأحاديث الموضوعة فى كتب خاصة يرجع إليها الناس .

(د) إصدار الفتاوى فى الاستفتاءات التى ترد من المسلمين فى جميع الأقطار إلى مشيخة الجامع الأزهر .

(ه) بحث المعاملات التى جدت وتجد فى العصر الحاضر من جهة حكم الشريعة فيها ، حتى يظهر للناس سعة صدر هذه الشريعة ، وقدرتها على تلبية حاجات الناس فى مختلف العصور .

(و) تنظيم طرق الوعظ والإرشاد ، والاتصال بالهيئات المعدة لذلك .

(ز) التنقيب عن الكتب المفيدة فى مختلف العلوم ، والعمل على إحيائها وإخراجها إخراجا علميا متقنا .

(ح) الإشراف على مجلة الأزهر ، والعمل على توجيهها فى طريق تخدم به الحركة الفكرية الإسلامية ، وتبرز به ثقافة الكليات الأزهرية » .

* * *

هذا هو الاقتراح الذى عبر به فضيلة الإمام الأكبر الراحل عما كان يدور بخلده فى جانب من جوانب إصلاح الأزهر ، يعد هو الجانب الأساسى فيما يبتغيه المسلمون منه ؛ ذلك أن الأزهر هو وارث علم الإسلام ، وليس فى هذا العصر جامعة أو معهد علمى ينافسه فى تاريخه العريق ، ولا فى حفاظه على هذا التراث المقدس .

ومن أول واجباته أن يكون دائما على صلة بالحياة وما يجد فيها ، وما يطب به لمشكلاتها ، فعلماؤه هم الذين يستطيعون بدراساتهم العميقة ، وتحليلاتهم الدقيقة أن يطبقوا علم الإسلام ، وقواعد شريعته ، تطبيقا قويما ، وأن يترجموا أفكار الأولين واجتهاداتهم إلى لغة العصر ، وأن يعرضوها على الناس عرضا جميلا ميسراً تدركه العقول ، وترتضيه الأذواق ، وهو فى الوقت نفسه الجامعة المعترف بها من العالم الإسلامى كله ، الموثوق برجالها ، المنظور إليها نظرة الإمامة والقداسة .

فإذا استطاع الأزهر أن ينهض بهذه الأمانة ، ويحمل أعباء هذه الرسالة ؛ واستقر الإيمان بالدين فى نفوس المؤمنين ، واطمأن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الناس إلى أن شريعة الإسلام هي الشريعة الصالحة لكل زمان ومكان .

ولكن جماعة كبار العلماء لم تنهض يومئذ بهذا العبء ، ولم تنشط لتنفيذ هذا الاقتراح ، وظلت جهودها موزعة دون نظام يجمعها ، أو قيادة تدفعها ، وظل المسلمون يشعرون بالفراغ في هذا الجانب .

ولكن الإمام الراحل لم يركن إلى الاستسلام ، فاتجه هو وطائفة من إخوانه العلماء الأقوياء المجددين ، إلى الإسهام في إنشاء (جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية) ومجلتها (رسالة الإسلام) ، وكان في مقدمة الذين اشتركوا في هذه الجماعة — غير الراحل الكريم — منذ تأسيسها المغفور لهم : الشيخ المراغي ، والشيخ مصطفى عبد الرازق ، والشيخ عبد المجيد سليم ، رحمهم الله ، وغيرهم من الذين سبقوا إلى ربهم ، أو ما زالوا على قيد الحياة يجاهدون في الله وفي مقدمتهم سماحة الأستاذ العلامة الشيخ محمد تقي القمي العالم الإمامي الإيراني — أطال الله عمره — ولقد كان من أهم ما لفت أنظار هؤلاء العلماء وإخوانهم أن الخلافات الطائفية والمذهبية ، قد أفسدت ما بين المسلمين ، وجعلت من كل فريق منهم عدوا للآخرين ، يتربص بهم ويتربصون به ، وأن هذه الخلافات بكرت على المسلمين منذ العهد الأول ، فتفرقوا شيعا وكل حزب بما لديهم فرحون ، وأن أكثر ما يدور عليه الخلاف بينهم ، إنما هو في النظريات الكلامية والقضايا التاريخية التي لا شأن لها بالأصول الإسلامية التي يجب الإيمان بها ولا يعتبر المرء مسلما إلا إذا اعتقدها ، ودان الله بها ، وإذا كان الأمر كذلك فلماذا يقاطع المسلمون بعضهم بعضا ولماذا ينظر بعضهم إلى بعض نظرات التوجس والحذر وسوء الظن ؟ ، ولماذا لا يجتمع علماؤهم من كل شعب ومذهب ليدرسوا أحوال أمتهم ، وأصول دينهم ، وتعاليم رسولهم ، وما يستقيم عليه في هذا العالم أمرهم ، في جو من صفاء الأخوة ، وتآلف أهل الإيمان ؟ وإذا كان هناك اختلاف في بعض المسائل الفرعية أو النظرية التي لا يضر الاختلاف فيها ، فلنجتمع حول ما اتفقنا عليه ، وهو الأكثر وليعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه ، وهو الأقل ، ولنعمل جميعا في صف واحد كمسلمين فقط ، لا كشيعة أو سنة أو جعفرية أو زيدية ، ولنتفرغ لإصلاح حال الأمة الإسلامية ، وتصفية بيئاتها من رواسب الماضي التي أدت إلى كثير من الضعف ، وأفسدت كثيراً من المفاهيم ، وخلطت الدين بما ليس منه .

وجد الإمام الراحل في هذه الفكرة متنفسا له ، ووجد في (دار التقريب) ، ومجلتها (رسالة الإسلام) منبراً يرسل من فوقه صيحاته الإصلاحية بعد أن أسهم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى تأسيسها ، وكان من روادها الأولين ، وظل يمدها ، ويستمد منها إلى آخر لحظة من حياته ، مدة تزيد على خمسة عشر عاما ، هى أكثر أعوامه بركة ونشاطا وتوقدا ، ففيها أنشأ تفسيره الذى كان ينشر تباعا فى (رسالة الإسلام) والذى جمعه بعد ذلك وأخرجه فى مجلد كبير .

وهذا التفسير هو نسيج وحده ، فإن الراحل الكريم لم يكن يرمى به إلى شرح مفردات ، أو تفسير آيات ، أو إثارة مشكلات ؛ وإنما كان يرمى به إلى دراسة السور القرآنية دراسة هدفها بيان ما لكل سورة منها من غرض ، وكيف وصلت إلى تحقيق هذا الغرض ، وبيان ما للذكر الحكيم فى كل مجال من آثار بعيدة المدى فى حياة المسلمين ، ومن توجيه راشد إلى التى هى أقوم فى مختلف النواحى السياسية ، والمالية ، والحربية ، والاجتماعية والتشريعية ، ولقد تهيأت للفقيد مع هذا فرصة الاتصال العلمى بكثير من العلماء فى الأقطار الأخرى عن طريق المراسلة والمحاورة ، فاتصل بالمغفور له الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء من كبار علماء العراق وبالمغفور له الشيخ شرف الدين الموسوى ، من كبار علماء لبنان ، وبالإمام الأكبر لعلماء إيران ، وهو المغفور له الشيخ محمد حسين أقا بروجردى ، وغيرهم ، وكان تفسيره وما يكتبه فى مجلة (رسالة الإسلام) من أهم موضوعات الرسائل المتبادلة بينه وبينهم ، كما كان التشاور بينه وبين العلماء فى مختلف الطوائف الإسلامية على توطيد فكرة التقريب ، متصلا لا يكاد ينقطع .

* * *

ومن أهم ما عمل له فضيلته من خلال دعوة التقريب ، ذلك المشروع الجليل الشأن ، الذى يرمى إلى جمع الأحاديث الشريفة المتفق عليها فى كل باب من أبواب العقائد ، والأخلاق والفقه والأحكام ، والأخبار ، مادامت قد وردت من طريق يرتضيه كل من السنة والشيعة ، ويجمعان على لفظه أو معناه .

وقد تحدثت مجلة (رسالة الإسلام) عن هذا المشروع الجليل الشأن فى عددها الخمسين الصادر فى ذى القعدة سنة ١٣٨١ هـ (أبريل سنة ١٩٦٢) حيث تقول :

من الحقائق المقررة التى تؤمن بها ، جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية ، وتعمل على تجليتها للناس ، وتدعو إليها فى كل مجال أن جميع المذاهب الإسلامية تؤمن بالسنة المطهرة كمصدر مقدس من مصادر الشريعة مثلها فى ذلك كمثل القرآن الكريم ، فليس لمسلم أن ينكر حجية السنة شيعيا كان أو سنيا وليس فى هؤلاء وهؤلاء من يقول : هذا الحديث صح وروده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومع ذلك لا أعمل به ولست

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ملزما شرعا بهذا العمل ، ولكن ربما قال قائل من هؤلاء أو هؤلاء : هذه الرواية لم تصح عندى فأنا لا أعمل بها ، وإننا لنرى هذا بين علماء السنة أنفسهم فى مختلف مذاهبهم كما نراه بين علماء الشيعة فى نطاق المذهب ومع المذاهب الأخرى ، فكم من أحاديث صحت عند فقيه ، ولم تصح عند آخر ، وكم من أحكام فقهية خلافية انبنى الخلاف فيها على موقف كل من قبول حديث معين أو عدم قبول .

والواقع أنه لا غضاضة فى ذلك مادام الإخلاص هو رائد الجميع ، ومادام كلهم مؤمنين بالسنة كأصل من أصول التشريع وبأنه لايجوز لمسلم أن يرفض ماصح من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ويتلخص هذا المبدأ المسلم به عند الفريقين فى أن الاختلاف ليس واقعا فى كبرى القياس وإنما يقع أحيانا فى صغراه ، فإذا قلنا فى قياس من الشكل الأول عند المناطقة : هذا الأمر قد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكل ما ثبت عنه يجب العمل به كان معنا مقدمتان : الأولى منهما هى المعروفة عند المناطقة بالمقدمة الصغرى ، والثانية هى المقدمة الكبرى ، فإذا سلمت المقدمتان صحت النتيجة ، وهى : « هذا الأمر يجب العمل به » .

فالمسلمون لا يختلفون فى المقدمة الكبرى التى تقول « كل ما ثبت عن رسول الله يجب العمل به » ، بل كلهم يؤمن بها إيمانا لا يعتريه الشك ، وكلهم يعتبر هذا الإيمان ركنا أصليا من أركان الإسلام ، من شذ عنه خرج من ربقة الإيمان .

لكن الخلاف حين يوجد إنما هو فى المقدمة الصغرى التى تقول « هذا الأمر ثبت وروده » فيقول بعضهم : نعم ثبت فأقبله ، ويقول الآخر لم يثبت فأنا لا أقبله .

ولذلك اشتهر بين علماء المناظرة قولهم فى بعض الأحيان : هذا الخلاف صغروى ، لا كبروى أو خلاف فى الصغرى دون الكبرى .

وهناك حقيقة أخرى نؤمن بها ، ونعمل على تجليتها ، وندعو الناس إلى الإيمان بها .

تلك هى أن العدد الأكبر مما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى شئون العقيدة ، والشريعة ، والأخلاق ، وسائر الجوانب التى جالت فى ميادينها السنة المطهرة قد اتفق عليه كلا الفريقين ، فهو وارد من طريق صحيح يرتضيه كل منهما ، أو وارد من طريقين لهؤلاء وهؤلاء ، تطابقا عليه لفظا أو معنى ، وأنه لا يوجد خلاف إلا فى العدد الأقل من أحاديث الأحكام أو الأخبار وليس هذا العدد الأقل من حسن الحظ فى الأصول الضرورية التى لا يكون المرء مسلما إلا بها ، وإنما هو فيما لا يضر الاختلاف فيه ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وفيما يسع المسلم باعتباره مسلما أن يترخص فيه دون أن ينازِع أو ينازَع .

على ضوء هاتين الحقيقتين المقررتين ؛ رأت « دار التقريب بين المذاهب الإسلامية » أن تقوم بمشروع علمي إسلامي جليل الشأن:

ذلك هو جمع الأحاديث التي اتفق عليها الفريقان في مختلف أبواب الإيمان والعمل والأخبار والأخلاق وغير ذلك من أبواب السنة المطهرة : تجمع الأحاديث المتفق عليها في كل باب ، ويبين مع كل حديث مصدره من كتب السنة ومن كتب الشيعة ، ودرجته عند كل من الفريقين ، ويمكن إصدار ما يتم من ذلك على سبيل التدرج جزأ بعد جزء حتى يكمل المشروع بإذن الله ، ويومئذ يجد فيه المسلمون مرجعا متفقا عليه ، صالحا للاحتجاج به ، والاحتكام إليه .

لقد بذلت في دراسة هذا المشروع جهود كثيرة من رجال التقريب في مصر وغيرها ، استغرقت وقتا طويلا ، وعملت تجارب في مختلف الأبواب والموضوعات، أسفرت عن نتائج تؤذن باستقامة الفكرة وتبشر بنجاحها.

ومن ثم اجتمع في هذا الشهر بمدينة القاهرة قطبان من أقطاب التقريب ، هما السيدان الجليلان : الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت ، شيخ الجامع الأزهر ، والعلامة الحجة الأستاذ محمد تقي القمي السكرتير العام لجماعة التقريب ، واستعرضا الفكرة ، وما قام حولها من بحوث وتجارب وما أسفرت عنه من نتائج ، وما يمكن أن يسلك من الطرق في سبيل تحقيقها ، فاتفقا - والحمد لله - على أن المشروع جدير بالتحقيق، وعلى أن تقوم دار التقريب بخطوات تنفيذه العملية على بركة الله تعالى ، وأن يقوم بذلك رجال من علماء التقريب في مختلف البلاد الإسلامية ، بحيث تقسم أبواب السنة ، ويختص كل جماعة من العلماء بقسم ثم يراجع ما يتم من ذلك أولا بأول في دار التقريب بالقاهرة ، ويبدأ في إخراجه مطبوعا منسقا، إن شاء الله .

ولقد كان من آثار جهاد الفقيد في هذا الجانب أنه عمل على إنشاء (مجمع البحوث الإسلامية) ليكون مرجعا للمسلمين في كل شأن علمي ديني ، وهو إحياء لمشروعه القديم لجماعة كبار العلماء ، غير أنه أفاد من صلاته بمختلف علماء المسلمين عن طريق دعوة التقريب ، فراعى في تشكيله أن يكون ممثلا لجميع المذاهب الإسلامية ، دون فرق بين سنة وشيعة ، ما داموا جميعاً يعتنقون أصول الإسلام الأساسية .

رحم الله الإمام الأكبر ، وأنزله منازل الأبرار في مستقر رحمته ورضوانه ؟

محمد محمد المدني

ملك التتار يعتنق الإسلام طوعًا

للأستاذ محمد رجب البيومى

صدرت كتب مختلفة تتحدث عن التتار وما أحدثوه من فظائع دامية فى تاريخ الأمة الإسلامية وجلها تبدأ بتاريخهم الأول منذ تجمعهم تحت قيادة جنكيز خان ثم تقف عند هزيمتهم فى معركة عين جالوت ، وكان من الأنسب أن تختم بدراسة وافية لاعتناقهم الدين الإسلامى ؟ وكيف تم ذلك فى عصر لم تكن فيه للإسلام سطوة مادية تجبرهم على الانقياد والإذعان ، فقد كانوا فى أكثر وقائعهم ظافرين منتصرين ، ولكنهم أذعنوا طائعين لدين المقهورين المغلوبين ! وتلك عجيبة العجائب حقاً ، لأننا نعهد المغلوب ينضوى تحت لواء الغالب ويسير فى تياره ، أما أن يقدم الغالب عن طواعية إلى اعتناق دين تابعه ، فتلك شهادة مثلى للإسلام ، تؤكد أن مبادئه القويمة تشق بمنطقها العادل طريقها الواضح إلى العقول المنصفة متى سلمت البصائر من الأهواء ! وهى من ناحية أخرى برهان قوى يصفع من يزعمون أن الإسلام قد انتشر عن طريق السيف ! ! ويدعوهم إلى أن يبحثوا مقومات هذا الدين القوى ليدركوا أسباب تفوقه النابعة من هديه المستقيم ، وصراطه الحميد !

ولو أن الصراع الدينى كان إذ ذاك بين ديانة التتار ودين الإسلام وحدهما ، لقلنا إن فساد عقيدة التتار قد مكن للإسلام من الرسوخ إذ وجد الطريق خالية من مزاحم قوى عنيد ! ولكن التاريخ يثبت أن الصراع آنئذ لم يكن بين الإسلام والوثنية وحدهما ولكن المسيحية كانت تقف بأباطرتها وقساوستها ، وطغيانها الصليبى مع الوثنية تجاه الإسلام ؛ إذ تعاون الصليبيون مع التتار على حرب المسلمين ونهضت مصر المؤمنة تحت زعامة الظاهر بيبرس تحفظ كلمة الله فى الناس ، وتهب دماء أبنائها رخيصة هينة فى ذات الله ! وقد استقبل البابا إنوسنت الرابع طغيان التتار على بلاد الإسلام ليجعل منه سلاحا جديداً يسهم معه فى إبادة الإسلام ، فأخذ يرسل سفراءه إلى ملوك المغول مظهرا عواطف الود والتقدير ، بل إن ملك أرمينية المسيحى هيتون كان الحريص الأول على إرسال حملة هولاكو إلى بغداد ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقد ظن بعد سقوطها الرهيب أن أيام الإسلام في الشام ومصر معدودات ، وانطلق النسطوريون في ربوع فارس يبشرون بالمسيحية متذرعين بحماية حلفائهم من رءوس التتار ، وكان لويس التاسع من قبل ذلك يرسل مندوبه وليم روبرك إلى الخان الأعظم يستحثه على مواصلة جهوده في نشر المسيحية واهما أنه قاب قوسين أو أدنى من تنصير المغول ... ولكن الإسلام في سواد هذه المحنة يتألق ويستفيض ، وتكون له الكلمة الأولى في مغول القبيلة الذهبية بالقفجاق ، ثم الكلمة الأخيرة في مغول فارس أعدائه الألداء ويأبى الله إلا أن يتم نوره : قال السير توماس أرنولد نقلا عن ترجمة الدكتور حسن إبراهيم حسن وزملائه في كتاب الدعوة إلى الإسلام بتصرف يسير :

« لا يعرف الإسلام بين ما نزل به من الخطوب والويلات خطبا أشد هولا من غزوات المغول فقد انسابت جيوش جنكيز خان انسياب الثلوج من قنن الجبال ، واكتسحت في طريقها العواصم الإسلامية وأتت على ما كان لها من مدنية وثقافة ، على أن الإسلام لم يلبث أن نهض من تحت أنقاض عظمته الأولى وأطلال مجده التالد واستطاع بوساطة دعاته أن يجذب أولئك الفاتحين المتجبرين ، ويحملهم على اعتناقه ، ويرجع الفضل في ذلك إلى حماسة الدعاة من المسلمين الذين كانوا يلاقون من الصعوبات أشدها لمناهضة منافسين عظيمين هما : المسيحية والبوذية » .

وسنقصر حديث اليوم على أول ملك مغولي اعتنق الإسلام طواعية واختيارا بعد بعد أن درسه دراسة بصيرة ، فكان إسلامه في سلطانه وبيئته وظروف عصره دليلا على أن الإسلام دين الفطرة الخالصة تهتدي إليه النفوس البريئة متى سلمت من أدران التعصب والجمود ، فقد كان الملك بركة خان عاهل القبيلة الذهبية دائب التفكير فيما يعتنقه قومه من أوهام مقدسة لا تنهض على دليل ، فالشامانية وهي دين المغول القديم تعترف بإله عظيم قادر ، ولكنه ينفرد في عزلته تاركا أمر الكون إلى مجموعة من الآلهة الشريرة ذات القدرة على الإيذاء والتمرد ، ويمكن أن تكف عن إيذائها بعض الشيء إذا تقدم إليها سيل من دماء الضحايا والقرابين بين الحين والحين ، وكان السحرة من مدعي الطب والشعوذة هم رجال هذا الدين ممن يقودون النفوس بسيطرتهم الروحية وفق ما تمليه شهواتهم الطامعة ! ولهم في أرواح الموتى اعتقاد بعيد النفاذ فهي في أيديهم كما يدعون يرمون بها إلى من يشذ عن تقديسهم أو يتخلف عن أداء الضرائب المتوالية من المال

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والحيوان والدم أحيانا ، ودين كهذا الدين لا يثبت النقد لدى الباحث المتجرد ، ولكنه عند أتباعه من توارثوه أحقابا متطاولة يحل مكانا راسخا لا تزعزعه الشكوك ! إلا عند من كان له قلب ذكي يجتلي الحقائق الخالصة في ليل حالك الظلمات ! وقد كان بركة خان صاحب هذا القلب الذكي الحصيف . إذ أخذ يتضايق كثيرا بما يزاول قومه من طقوس وعبادات ثم اهتدى إلى بعض شيوخ الإسلام ممن يقومون بالدعوة إلى الله ابتغاء مرضاته ، فاستمع إليه طويلا ، وترجمت له آيات الذكر وأحاديث الرسول وسير الصحابة الفاتحين فشعر باستجابة قوية إلى ما يسمع ، ولكنه تريث كثيرا حتى دعا إليه أعلام الإسلام في فارس ، فأم ساحته أفذاذ من العلماء أمثال نجم الدين كبرى الصوفي الأشهر وتلميذه سيف الدين الباخرزي ، وقطب الدين الرازي وسواهم ممن أخلصوا لله في رأيهم الأقدس فاستطاعوا أن يجلوا محاسن الإسلام ساطعة وضاءة في عين الملك ، وحين اطمأن قلبه إلى دينه بادر بالدعوة إليه في مملكته فأجابه فريق ، ونشز فريق آخر ممن ثبتوا على دين آبائهم ، وكادت تقوم حرب أهلية في مملكته المتحدة لولا حزمه الصارم فقد تهدد المخالفين فاستكان من استكان ورحل من رحل إلى مملكة ابن عمه هولاكو ، ومهما يكن من شيء فقد أسلم الرجل عن اعتقاد وخلص ، فجاء إيمانه ركينا مكينا ، لا تحيط به الشكوك ، ولولا ذلك ما دافع عنه معارضيه في حمية واتقاد ! !

لم يدرس بركة خان الإسلام وحده حين هم بتغيير دينه الأول ، ولكنه التفت إلى البوذية والمسيحية التفات الباحث المختبر فوجد الديانة الأولى لا تحمل عناصر البقاء في رأيه ، أما المسيحية فقد كان سلوك المسيحيين أنفسهم مما يشين به عن اتباعها ، إذ أن الخلافات بين المسيحيين واللاتنيين والإغريق والنسطوريين والأرمن قد امتدت إلى عسكر المغول وشاهد الملك من التناحر المذهبي بين الفرق المتصارعة ما بغض إليه ما يعتقدون ويقول المستر . و . أرنولد في كتاب الدعوة إلى الإسلام ناسبا قوله إلى وليم روبرك ص١٩٣ عن النسطوريين في بلاد الصين مما يجاور المغول : « إنهم كانوا شديدي الجهل لم يستطيعوا حتى فهم كتب صلواتهم المدونة بالسريانية كما يرميهم بالفسق والخمر والجشع وكانت قساوستهم يتجرون بالمناصب الدينية ، ولا يبالون بجمع الثروات من وراء طقوس الكنيسة ويؤثرون جمع المال على نشر تعاليم المسيح » .

وطبيعي أن ينصرف الملك عن دين يتلاعن طوائفه وتتناحر ، متكفرة بعضها البعض ، ثم يتكالب قساوسته على المادة متباغضين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

متنازعين ، ليبحث عن دين يحترمه أتباعه ويفتدونه بالأرواح مخلصين !!

وآية العجب فى بركه خان حقا أن الإسلام قد خلقه خلقا جديداً ، إذ نشأ فى بيئة تعتنق تعاليم « اليساق » وهو الدستور الدموى الرهيب الذى أبدعه جنكيزخان لاكتساح البشرية ، وتقويض الحضارة على أيدى التتار ، فجعل من القتل والإحراق والإبادة والهدم والتخريب وسائل مشروعة لا يختلف فيها اثنان ، فهى حق التتار وحدهم يزاولونه دون تأنيب أو تأثيم ، وما تزال كلمة هذا الطاغية السفاح تدوى فى آذان أبنائه وأتباعه : « إننى نقمة الله على الأرض ولا بد أن الناس يستحقون العقاب ، لأن الله قد ساقنى إليهم » !! أجل كانت تعاليم جنكيزخان أهم المعتقدات التى تلقنها بركة خان فى صغره ، كما تلقنها ابن عمه هولاكو سواء بسواء ، وبتأثيرها المجرم صارت هراة وبخارى وسمرقند وبلخ وغيرها من أمهات مدن آسيا الوسطى خرائب تنعق فيها الغربان ! حتى اضطر ابن الأثير أن يقول وقلبه يتميز من الغيظ : « لقد بقيتُ عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها ، كارها لذكرها ، فمن الذى يسهل عليه أن يكتب نعى الإسلام والمسلمين ؟ ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك ؟ فيا ليت أمى لم تلدنى ، ويا ليتنى مت من قبل هذا وكنت نسيا منسيا » ! !

هذه المعتقدات الحمراء وجدت من روح الإسلام فى نفس بركة خان ما عصف بها عصف الرياح بالهشيم ، فانقلب الرجل منذ اعتنق الشريعة المحمدية إنسانا كاملا ذا خلق وقلب ، ولو كتب الله عليه أن يحتجب عن نور الإسلام لأصبح مثل ابن عمه الطاغية الرهيب ، بل إن اختلافهما فى العقيدة قد عجل بوقوع الحرب بينهما ، وهذا أمر متوقع لا غرابة فيه ، فقد اكتسح الجبار الآثم عاصمة الخلافة العباسية وألحق بغداد بمثيلتها من عواصم فارس ، فأصبحت خرائب دارسة تبكى الحضارة الغاربة والمجد الذاهب ، وتعرض الإسلام حينئذ لمحنته الكبرى حين أخذ الشبح الرهيب يزحف إلى ديار الشام ومصر ، وجاءت الأنباء الدامية إلى بركة خان ، فهاله أن تسقط الخلافة ويقتل أمير المؤمنين فى هوان ذليل ، فجاهر بعداء ابن عمه وأمر أتباعه الذين كانوا بين جيشه الزاحف بالانسحاب من مؤازرته ، فتوجهوا إلى مصر معلنين إسلامهم ، واستقبلهم الملك الظاهر بيبرس استقبال المغتبط الشكور ، ولا مناص من أن نتعرض هنا إلى العلاقة بين البطلين الكبيرين بركة خان والظاهر بيبرس ؛ لندرك نعمة الإسلام فى تأليف القلوب واجتماع الشمل ، « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ... » .

لقد تحالف هولاكو مع الصليبيين على بعد ما بينهما من العقيدة ليقفا معاً أمام جيوش الإسلام فى مصر والشام ، وتدبر الظاهر موقفه الضائق ثم جاءته جنود بركة خان تعلن إسلام العاهل وإيمان الرعية ، فلم تفته الفرصة ، وأقام مشهداً حافلا فى يوم مجموع له الناس ، ثم أعلن بقاء الخلافة العباسية ، وانتقالها إلى مصر إذ قدم إليها أحد أمراء بنى العباس ، « فبايعه السلطان - كما يقول القاضى ابن عبد الظاهر كاتب بيبرس - بعد ثبوت نسبه عند قاضى القضاة تاج الدين بن بنت الأعز وبايعه الأمراء والعامة والتتار الواصلون ثم اجتمع الرسل بالخليفة والسلطان وحملهم السلطان من المشافهة ما فيه صلاح الإسلام وعرف أصحابه التتار أحوال عساكره وكثرتها وما هو بصدده من جهاد وما يبذله من الأموال فى نصرة الدين وقتال الأعداء المشركين » .

ورفت الأنباء فى سمع بركة خان فسر بها سروراً عظيما ، وبادر بتلبية الظاهر فخط إليه كتابا مخلصا قال فيه : « فليعلم السلطان أنى حاربت هولاكو الذى من دمى ولحمى (كذا) لإعلاء دين الله تعصبا لدين الإسلام لأنه باغ ، والباغى كافر بالله ورسوله وقد سهرت قصادى ورسل صحبة رسل السلطان ووجهت ابن شهاب الدين غازى معهم لأنه كان حاضراً فى الموقعة ليحكى السلطان ما رآه بعينيه من عجائب القتال ، ثم ليوضح له أنه موفق للخير والسعادات لأنه أقام إماما من آل العباس فى خلافة المسلمين وهو الحاكم بأمر الله ، فشكرت همته وحمدت الله تعالى على ذلك » .

هذه المعاهدة الشريفة بين الرجلين قد أراحت الإسلام من شر كثير ، حيث قسمت جيش هولاكو إلى قسمين ، قسم يقف أمام جنود بركة بين حدود الجفقاق وفارس وقسم ينازله الظاهر على سواحل الفرات ! وهى فى لبابها معاهدة إسلامية تقوم على العقيدة الحرة فى نصرة الحق ومنازلة الطغيان ، ويقول بعض المؤرخين بأن بركة خان قد نازل ابن عمه لاعتدائه على بعض مواقع مملكته ومنعه من نصيبه فى أسلاب الغزو والقتال ، وقد يكون هذان الحادثان من أسباب العداء بين الرجلين ، ولكن اختلاف الدين قبل كل شئ قد ساعد على اتساع الهوة بين ملك يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وطاغية لايذر من شئ يأتى عليه ! ولسنا نستنبط ذلك استنباطا ، يقوم على الاستنتاج العقلى وحده ، بل نلجأ إلى النص الصريح من كتاب بركة إلى الظاهر إذ يقول فيه : « فليعلم السلطان أنى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

جاربت هولاكو الذى من دمى ولحمى لإعلاء كلمة الله العليا تعصبا لدين الإسلام لأنه باغ » .

ولما كان مغول الجفقاق فى حاجة إلى من يرشدهم إلى تعاليم الإسلام فقد حرص بركة خان أن يستقدم إليه علماء الشريعة من شتى الأقطار ، وأكثر من المساجد والمعاهد . وتسامع به ذوو العلم فأمه أفذاذ الفقهاء من كل صوب ، حتى علماء العربية فى النحو والبلاغة والصرف قد وجدوا لديه على غير معرفة بالعربية ملاذا كريما لأنهم فى رأيه دعاة يخدمون لغة القرآن ، وكان لهم من المكانة ما لعلماء الفقه والتفسير والحديث حتى قال ابن عربشاه عن عاصمة بلاده سراى : إنها « صارت بواسطة هؤلاء السادات مجمع العلم ومعدن السعادات واجتمع فيها من العلماء والظرفاء والأدباء والفضلاء ومن كل صاحب فضيلة وخصلة نبيلة جميلة ما لم يجتمع فى سواها ولا فى جامع مصر ولا فى قراها » .

والجملة الأخيرة لا تخلو من مبالغة طريفة فمصر فى العصر المملوكى كانت المركز الأول للثقافة الإسلامية فإذا استطاعت سراى أن تقرن بها فى رأى ابن عربشاه فذلك فضل كبير لمملكة ناشئة ذات عهد جديد بدينها الحنيف !

وقد رجع رسل الظاهر بيبرس من حاضرة بركة خان يثنون ويعظمون ويذكرون أن لكل أمير من أمراء الملك مؤذنا وإماما ، ولكل خاتون أيضا مؤذن وإمام ، وأن مكاتب الأطفال منتشرة دانية فى تحفيظ القرآن واستظهاره ، وأن عالما مصريا من الفيوم يعيش فى حاشية الملك الكبير ، وقد بسط الدكتور عبد الوهاب عزام رحمه الله حديث بركة خان مع رسل الظاهر بالعددين (٥٥٠ ، ٥٥٣) من مجلة الرسالة وفيهما غناء ومستطاب لمن يحب أن يقف على مكانة هذا العاهل الكبير !

إن الرابطة الإسلامية أقوى الروابط وآكدها بين أبناء الأمة الإسلامية وإن ارتباط بركة خان فى الجفقاق بسياسة الظاهر بيبرس فى مصر ليؤكد أن مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر ، وصدق رسول الله .

محمد رجب البيومى
المدرس الأول بدار المعلمات بالفيوم

مع المعترضين :

ابن قتيبة الناقد

للأستاذ علي العماري

— ١ —

قلت : إن ابن قتيبة كان يستحسن معانى ليست أفكارا ، ولا تنحو منحى أخلاقيا ، وضربت مثلا باستحسانه لأبيات أبى الشيص فى الغزل ، ولها نظائر كثيرة فى كتابه ، على أن ما يستحسنه من شعر الفكرة أو الشعر الأخلاق لا ترده أذواقنا ، بل إنها تستجيده كما استجاده ، وكما أنا نحكم بالجودة على ما استجاده نرد ما حكم بأنه ضعيف أو متخلف ، فليس صحيحا أن ذوق الرجل ضيق كما يرميه بعض معاصرينا .

ولقد استقريت كل الشعر الذى حكم له أو عليه فى كتابه فما رأيتنى أخالفه إلا فى القليل النادر ، وأكبر ظنى أن أحدا من أصحاب الأذواق العربية السليمة لا يخالفه فيما رأى وحكم ، ولكنى أعتقد أن المسألة كما قال هو نفسه حين عرض للخصومة التى وقعت بين مسلم بن الوليد ، وأبى نواس ، وعاب كل منهما بيتا لصاحبه ، فبعد أن ساق القصة قال : والبيتان جميعا صحيحان ، لا عيب فيهما ، غير أن من طلب عيبا وجده أو أراد إضنانا قدر عليه إذا كان متحاملا متجنيا ، غير قاصد الحق والإنصاف .

فالحق أن من كان متمتنا لا يؤثر الإنصاف يستطيع أن يقول ما يشاء ، يستطيع أن يرى أصح الناس ذوقا بأنه سقيم الذوق ، ولا يعوزه أن يجيء بالبرهان ، أى برهان .

لقد استحسن ابن قتيبة هذا البيت — من أبيات — من شعر لقيط بن زراره :

أضأت لهم أحسابهم ووجوههم
دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

فهل هذا البيت من شعر الفكرة ؟ أو من شعر الأخلاق ؟

من الواضح أن ما أعجب ابن قتيبة فى هذا البيت هو هذا التصوير الجميل لشرف

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأحساب ، وكرم الوجوه إذ جعلها تضيء ، وتكشف ظلة الليل حتى يستطيع ثاقب الجزع أن ينظمه فى خيط على ضوء هذه الأحساب ، ونور هذه الوجوه .

ومن ذلك استجادته لبيت الأعشى الذى ذكرته فى المقال السابق ، وهو :

يا خير من يركب المطى ولا
يشرب كأسا بكف من بخلا

فقد وصف المعنى بأنه لطيف ، وفسر هذا المعنى فقال : إن كل شارب يشرب بكفه وهذا ليس ببخيل فيشرب بكف من بخل . فالتصوير هو الذى أعجبه - كما هو واضح - وهذا ما أطلق عليه المتأخرون اسم الكناية .

وقد استحسن هذا البيت من جملة أبيات عابها ، وقال إنه لا يعرف فيها شيئا يستحسن غير هذا البيت ، وهذا موضع من المواضع التى أخالفه فيها فأنا أرى أن هذا البيت أيضا ليس هناك .

وقد حكم لأبيات المجنون المشهورة بالجودة وما أظن أحداً يستطيع أن ينكر جودتها ، معنى ، ومبنى ، ومنها :

إن التى زعمت فؤادك ملها
خلقت هواك كما خلقت هوى لها
حجبت تحيتها فقلت لصاحبى
ما كان أكثرها لنا وأقلها

كما استجاد أبيات طرفة المشهورة من معلقته ومنها :

أرى قبر نحام بخيل بماله
كقبر غوى فى البطالة مفسد
لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى
لكالطول المرخى وثنياه باليد

وما سمعت ولا قرأت أن أحداً عاب هذه الأبيات .

وهل نشك فى أن أبيات ذى الرمة إحدى من أشد الهجاء كما وصفها ابن قتيبة :

وأمثل أخلاق امرىء القيس أنها
صلاب على طول الهوان جلودها
وما انتظرت غيابها لعظيمة
ولا استوذنت فى حل أمر شهودها
إذا ما امرئيات نزلن ببلدة
من الأرض لم يصلح ظهوراً صعيدها

وما زال النقاد والأدباء يستجيدون قول أبى نواس فى رثاء الأمين :

طوى الموت ما بينى وبين محمد
وليس لما تطوى المنية ناشر
وكنت عليه أحذر الموت وحده
فلم يبق من شىء عليه أحاذر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أين عمرت دور بمن لا أحبه
لقد عمرت من أحب المقابر

وقد قال عنها ابن قتيبة إنها من خير شعر أبي نواس .

ومن أحكامه في رد بعض الشعر ما جاء في ترجمة أبي نواس ، وقد عرض لاستحسان النقاد شعراً له ، فقال : ويستحسن قوله :

اسمي لوجهك يا منى صفة
فكفى لوجهك مخبراً باسمي

(اسم أبي نواس : الحسن) ، ثم قال :

لا تغجمي أمي بواحدها
لن تخلقي مثلي على أمي

قال أبو محمد : ولا أرى هذا حسنا ، فهل أخطأ ابن قتيبة في هذا الحكم ؟

الجواب عند أصحاب الأذواق العربية السليمة .

وقد أردت أن أختار ترجمة واحدة في كتاب (الشعر والشعراء) لنرى كيف كانت أحكام هذا العالم ، ففضلت أن تكون ترجمة أبي نواس ، ذلك أنه ربما وقع في أذهان الذين يحكمون بقراءة المقدمات وبمعرفة عابرة بحياة المؤلف وصاحب الترجمة أن ابن قتيبة العالم السني ، المفسر ، الفقيه ، لا يرضى عن شاعر ماجن كأبي نواس ، ولا ينصفه ، ولا يعجبه من شعره شيء ، لأنه - في نظرهم - لا يرضى إلا عن شعر الفكرة وشعر الأخلاق .

حكم ابن قتيبة - أولا - لأبي نواس بأنه من المطبوعين ، وهذا حق ، وبأنه كان متقننا في العلم ، ثم ذكر ما أخذ عليه من خطأ في الوصف ، أو من الإفراط ، أو في التشبيه وهنا جاء بقاعدة من قواعد التشبيه اعتبرها المتأخرون من علماء البلاغة أصلا من أصول هذا الفن ، قال : وأخذ عليه قوله في وصف الدار .

كأنها إذ خرست جارم
بين ذوى تفنيده مطرق

شبه ما لا ينطق أبداً في السكوت بما قد ينطق في حال ، وإنما كان يجب أن يشبه الجارم إذا عذلوه فسكت وأطرق وانقطعت حجته بالدار ، وإنما هذا مثل قائل قال : مات القوم حتى كأنهم نيام ، والصواب أن يقول : نام القوم حتى كأنهم موتى .

ثم وصف أبياتا لأبي نواس بأنها مما يستخف ، وعلق عليها قائلا : الشعر يدل على نظره في علم الطبائع .

وذكر بيتا ، وقال إنه لا يعرف معناه ، ولا رأى أحداً يعرف معناه ، وهذا أشد عيب عند رجل يرى أن جودة الشعر في وضوحه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ثم قال عن أبي نواس إنه سبق إلى معان في الخمر لم يأت بها غيره ، وجاء بأمثلة من شعره منها :

لا ينزل الدهر حيث حلت
فدهر شراً بها نهار
حتى لو استودعت سرارا
لم يخف في ضوئها السرار

السرار استسرار القمر ليلة الثلاثين . يقول : هي من ضوئها لو استودعت ما ليس شيئاً لم يخف ذلك في ضوئها ، وهذا من الإفراط .

وبعد أن جاء بأمثلة أخرى ذكر أبياته في تصاوير الكأس ، وهي أبيات مشهورة ، أولها :

تدار علينا الكأس في صعجدية
حبتها بألوان التصاوير فارس

ثم أخذ عليه خطأ لغويا ، حيث استعمل (النزع) مكان (النزوع) في قوله :

فإذا نزعت عن الغواية فليكن
لله ذاك النزع لا للناس

وأخذ في نقد أبي نواس ، فعرض لهذا البيت في الخمر :

لا تشها بالتي كرهت
هي تأبى دعوة النسب

فقال : يريد : لا تطبخها ، فتخرج عن اسم الخمر ، فيقال : مطبوخ أو نبيذ ، أحسبه قال : لا تسمها بالتي كرهت ، فهو أحسن ، وأشبه بالمعنى من تشنها ، فإن كانت الرواية (لا تشبها) فلعله أراد : لا تمزجها بالماء ، فإنها تأبى أن يقال خمر وفيها ماء ، فكأنها ادعت غير نسبها ، وهو معنى حسن .

بعد ذلك جاء ببيتين قال إنهما من خبيث هجائه ، وبين المعنى الذي أشار إليه الشاعر ، ثم ذكر قول أبي نواس في (إبليس) وعلق عليه بقوله : وفي هذا الشعر من جونه أشياء تستغرب وتستخف ، ثم حكم بما يراه من خبر شعر أبي نواس ، ولم يفته أن يدافع عن أبي نواس في أشياء كان يلحن فيها ، ويحتج لصحتها من أشعار المتقدمين .

وقد ألحت الأمور الواضحة في الترجمة ، وتجاوزت أشياء مخافة التطويل ، فهل مثل هذا الناقد في ذاك العصر المتقدم يوصف بأنه ضيق الأفق في النقد ؟

ولنفترض أن ابن قتيبة كان يخطىء في بعض أحكامه ، فهل سلم من هذا الخطأ أحد من النقاد القدامى ، والمحدثين ، من شرقيين وغربيين ؟ إن عبد القاهر الجرجاني ، وهو إمام البلاغيين ، وأرهفهم حسا ، وأسلمهم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ذوقا ، قد وقع فى أشياء ليس هنا موضع تفصيلها .

فمن الإجحاف - فى نظرى - أن يقول الدكتور محمد مندور معلقا على بعض أحكام ابن قتيبة : وهنا نرى ابن قتيبة كعادته يضع المبدأ ثم لا يحسن النظر ، ولا الذوق ، وكما رأيناه يسم الشعر حسب اللفظ والمعنى ثم لا يجيد التطبيق ، ولا يصدق فى الحس .

وقد مررت فى هذا الموضع من كتاب الدكتور مندور بعجيبة لم أشأ أن أمر بها دون أن أسجلها هنا .

أورد ابن قتيبة فى معرض الحديث عن الشعر المتكلف ، وأن من خصائصه إثبات ما بالمعانى غنى عنه ، أورد قول الفرزدق فى عمر بن هبيرة :

أوليت العراق ورافديه
فزاريا أحذ يد القميص

ثم شرحه بقوله : يريد أنه خفيف اليد بالخيانة ، فاضطرته القافية إلى ذكر القميص ثم قال ورافداه دجلة والفرات .

ومن شرح ابن قتيبة تفهم أمرين :

الأول : أنه جعل (أحذ يد القميص) كناية عن خفة اليد بالخيانة .

الثانى : أنه جعل كلمة (القميص) زائدة .

أما الرافدان فقد شرحهما فقط .

وهذا الشرح هو الموافق لما قاله المبرد فى كتابه (الكامل) قال : وقوله : أحذ يد القميص . الأحذ : خفيف اليد ، قال طرفة : (وأتلع نهاض أحذ ململ) وإنما نسبه بالخفة فى يده إلى السرق .

وقد جاء فى (رغبة الآمل) : عن ابن برى : ذهب بعض الناس إلى أن الأحذ المقطوع من الحذ ، وهو القطع ، يريد : قصير اليد عن نيل المعالى (١)

وكذلك شرح أبو العباس المبرد الرافدين بأنهما دجلة والفرات ، ولم يقل هو ولا ابن قتيبة إن اللفظ زائد .

ولكن الدكتور مندورا يقول : ونحن بعد لا نرى إسرافا فى اللفظ ، ولا ضعفا فى الصياغة فى قول الفرزدق : (أوليت العراق : البيت) . ويشرح كلمة (أحذ) التى رواها بالخاء والذال فيقول : خذا الجرح خذيذاً : سال صديده . ثم يقول : فالرافدان يزيدان العراق جمالا وشمراً ونبلا ، وليسا من الحشو فى شىء ، وإنما هو الفرزدق الشاعر ، الدقيق الحس ، الخبير بطبيعة الشعر ولغة الشعر ، قد عرف كيف يرفع من قدر العراق ، ويضفى عليه جلال الشعر بهذين الرافدين ، وعجز ابن قتيبة عن إدراك ذلك

(١) ج ٦ ص ٢٢٨ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فحسبه حشوا ، وهى بعد ظاهرة يعرفها أجود الشعر وأخلده ، فالشعر لا يقصد إلى مجرد تحديد المعنى حتى يقال إن الرافدين جزء من العراق أو هما العراق فوجب حذفهما ، لأنهما لا يضيفان جديداً إلى المعنى ، وإنما الشعر نشر روح ، وتحريك خيال ، وبعث إحساس ، وكم فيه من صيغ جميلة لا تسعى إلى غير هذا ، وأما (أخذ يد القميص) فكناية جميلة لم يفطن إلى روعتها ابن قتيبة ، وهل أدل على الخيانة من أن تكنى عنها بيد قميص يقطر صديداً ، وهل أقوى من هذه العبارة ؟ ومع ذلك يقول ابن قتيبة إنها حشو.

وموضع العجب عندى أن الدكتور هول فى غير موضع للتهويل ، وأنه حمل الكلام العربى كناية لا يعرفها العرب .

فابن قتيبة شرح الرافدين ، ووافقه على هذا الصنيع زميله المبرد ، وليس فى النسخة التى بين يدى من الشعر والشعراء أن الرافدين من الحشو ، فإذا كانت عند الدكتور نسخة أخرى وفيها هذا الحكم من ابن قتيبة فما أظن أن كلمة (الرافدين) فى هذا البيت تستدعى كل هذا التهويل ، الذى (عجز) ابن قتيبة عن إدراكه .

أما أن ابن قتيبة لم يفطن للكناية فبودى ألا أقول إن الدكتور مندورا هو الذى لم يفطن للكناية فى هذا التعبير ، وذنب ابن قتيبة أنه فهم الكلام العربى على وجهه الصحيح ، فالكناية عن خفة اليد . وعن القطع بتقصير الساعد أو قطع يد القميص مشهورة فى كلام العرب ، ولذلك وجدناها فى الكامل للمبرد كما وجدناها فى الشعر والشعراء ، ولا أعرف أن العرب تكنى عن الخيانة بيد قميص يقطر صديداً ! .

وقد نظر ابن قتيبة إلى المعنى اللغوى لكلمة (أخذ) فالأخذ - كما فى القاموس - الخفيف اليد ، ومن هنا حكم بزيادة كلمة (القميص) وقال : إن القافية هى التى اضطرت الشاعر إليها .

وعندى أن الشاعر أراد الكناية عن خفة اليد بقطع يد القميص ، فالكناية بقطع يد القميص ، وعند ابن قتيبة والمبرد الكناية بخفة اليد التى هى معنى كلمة أخذ عن السرقة ، وما قلته تخريج لصنيع الشاعر ، وما قالاه أدق ، وأقرب إلى اللغة .

(الحديث بقية)

على العمارى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

رسالة المسجد في نشر الثقافة والحضارة

للأستاذ أحمد الشرباصي

المسجد هو مركز الإشعاع [١] الأول في الإسلام ، وهو المكان الرئيسي لنشر الثقافة في المجتمع الإسلامي ، وإذا تذكرنا أن الثقافة في الإسلام أساسها ديني ، لأن عمادها هو القرآن الكريم ، ولأن أغلب العلوم الإسلامية بدأت نشأتها لخدمة القرآن ، وتذكرنا أن المسجد هو المعبد الأساسي في المجتمع الإسلامي ، أو مكان العبادة الأول فيه ، إذا تذكرنا هذا وذاك أمكننا بيسر وسهولة أن ندرك أن المسجد هو مبعث الثقافة ومصدر الوعي الروحي والفكري في المجتمع الإسلامي .

والمسجد هو مركز الدائرة في المجتمع الإسلامي أو نقطة الابتداء ، أو بداية الانطلاق في تكوين هذا المجتمع ، ونستطيع أن نلتمس الشواهد على ذلك فنجد منها الكثير ، فهذا مثلا هو المسجد الحرام ، كان نقطة البدء في نشأة المجتمع الحجازي من حوله ، وهذا هو القرآن الكريم يصور ذلك بأبلغ عبارة فيقول: « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين. فيه آيات بينات مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمنا، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين » .

وحينما هاجر الرسول محمد عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة ، كان أول عمل قام به هو تأسيس المسجد النبوي الذي صار للمسلمين معبدا . وناديا ، ودار شورى ومحل اجتماع لشئون الدين وشئون الدنيا ، وحول المسجد أقام الرسول بيوت زوجاته ، وعلى مقربة من المسجد قامت بيوت الصحابة، واتسع نطاق العمران شيئا فشيئا ، وواسطة العقد بينها هو مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام الذي كان بداية انطلاق أو نقطة ارتكاز للمجتمع الإسلامي الوليد .

ولو انتقلنا إلى أرض فلسطين لوجدنا « المسجد الأقصى» يضرب بتاريخ إنشائه وقيامه في أحشاء الماضي السحيق ، ومن حول هذا

---

(١) رجعت في إعداد هذا البحث إلى الكتب التالية : تاريخ التربية الإسلامية ، وتاريخ التمدن الإسلامي ، وتاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى، ومساجد ومعاهد ، ووسائل تقدم المسلمين ، ومساجد ودول ، ودور المساجد التاريخي ، والاسلام والنصرانية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المسجد العتيق قامت البيوت والمنازل والعمائر، فنشأ مجتمع وتمثلت أمة .

وهذه المساجد الثلاثة : مسجد مكة، ومسجد المدينة ، ومسجد القدس، هي المساجد المشهورة المشهوده التي قال فيها رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام : « لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى ببيت المقدس » :

وحينما فتح عمرو بن العاص مصر باسم الإسلام أنشأ أول ما أنشأه مسجده المعروف باسمه فى « الفسطاط » ، وكان ذلك سنة إحدى وعشرين للهجرة ومن حول المسجد نشأت بيوت المجاهدين ، وكأنها حلقات بعضها وراء بعض ، حتى تكونت المدينة وانبسط العمران فكان مجتمع إسلامى جديد عماده وسناده وأساسه هو المسجد .

ولما فتح المسلمون الشام وتوطد فيها حكم الأمويين المزهر أرادوا أن يجعلوا للمجتمع صبغته المتميزة ، فأنشأ الوليد بن عبد الملك المسجد الأموى بدمشق ، فكان نقطة الابتداء والانطلاق فى صبغ المجتمع الإسلامى من حوله بصبغته الخاصة المتميزة ، وأصبح المسجد الأموى فى عاصمة الأمويين الإسلامى كمركز الدائرة التى تلف بإطارها من حوله ، مرتبطة به مرتكزة عليه ، مستمدة منه ، مهتدية بنور ما بثه الإسلام فيه من كلمات الهدى وأشعة التقوى .

وإذا كان الأمويون قد فعلوا هذا فإن العباسيين من ورائهم قد ساروا على الطريقة نفسها ، فهذا هو الخليفة العباسى الأول أبو جعفر المنصور يتولى الحكم ، ويخط رسوما لمدينة بغداد ، ويجعل فى وسطها الجامع العظيم المسمى باسمه ، ثم ينهض بعمائر دار السلام من حول المسجد، فيكون هذا المسجد الجامع نقطة الارتكاز فى مجتمع بغداد وما حولها منذ أنشأها المنصور سنة خمسة وأربعين ومائة للهجرة .

وهذا أحمد بن طولون يقيم لدولة الطولونية فى مصر ، فيجعل شعارها ، وأساس انطلاقها، مسجده الذى أسسه سنة خمس وستين ومائتين للهجرة ، وألقى فيه الربيع بن سليمان أول درس دينى يوم افتتاحه

وهذا هو الجامع الأزهر الشريف الذى نهض ببناؤه سنة إحدى وستين وثلاثمائة ، لقد كان بداية الانطلاق ، أو نقطة البدء فى قيام مدينة القاهرة ، فهذا هو المعز لدين الله الفاطمى يريد أن يبث دعوته الفاطمية فى الديار المصرية ، فيبعث بقائده جوهر الصقلى لفتح مصر ، وما يكاد ينجح فى ذلك حتى يشرع فى إقامة المسجد ، ومن حول المسجد تبتدئ الأبنية والدور ، وإذا مدينة عظيمة عامرة ، تستحق أن يسمى « القاهرة » ! .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ونستطيع أن نتابع بمثل هذا القول أو بقريب منه نقوله عن جامع الزيتونة بتونس ، والجامع الأعظم بقرطبة ، وجامع القرويين بفاس وقبة علي بالنجف ... إلخ .

ومن هذه الإشارات العاجلة إلى ارتكاز المجتمعات الإسلامية التي نشأت في مختلف الأمكنة والأزمنة على المسجد ، يتأكد لدينا أن المسجد فعلا هو مركز الإشعاع الأول بين المسلمين ، وهو نقطة الارتكاز في مجتمعاتهم ، وهو المكان الأساسي للتوعية والتوجيه فيما بينهم .

ولم تكن المساجد دوراً للعبادة فقط ، بل كانت منبعاً للثقافة ، ومصدراً للحضارة ، ولو نظرنا إلى العبادة ذاتها التي تؤدى في الإسلام لوجدناها تنطوي على ألوان من الثقافة ، فهذه هي الصلاة ، وهي الشعيرة الإسلامية والفريضة الدينية التي تؤدى كل يوم وليلة خمس مرات ، تتضمن تثقيفاً وتعليما ، لأن عماد الذكر فيها هو القرآن الكريم ، ففي كل ركعة يقرأ المصلي « فاتحة الكتاب » ، وفيها تعليم وتقويم ، كما يقرأ في كل ركعة من الركعتين الأوليين في الصلاة شيئا من القرآن ، وفي القرآن عقائد ، وتشريعات ، ومعاملات ، وأخلاقيات ، وحديث عن الفرد والجماعة ، والأسرة والأمة ، والبيوع والمعاملات ، وما يحل وما يحرم ، وحدود العلاقات بين الفرد والفرد ، وبين الأسرة والأسرة ، وبين الدولة والدولة ، وبين الحاكم والمحكوم ، وفي هذا كله تثقيف وتعليم .

كما أن الإسلام قد شرع لنا داخل المسجد وسائل للتثقيف فوق تلاوة القرآن وتدبره في الصلاة ، فهناك خطبة الجمعة الأسبوعية ، وهي أشبه ما تكون بالمجلة الأسبوعية ، التي تتحدث عن أمور الإسلام والمسلمين كل جمعة ، وتصور متاعبهم ومطالبهم ، وأمورهم ومشكلاتهم ، وتصف لها الدواء والعلاج من الإسلام ، وهي تلقى باللغة العربية الفصحى ، وهذه الخطبة الفصيحة المتكررة كل أسبوع ، تعود إذن المسلم الكلمة الفصيحة ، وفهم العبارة البليغة ، وبخاصة أن الخطب تعتمد على الكلام الإلهي المعجز : كلام القرآن الكريم ، وعلى أفصح الكلام بعد القرآن ، وهو كلام الرسول عليه الصلاة والسلام ، وعلى آثار السلف الصالح ، وهم أمراء البيان وفرسان المقال .

ولم يقتصر الأمر هنا على خطبة المسجد ، بل هناك خطبة العيدين ، وهناك خطبة الاستسقاء ، وخطبة الخوف والكسوف ، وكل خطبة من هذه الخطب التي تأتي عند كل مناسبة من مناسباتها تتضمن قدراً من الثقافة يعاون على بث أضواء المعرفة بين أبناء المجتمع الإسلامي .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وبجوار هذه الأنواع المختلفة المتكررة من الخطب توجد الدروس الدينية فى المساجد ، وحلقات الوعظ والاستفتاء ، وحلقات تحفيظ القرآن الكريم التى تعقد فى المساجد غالباً ، وهذه كلها تتضمن ألوانا من الثقافة والمعرفة .

وكلما حزب المسلمين أمر يحتاج إلى مشاورة أو مباحثة أو مراجعة ، نادى المنادى بين المسلمين قائلا : « الصلاة جامعة » ، فيكون هذا دعاء إلى الاجتماع فى المسجد ، فيسارع المسلمون بالسعى إليه ، وهناك يتشاورون ويتباحثون ، وفى أثناء ذلك تتلاقح العقول ، ويستعين كل فكر بأفكار الآخرين ، فيكون من وراء ذلك حصاد ثقافى ضخم .

فإذا عرفنا بعد هذا أن المسجد فى عصور الإسلام الزاهرة كان يتخذ مكانا للتعبد ، ومعهداً للتعليم ، وداراً للقضاء ، وساحة لتجمع الجيوش ، وتعيين القواد ، وتسليم الألوية ، وتوجيه المجاهدين ، وموضعاً لاستقبال الوفود والسفراء ، وميدانا للتدريب الحربى أو التمرين الرياضى ، وموضعاً للتمريض ، إذا عرفنا هذا كله ودرسناه بالتفصيل أدركنا الرسالة الثقافية والحضارية والاجتماعية الضخمة التى يقوم بها المسجد فى المجتمع الإسلامى .

ومنذ سنوات قلت فى كتابى « رسائل تقدم المسلمين » عن رسالة المسجد :

« اتسعت رسالة المسجد فى الإسلام أو تعددت ، فهو أولا معهد تؤدى فيه الصلوات ، ويعتكف داخله القانتون والذاكرون والمرتلون لتنزيل ربهم المجيد ، وهو أيضاً مدرسة مفتحة الأبواب ، لا يرد عنها راغب فى علم ، أو طالب لثقافة .

وفى هذه المدرسة الإسلامية يتلاقى أبناء الأمة ، ليفقهوا تعاليم شريعتهم . ويسمعوا سير أجدادهم وبلادهم ، ويتدارسوا ما ينبغى لمجتمعهم وجموعهم . والمسجد أيضاً مبعث وجدان عام ، ومثار عاطفة مشتركة ، فمن فوق منبره ، وفى رحاب ساحته ، يتيسر لهداة الأمة أن يبعثوا مشاعرها ، ويوقظوا أرواحها ، ويوجهوا موكبها نحو ما ينبغى أن يتجه إليه .

ولو طالعنا صفحات تاريخنا الإسلامى المشرق لوجدنا أن الأعمال الكبرى التى تمت فيه قد بدأت الدعوة إليها فى أغلب الأحوال من المسجد ، فيه كانت تعد النفوس ، وتوضع الخطط ، وترسم المناهج ، ويعين الولاة وأمراء الجيوش .

كما كان المسجد يتخذ مجالا للتعليم والتقويم الاجتماعى ، وقاعدة للمطالعة - ولذلك يلحق بكل مسجد مكتبة - ومكانا للتمريض والتطبيب ، وناديا للبحث والمشاورة ، وساحة للتدريب العسكرى وتعليم الجندية ، وداراً للقضاء والفصل فى الخصومات ، وموضعا لتنفيذ الأحكام ، ومظهراً لفن المعمار الإسلامى ، ومنبراً للخطابة والشعر . » إلخ ؟

أحمد الشرباصى

نفحات القرآن

المنافق يحيد عن الحق ويشكك في العدالة

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا ، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون .

١ ـ كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقسم الصدقات يوما بين مستحقيها ، أو كان يقسم الغنائم عقب انتصاره في غزوة حنين . . وكان في الحاضرين منافقون ينتظرون حظهم في العطاء بمقتضى إسلامهم ـ المصطنع ـ

فلما لم يصبهم ما يسد جشعهم قال قائل منهم في حقد مكشوف : اعدل يا رسول الله ، فقال له النبي : ومن يعدل إذا أنا لم أعدل ؟؟ .

أو قال المنافق : هذه قسمة ما أريد بها وجه الله !! ـ كما روى ـ فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ (رحمة الله على موسى ، فقد أوذي بأكثر من ذلك فصبر) .

وعلى أي صورة كان الاعتراض من المنافق والجواب من النبي ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ فقد احتاج عمر ، وهم بقتل المنافق ، وردا لمثله عن البذاءة على الرسول ، والجرأة على الغمز فيه . .

ولكن النبي منع عمر ، وجنح به إلى الملاينة ، وقال له : (دعه ، فإن له أصحاب ، يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) .

يريد الرسول : أن شأن النفاق ـ بذاءة ، وطعن في العدالة ، وتجاهل للحق والإنصاف ، وأنانية عمياء ، وأن هذا المنافق أهون من سواه شأنا ، فهناك من يسبقونه تظاهراً بالإسلام ، وهم أسرع منه إلى الكفر الصراح .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فلا عجب أن يسمع عمر وغيره مثل ما سمع من المنافق أو أشد مما سمع .

ولكن سياسة الإسلام ، ومنهج الدعوة الإصلاحية ألا يضيق صدر الداعي بما يصادفه من خشونة ، وأن يجنح كثيراً إلى الصبر ، والتلطف مع الناس ، حتى تستجيب نفوسهم إلى الاقتناع ، أو يحيق بهم مكرهم السيئ ، فلا تكون لهم معذرة عند الله أو الناس ، ويكون منتهاهم عبرة لغيرهم ويكون التلطف معهم ، والحلم بهم أمارة لدى العقلاء على أن النبي لا يريد بهم إلا خيراً لأنفسهم ، دون تحكم فيهم ، أو إعنات بهم ، فتكون الهوادة الرحيمة معهم وسيلة من وسائل الدعوة إلى الحق .

وإذا لم يفطن إليها البعض ، فسيفطن إليها الكثيرون ، ويدخل الدين عندهم في صدور رحيبة له ، مطمئنة إليه .

وكانت هذه الوسيلة منهج محمد دائما : لولا أن الكافرين به حسبوها ضعفا منه ، وهيبة لهم ، واستمرءوها في العدوان .

فكان لابد من مقاومتهم بما يفهمونه من لغة السلاح والحروب ..

وفي ذكر النبي لموسى وما لقي من عنت قومه توجيه للصحابة والمسلمين إلى أن النفاق غير حديث في أمة محمد ، بل هو أصيل في بني إسرائيل مع موسى ومن جاء بعده حتى نشر الإسلام لواءه فتسرب نفاق بني إسرائيل تحت ظلاله ، وفعلوا ما ملئوا به صفحات التاريخ من مهازلهم المكراء ، إذ نشروا سمومهم في البيئة العربية ، فكان فيها منافقون .

٢ ـ وإنما كانت سياسة الإسلام ألا يقتل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ المنافقين سراعا ، لما أسلفنا من مطاولتهم بالإمهال عليهم ، ومجاراة لهم في تظاهرهم باعتناق دينه ، وحفاظا على السمعة الإسلامية أن تحوم حولها شبهات ..

فإن قتل الواحد منهم قد يتيح للآخرين أن يشنعوا على الرسول بأنه يقتل أصحابه .

وربما أثر هذا التشنيع على ضعاف العقول فيخرجون من الإسلام إن كانوا فيه ، أو ينحازون عنه قبل الدخول ، بسبب هذه الشائعات وتكون هذه فتنة ، أو من قبيل الفتنة في الدين ، والفتنة أشد من القتل أثراً ، وسوء مغبة .

وإنها لقدوة رشيدة لمن أخذ بها في حياتنا العامة ، وسياستنا الاجتماعية ، عند المناسبة اللائقة .

٣ ـ وأنت ترى في موقفنا هذا أن البذاءة زلة فاضحة من زلات النفاق ـ وكثير ما هي ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وترى أنها زلة تتعلق بشهوة البطن، ولا تتعلق بمبدأ : فيكون فيها شيء من التعليل المحتمل .. !!

وهكذا تجد النفاق يثير جذوة الحقد في النفوس المريضة لأتفه سبب، حتى ولو كان السبب مطعما في مأكل، وكان الاعتراض فيه على صنع رسول معصوم عن الهوى، وكان أثر هذا الحق مروقا من الدين كما يمرق السهم من الرمية .

ولو لم يكن النفاق مستحوذا على أهله، لكان القليل من الإيمان كافيا في رد المرء إلى صوابه، وتذكيره أن الأرزاق ليست وراء الجشع والطموح، وأن تقسيم النبي لها برهذاك كان تنفيذاً لما جرى به قدر الله في تحديد النصيب، وأن العطاء من الله لا من غيره .

وأن النبي قاسم عادل في عطاء الله .

وإنكار ذلك، أو تجاهله هو المظهر البغيض من مظاهر النفاق المردى .

على أن هذا الاعتراض من المنافق تجاوزاً للأدب إلى أبعد غاية .

فلم يمتزج به شيء من الحياء، ولو كان الحياء نفاقا وتصنعا كنفاقهم، وتصنعهم في الدين ؟؟! .

فقد كان في الجمع كثيرون يرغبون في وفرة العطاء .

ولكن إيمانهم الحق عصمهم من التبجح ورجع بهم إلى الرضا، والقناعة فرضوا « ما آتاهم الله ورسوله، وقالوا حسبنا الله » ثم علقوا أملهم بالله فيما بعد وقالوا « سيؤتينا الله من فضله ورسوله » ، وجددوا عهدهم بالله فقالوا : « إنا إلى الله راغبون » .

وكذلك يكون الإيمان البرىء من الشوائب ويكون الترفع عن الذبذبة والهبوط وراء المنافع المادية، حتى يكون المرء في وضع إنساني تستريح إليه النفس الكبيرة إلى حد ما.

٤ — ولكن النفاق الديني أو الخلقي إذا دب في النفس كان المقياس المأخوذ به عند المنافق هو منفعته الذاتية الجامحة .

فإن ظفر ولو بغير استحقاق : رضي وابتهج .. وإن حرم ولو لعدم استحقاقه بسبب ما : سخط وأنكر، وسفه، ومرق من دينه ...

لهذا كانت آيات الله ناعية على النفاق وأهله كل بادرة تبدر منه على لسان المرء، أو في عمله، أو في أي ظاهرة شخصية تتعلق به .

فإن كل بادرة من النفاق : قولا، أو عملا أو سواهما : لها مساس مشئوم بنظم الاجتماع في قليل أو كثير .

والله يريد للناس عامة .. وللمسلمين خاصة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مجتمعاً طيباً ، شديد الأركان ، خالصاً من شوائب الفساد ، وعبث المفسدين .

٥ — ولعلك تشهد من سياق الآيات الوفيرة أن الله رمى المنافقين بكل نقيصة حتى ليخيل إليك أن الحديث عنهم بلغ مداه ولكنك تجد القرآن يوجه إليهم الاتهام بالسوء كله ، فى غير تحديد ، فيقول الله تعالى لرسوله : « ولا تزال تطلع على خائنة منهم » فشر هؤلاء المنافقين عند كحديث الأفاعى .

وأكثرية هؤلاء المنافقين قديما وحديثاً هم اليهود وقد حذر الله منهم أكثر مما حذرنا من غيرهم ، فقال لرسوله ، ولكل مخاطب : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا : اليهود ، والذين أشركوا » وعرفنا الله أن الكذب من خصالهم ، الذاتية ، وأنهم كانوا يمعنون فى الكذب فيحلفون الأيمان الأكيدة على براءتهم من النقص ، والنقص شاخص فى كل نبرة من نبرات أصواتهم ، وفى كل خلجة من خلجات صدورهم ، وفى كل ظاهرة مما يصدر عنهم .

وحسبك فى هذا أن الله ذكر عنهم فى سورة التوبة وحدها تسعة ألوان من الحلف .

وانظر الآيات : ٤٢ - ٥٦ - ٦٢ - ٦٧ - ٦٨ - ٧٤ - ٩٥ - ٩٦ - ١٠٧ .

فهل ترى بعد ذلك البيان فى كتاب الله أن النفاق هين الخطر ، وأن اليهود ، وهم أهله مظنة الخير فى المجتمعات : إلا بقدر ما يستغلون ، وبقدر ما ينفثون من سموم .

٦ — هذا — ونحن فى مجتمع أصيل فى تدينه .

ولكنا بيننا بالقرب من اليهود : قديما وحديثاً ، فتسربت إلينا ألوان من نزعاتهم ، وغدونا نتعثر فى تقاليد نفاقهم ، حتى صار طابعا ظاهراً فى مسلك بعضنا أن يسخط على كثير من شئون الحياة أو يطعن على الزمن فى كل ما يأتى به ، ولا يرضيه من الدنيا إلا أن تكون فى قبضته ناسيا أن هذا بعينه هو النفعية التى دفعت بالمنافقين إلى مساقط الجشع . . وناسيا أنه فى جانب غير جانب الدين وفى عزلة من توجيهات الله .

حتى إذا ظهرت بيننا نزعة إلى الخير ، وانطلق فينا هاتف الإصلاح ، ونهض منا من يؤذن بالدعوة إلى الفلاح : وجدت حوله غبارا يثار ، ووجدت فى سبيله معوقين هنا ، أو هناك . . حتى يشعر المنادى بالإصلاح أنه يعمل فى جبهتين - إحداهما : مقاومة العابثين ، وتنحية المعوقين عن طريقه ، وإسكات المرجفين بين قومهم بالأباطيل التى يضللون بها .

والثانية : إيقاظ الوعى من جديد وتوجيه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

العزائم نحو أهداف الحياة المنشودة ... وفى كلتا الوجهتين يبذل المجاهدون ما يبذلون من تضحيات ، ومتاعب لا يتحملها عادة غير أولى العزم من الرجال الذين تقوم على كواهلهم معالم الحياة فى الأمم الواعية .

أرأيت أن الجهاد الذى تحتاجه حياتنا الحاضرة هو الجهاد الذى ينشده الدين منذ أشرقت شمسه فى دنيانا ؟ .

وإذا كان جهاد الأنبياء قديما وفى حدوده البدائية ، للأخذ بالأمم إلى جانب الهداية ، فإن جهاد المسلمين من أول عصرهم كان لغايات أرفع وأفسح مما سبقهم ، وهو جهاد لتركيز دعوة خالدة ، وإقامة أمة تنهض بدينها فى حياة متجددة ، ناهضة على أوضاع مكفولة البقاء .

هذا هو الجهاد المتماسك فى معنوياته ، وفى وسائله ، وأهدافه ، وفى كل ما يتطلبه الوطن من حصانة بالعلم ، والصناعة ، والأخلاق ، والكفاح ومضاعفة الجهود المتضامنة . .

هذا هو الجهاد المعتبر رسالة ، وأمانة فى ذمة الشعوب الإسلامية ، وبه تسلم الشعوب من عدوان المعادين ، وترهب به الطامعين .

وهذا هو ما نحن بسبيله فى نهضتنا الحاضرة التى بدت طلائعها فى جمهوريتنا العربية .

وهو جانب بل هو أبرز جانب تتلاقى فيه توجيهات الدين للدين وللدنيا جميعا . وما يسوغ أن يتجاهل ذلك إنسان منا .

ولا يسوغ أن نقيس حياتنا فى هذه الفترة بمقياس المنفعة الشخصية ، كما كان يصنع المنافقو ، وكما يفعل ذلك بعض منا ، وهم الأنانيون فيحمدون السوق إذا ربحوا ، ويسخطون إذا لم يأكلوا حتى يشبعوا .

فإن ذلك هو التخاذل .

والحياة إذا تعرضت لهذا التخاذل فهى وشيكة الانهيار .

وتكون الجناية جناية أفراد لا يدينون بدين ، ولا يشفقون على وطن ولا يكترثون بتاريخ .

جدير بهؤلاء الذين يتعامون عن واقع الحياة أن يتبصروا ، ويستجيبوا قبل أن تطويهم الأيام فى غير تكريم لحياتهم ، ولا اكتراث بذكراهم .

ولن يجدوا أمامهم - بعد - غير ظلمات ، وصحائف سوداء - فاللهم طهرنا جميعا من شوائب النفاق ووحد بين قلوبنا على صفاء .

عبد اللطيف السبكى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

شيخي محمود شلتوت

للأستاذ محمود الشرقاوي

بدأنا عامنا الدراسي في « القسم العالي » سنة ١٩٢٨ ونحن نشمخ وتيه ونمرح .

فقد جاء « الإمام المراغي » إلى مشيخة الأزهر ومعه إصلاحاته التي أعلنها في « مذكرته » التاريخية المشهورة ، وزاد شموخنا وتيهنا وفرحنا أن دخلنا فرأينا مجالسنا في داخل الأزهر ، حتى عند القبلة القديمة ، مفروشة « بالسجاد » بعد « الحصير » .

وكان اسم « الشيخ شلتوت » له دوي وضجيج يوم ذاك يصل إلى أسماعنا من تلامذته وإخوانه ، وتراه أعيننا فيما نقرأ له من بحوث تجديدية وفصول إصلاحية على صفحات « السياسة الأسبوعية » رائدة صحافة الفكر والحرية لذلك العهد .

وجلسنا إلى شيوخنا نستمع . ولكن سوء الإلقاء وسوء المنظر عند بعضهم وتشويش المكتب « والملازم » فيما نتلقى من العلم صرفني - أو زاد في انصرافي - عن الإصغاء وعن الاستماع وعن المتابعة . بل عن متعة مادة « الحصة » واسم الكتاب .

ولم يكن اسم « شلتوت » ولا دوي ذكره شفيعين لي لأرفع وجهي ، أو أمد نه سمعي في كل « حصة » - ووقتها كان يمتد إلى ساعتين - لم أكن أرفع رأسي عن كتاب جديد من كتب الأدب ، أو مجلة صدرت من مجلات الثقافة ، وكنت أختار لمجلسي الصف الأخير من « الحلقة » ، حتى أكون بعيداً عن عيون الشيخ .

وفي « حصة » ذات صباح سمعت شيخنا يقطع حديثه في العلم وينادي بصوت غاضب : « إنت يالله هناك » ، « إنت يالله في آخر الفصل ومعاك مجلة » وكرر ذلك مرة ومرة ، وأدركت بعد مرة أو مرتين أني أنا مقصوده ولكني لم أجب ، ولم أرفع رأسي عن مجلة « المقتطف » . فعلا صوته وزادت نغمة الغضب فيه وهو يقول : « إنت يا ... يالله هناك » . فلم أجب ولم أرفع رأسي . عند ذلك نادى « الملاحظ » وأمره بأن يخرج هذا « الولد » ، وجاء « الملاحظ » ليخرجني فأبيت ، وزاد هياجه وغضبه وهم أن يقوم - لا أدري ليجرني بالقوة أم ليترك الدرس غاضبا ، ولكن سمعنا جميعا « التصفيق » الذي كان علامة على انتهاء الدرس ، فانصرف شيخنا وانصرفنا ، ولكن الشيخ مر إلى جانبي مسرعا « وخطف » من يدي المجلة . وكان شيخ القسم العالي يوم ذاك الشيخ الطيب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

القلب عبد المجيد اللبان . وفي ضحى اليوم التالي جاء من يطلبني إليه ، ولم أفزع ولم يخطر ببالي أنه حادث الأمس ، فقد كانت بيننا وبين الشيخ اللبان علاقة ود قديم وخلطة ، وكثيراً ما كان يستدعيني ليسأل عن حالي وحال إخوتي بعد وفاة أبي .

دخلت على الشيخ اللبان حجرة المشيخة في « الرواق العباسي » فحدثني بغضب أبوي عن حادث الأمس ، ثم استبقاني عنده . وبعد قليل دخل شيخنا شلتوت ولم ينظر إليّ . وقال الشيخ اللبان إنه استدعاني ورجا الشيخ شلتوتا أن يحضر لنلتقي عنده ، ونظرت إلى مكتب الشيخ اللبان فوجدت « المقتطف » الذي كنت لم أتم قراءته ولم أكن استطيع دفع ثمنه مرة أخرى . وتوجه الشيخ اللبان حديثه إلى الشيخ شلتوت معرفاً إياه بي ، وأني ابن شيخ له عليهم حق الزمالة والصداقة والأستاذية ، ولا بد أنك تعرفه ، فهو شيخنا الشيخ علي الشرقاوي ، وابنه هذا يجب أن تعرفه وتصفح عنـــه وأن ينتفع بعلم شلتوت ورعايته ، ثم وجه الشيخ اللبان كلامه لي ، أو أمره الأبوي ، قائلا : قبل يد شيخك يا محمود . ولم أبرح مكاني بل أسرعت بجوابي : لا . لا أقبل يد أحد . وجهت الشيخ اللبان وظهر على وجهه الغضب والألم وهمّ بأن ينهرني ويقسو عليّ . ولكن مفاجأة أذهلته وأذهلتني . فقد مد الشيخ شلتوت يده إلي وقد بان على وجهه الرضا بعد التجهم والغضب ، ووجه حديثه إلى الشيخ اللبان يقول : لست غاضبا من رفضه تقبيل يدي . بل لقد أحببته لذلك وسأتخذ منه صديقا . تلامذتي لا أريد منهم ولا أرضى أن يقبلوا يد أحد ، ولو كان شيخهم .

ثم قام وهو يمسك يدي ، فقلت له سأخرج بعد أن يعطيني فضيلة الشيخ اللبان مجلتي لأتم قراءتها فقال : خارج الحصة . ! قلت : خارج الحصة طبعاً . وعاند الشيخ اللبان في إعطائي المجلة ولكني وقفت وألححت ، والشيخ شلتوت واقف إلى جواري ينتظرني . وألقى شيخنا اللبان « المقتطف » إلى نهاية الحجرة فتلقفتها وخرجت مع شيخنا شلتوت وهو ممسك بيدي يضحك .

وبدأت بعد ذلك أستمع إلى حصة علم « الأصول » الذي كان يدرسه لنا من كتاب : « الإحكام في أصول الأحكام » للآمدي . وأحببت منه هذا العلم حتى كنت أعيده لمن تخلف عن الدرس أو لمن قصر به فهمه عن علم شلتوت ووضوح بيانه وغزارة مادته . .

هذه القصة ، التي أعتذر من طولها ، كانت بداية معرفتي بالشيخ شلتوت ، وبداية صلة دامت خمساً وثلاثين سنة كانت بيننا فيها فجوات من الخصام والخلاف وشيء من القطيعة والمغاضبة . ولكني ، أنا وتلامذته وإخوانه ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تعلمنا منه أشياء كثيرة ، وأفدنا منه دروساً وعبراً . وهذه القصة نفسها بعض ما يجب أن نفيد منه فهي درس أراد أن يعلمه لى ولغيرى فى احترام الذات والحرص على الكرامة وتقدير الشجاعة من تلامذته .

كان ذلك فى وقت عرفنا فيه بعض كبار الشيوخ يتحدى تلامذته النجباء فى الامتحان لأنهم لم يتملقوه أو يقبلوا يده .

تعلمنا من شيخنا شلتوت شجاعة القول والكتابة والإصرار على الرأى الذى يعتقده الحق ، عرفنا منه ذلك وهو ينصر الشيخ المراغى فى إصلاحه ، وعرفناه فى موقفه من إباحة الترجمة لمعانى القرآن الكريم ، وأحاديثه عن قصة عيسى وموته ، وفى تقريره حقوق المرأة كما فهمها من الإسلام ، وفى تقريره دراسة الفقه المقارن بعد أن كان بعض رجال الفكر الدينى يسأل عن صلاة الحنفى هل تجوز خلف الشافعى أم لا تجوز ..! وعرفنا شجاعته أكثر من ذلك فى موقفه من بعض المذاهب الإسلامية وحديثه عنها فى مجلة الرسالة (١) .

لسنا جامدين أمام التطور :

كان هذا عنوان حديث صحفى تحدث به شيخنا شلتوت وهو شيخ للأزهر . وهذه المسايرة للحياة والتطور ومطاوعة الشريعة لما كانت منهج حياته كلها منذ نشأ وتعلم وكتب ودرس وحاضر وألف . وكان ، فى مشيخته يحاول بقدر ما يستطيع ، أن يوفق بين هذا المنهج وبين أوضاع المنصب وقيوده ومتطلباته وما يحيط ومن يحيط به من الملابسات والناس وقد عرفت وأدركت أنه لقى من ذلك كثيراً من الحرج والصراع النفسى ، ولو طاوعته ظروف حياته وميول نفسه لكان أكثر جرأة من الشيخ محمد عبده .

وقد كتب مقالا عنوانه « الدين المعاملة » جعل فيه الناس أمام التدين ، ينقسمون إلى طوائف ثلاث طائفة منهم : (ليس لها من التدين إلا كلمة يلوكها لسانه عند المقتضيات والمناسبات ، أو نسبة يعرف بها عند تعداد السكان . وهم بذلك بعيدون عن الدين وعن الانتفاع بهديه والإفادة من ثمراته طول حياتهم ، وسيبعثون بعيدين كذلك عن الدين غير معدودين فى أهله ، ولا مستظلين بظله الظليل يوم لا ظل إلا ظله ، وفى أمثال هؤلاء يقول الله تعالى : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » .

وطائفة ثانية وصفها بأنها : (... ترى

---

(١) مقال : « هل انبعث الأزهر ..؟ » وهى الرسالة الجزء ـ ٣ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أن التدين يقع فى دائرة مادية مرسومة هى : صـــلاة وصوم ، ومهمة وتسبيح ، وسمت خاص ، وزى خاص ، وخطو خاص ، ونظرات خاصة ، وكلمات معينة تقال فى مناسبات ، وتحسر وتباك على الأخلاق التى ضاعت ، وعلى الدين الذى أهمل ، ولوم وتقريع لكل من تحدثه نفسه بالخروج على شئ من المظاهر التى رسموا بها حدود الدين وجعلوها علامة على الإيمان والتدين ... أما من الناحية العملية فتراهم أبعد الناس عن آثار التدين الصحيح ، وأبطأ الناس عن تلبية الدعوة إلى الخير . يقبضون أيديهم عن البذل والعطاء ، ويثقل عليهم أداء الحقوق : «إذا اكتالوا على الناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون» . يقطعون الأرحام ولا يصلون الفقير ولا يخففون عن مكروب ثم يصفهم بأنهم المقصودون بقوله تعالى : «أرأيت الذى يكذب بالدين : فذلك الذى يدع اليتيم . ولا يحض على طعام المسكين . فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراءون ويمنعون الماعون» .

والطائفة الثالثة هم المؤمنون حقا ، الذين : امتلأت قلوبهم بخشية الله وسلطانه ، وظهر أثر ذلك الإيمان فى أخلاقهم ، فلا غل ولا غضب ولا بغضاء ولا شح ولا قطيعة ، ولا جبن ولا أثرة ، هؤلاء هم المؤمنون الذين : «إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون» .

هذا هو الدين : عقيدة نقية ، ونفس سخية ، وأخلاق رضية ، وقلوب وفية»[1] .

• • •

وقد ذكرت هيئات غير إسلامية ، عند نعيه ، أنه كاد أن يبلغ فى عاطفته وفهمه المستوى الإنسانى . وفى ذلك شىء من الصحة ، فبعده عن التعصب كان شاملا فسيحاً ولكن ذلك لم يضعف من قوة العاطفة الإسلامية عنده وقد شهدت واقعة ندرك منها ذلك .

كان ذلك فى بيته بمصر الجديدة ، واستأذن فى الدخول عليه كبير أمريكى من المشتغلين بشئون الشرق والإسلام والأديان . فلما جلس بدأ يحدث الشيخ عن العلاقة بين الإسلام والمسيحية ، وعن العالم الغربى ، وأمريكا خاصـــة ، وعلاقتهما بالبلاد الإسلامية ، ثم قال : إن القرآن الكريم مجد السيد المسيح إلى أبعد غايات التمجيد ، وفى بلده «أمريكا» جمعيات كثيرة ومثقفون كثيرون يريدون أن تقوم علاقة جديدة بين

---

(١) حديث المجلة جريدة «الشعب» فى ٤ سبتمبر سنة ١٩٥٩ . انظر أيضا كتابه : «الإسلام عقيدة وشريعة» ص : ٣٩١ - ٣٩٢ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الإسلام والنصرانية ، أو يقوم على الأقل تمهيد لهذه العلاقة ، وأن هذه الجمعيات وهؤلاء المثقفين يسعدهم أن تكون لشيخ الأزهر وإمام المسلمين مشاركة فى ذلك . ولو كانت هذه المشاركة كلمة صغيرة يعلن فيها أنه يشجع هذا الاتجاه ويباركه ، أو لا يعترض عليه ، وكان المتحدث الأمريكى يتحدث عربية سليمة ويحفظ بعض آيات القرآن فى السيد المسيح .

وبدأ شيخنا شلتوت حديثه ، أو جوابه ، وكانت نبرات صوته تنم عن الغضب ، فقال : ما ذا يراد من شيخ الأزهر أن يقول فى ذلك ، ليس عندى إلا أن أذكر قول الله تعالى : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » ، ثم قال : هذا عن العلاقة بين الإسلام والمسيحية . أما عن العلاقة بين العالم الغربى وأمريكا خاصة ، وبين العالم الإسلامى ، فإنى أترك الحديث فيها لأحد تلاميذى الجالس معنا : محمود الشرقاوى .

وذكرنا قضايا العالم العربى : الصهيونية والجزائر والاستعمار والشر الكثير الذى توقعه أمريكا والعالم الغربى بالمسلمين والعرب وبلادهم .

وقد اختصر الزائر الأمريكى الكبير حديثه ومجلسه بعد ذلك ، واستأذن فى أن يعود مرة أخرى ليتحدث إلى الشيخ الأكبر ، وإلى الشرقاوى ، ولكنه خرج ولم يعد .

* * *

ومما تعلمناه من شيخنا محمود شلتوت الحرص على روابط الزمالة والصداقة : كلما جلست اليه أخذ يحدثنى عن زملائى فى الجلوس اليه ، وعن تلاميذته الذين تقطعت بهم الأسباب وباعد بينهم الزمن ، ويردد أسماءهم وأوصافهم وبلادهم مما كان يحيرنى ويخجلنى حين أجد أنى نسيت كثيرا من هذه الأسماء والبلاد والأوصاف ، وكان حديثه عنهم مفعماً بالفرح والرضى وسعادة الأبوة الصادقة العطوف ، وقد بقى يذكرهم ويتحدث عنهم لم يمنعه من ذلك المرض ولا المنصب ولا تباعد الزمن .

وقد لقى شيخنا شلتوت محنة شديدة من مرضه ، وأخرى يعرفها الخاصة من أبنائه وتلاميذه فصبر على المحنتين صبر الرجال ، حتى اختاره الله والله غالب على أمره ؟

محمود الشرقاوى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عجل الذهب الذي عبده بنو إسرائيل

للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي

نكب بنو إسرائيل الصراط المستقيم، وخرجوا على تعاليم دينهم، في عهد موسى نفسه ومن بعده، وبعث الله فيهم من بعد موسى وهارون عدة رسل وأنبياء يهدونهم سواء السبيل، ويحاولون إنقاذهم مما كانوا يقعون فيه من زيغ وضلال؛ فما كانوا يلاقون منهم في الغالب إلا الإعراض والتكذيب، بل كانوا يلاقون منهم أحيانا التعذيب والتقتيل.

وفي هذا يخاطبهم القرآن الكريم إذ يقول: «أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم، ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون»[1]

ويقول مبينا تكذيبهم للقرآن ولأسفارهم نفسها وتمردهم على الرسول والأنبياء: «وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم، قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين»[2].

ولم يقف بهم الأمر عند حدود المخالفة لأحكام شريعتهم، بل لقد كفروا بإلاههم نفسه، ورجعوا إلى وثنيتهم الأولى أكثر من مرة، وعبدوا العجل وهارون بين ظهرانيهم، وموسى يتلقى الألواح من ربه.

وقد أورد سفر الخروج، وهو أحد أسفار توراتهم المزعومة، قصة عبادتهم لهذا العجل في صورة غريبة تدل على أن محرري هذه الأسفار لا يرعون لأنبيائهم حرمة، ولا يجعلون لهم وقارا، ولا يتورعون عن أن ينسبوا إليهم أية نقيصة، حتى خيانة الرسالة نفسها التي بعثوا من أجلها، ودفع قومهم إلى الشرك بالله، فقد نسب هذا السفر إلى هارون نفسه عليه السلام أنه قد يسر لبني إسرائيل سبيل الشرك ودفعهم إلى الوثنية وعبادة الحيوان والأصنام، فصنع لهم بيديه في سيناء عجلا من ذهب ليعبدوه من دون الله فهو يذكر في إصحاحه الثاني والثلاثين أن موسى لما غادر قومه لتلقي الألواح من ربه، وطال أمد غيابه عنهم، طلبوا إلى هارون أن يجعل لهم إلاها تدركه أبصارهم ويمشي أمامهم، لأنهم لا يعلمون ما انتهى إليه أمر موسى،

---

(١) البقرة الآية ٨٧.

(٢) البقرة الآية ٩١.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولا يدركون الإله الذى يحدثهم عنه ، فطلب إليهم هارون أن يجمعوا له أقراط الذهب المدلاة من آذان نسائهم وبناتهم وغلمانهم فجمعوا له هـذه الحلى ، فصهرها بنفسه وصنع منها عجلا ذهبا ليتخذوه إلاها ، فخر بنو إسرائيل سجداً له ، وقدموا له الأضحية والقرابين ، وقالوا هذا إلاه إسرائيل الذى أخرجهم من مصر .

ولقد أشار القرآن الكريم إلى قصة هـذا العجل إشارة مجملة فى عدة آيات ، منها قوله تعالى : « ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون . وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور ، خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا ، قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم ، قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين » [1] .

وذكر تفاصيلها فى سورتى طه والأعراف مبينا كذب ما نسبه محرر سفر الخروج إلى هارون ، فقرر أن الذى قام بصنع هذا العجل وأغراهم بعبادته وفتنهم عن دينهم فى أثناء غياب موسى عنهم لتلقى الألواح من ربه رجل سامرى ، أى منسوب إلى طائفة يقال لها السامرة وهى جماعة من غير بنى إسرائيل اعتنقت اليهودية وامتزجت بالإسرائيليين ، وكان الإسرائيليون ينظرون إليها على أنها أحط منهم كثيراً قدراً ومنزلة ، أو يرجع أصله إلى إقليم السامرة ، وهو أحد أقاليم فلسطين ، وأن هارون لم يأل جهداً فى نهيهم عن ضلالهم والعمل على رجعهم إلى دينهم الحق ولكنهم لم يستمعوا له ، وأن كل ما أخذه موسى على هارون أنه لم يتركهم ويلحق به ليبلغه ما انتهوا إليه أو لم يقاتلهم بمن عسى أن يكون معه وأن هارون قد برر موقفه بأنه خشى إذا قام بذلك أن يفرق بين بنى إسرائيل ويضرب بعضهم ببعض ، وذلك إذ يقول فى سورة طه :

« ... فكذلك ألقى السامرى ، فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار » ، (أى من الحلى التى أشار إليها فى الآية السابقة ، وهى الحلى التى أهداها إليهم المصريون قبل خروجهم أو التى اختلسوها منهم ، وقد صهرها السامرى على صورة عجل بداخل فمه تجاويف إذا مر فيها الهواء أحدث صوتاً كصوت الخوار) ، « فقالوا هذا إلاهكم وإلاه موسى فنسى . . وقد قال لهم هارون من قبل « يا قوم إنما فتنتم به ، وإن ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى ، قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن ؟! » ، (أى أن تتركهم وتلحق بى أو أن تقاتلهم مع من عسى أن يكون معك) ، « أفعصيت أمرى ؟! قال يابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى ،

(١) الآيات ٩٢ ، ٩٣ من سورة البقرة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إنى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى »[1].

وإذ يقول فى سورة الأعراف : « واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ، ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ، اتخذوه وكانوا ظالمين . . . ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتمونى من بعدى ، أعجلتم أمر ربكم ، وألقى الألواح ، وأخذ برأس أخيه يجره إليه ، قال ابن أم إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى ، فلا تشمت بى الأعداء ، ولا تجعلنى مع القوم الظالمين »[2].

وأما قصة طلبهم من نبيهم أن يجعل لهم إلاها يحسونه وهى التى ذكرها سفر الخروج فى حادث العجل زاعماً أنهم قد طلبوا ذلك إلى هارون ، وأن هارون قد أذعن لرغباتهم الآثمة ، فقد ذكرها القرآن الكريم على وجهها الصحيح فتقرر أن الطلب كان موجها إلى موسى نفسه لا إلى هارون ، وأن موسى قد نهرهم وبين لهم ضلالهم ، وسخافة تفكيرهم ، وسوء فهمهم لذات الإله ، وذلك إذ يقول : « وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر ، فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، قالوا يا موسى اجعل لنا إلاها كما لهم آلهة ، قال إنكم قوم تجهلون . إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال أغير الله أبغيكم إلاها وهو فضلكم على العالمين ؟ ! »[1].

* * *

هذا ، وكثيراً ما كنا نسمع من الألمان فى مرحلة عدائهم لليهود ، وهى المرحلة السابقة للحرب العالمية الثانية فى أثناء الحكم النازى ، دعابة ساخرة يفسرون بها قصة العجل الذهبى الذى عبده بنو إسرائيل ، فكانوا يقولون إن ما عمله هارون كان بناء على اتفاق مع موسى ، وكان غرضهما أن يجمعا من بنى إسرائيل الذهب الذى حملوه من مصر (فكانا فى ذلك — على حد كلام الألمان حينئذ يهوديين أكثر من اليهود) وأن موسى قد تظاهر بالغضب مما فعله أخوه ، وأخذ عجل الذهب وحرقه ونثره ، ولكنهما عادا فجمعا فلزاته ، لأن الذهب لا يتغير ولا يمتزج بغيره ولا يبيد ، وأن اليهود قد وجدوا فى هذا العجل إلاههم الحقيقى الذى لم ينفكوا يعبدونه وهو الذهب الأصفر الرنان !! ...

ولعمرى إن ما ذكره سفر الخروج فى قصة العجل الذهبى هو الذى فسح المجال

(١) الآيات ٨٣ ، ٩٨ من سورة طه .
(٢) الآيات ١٤٨ إلى ١٥٢ من سورة الأعراف .

(١) الآيات ١٣٨ إلى ١٤٠ من سورة الأعراف .

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٢ - لأنه قبلة أبيه إبراهيم أبي الأنبياء وإمام الناس كما يفهم من قوله تعالى : « وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما » .

٣ - لأنه أول بيت جعل متعبداً لله في الأرض كما يفهم من قوله تعالى : « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين » .

٤ - لأن الله جعله حرما آمناً ومثابة للناس كما يفهم من قوله : « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا » .

٥ - لأن الله قرن به الخير واليمن كما يفهم من قوله : « فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » .

٦ - لأن الله سماه البيت العتيق . وجعله بيته كما يفهم من قوله تعالى : « وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود » .

لهذا - ولغيره - كان عليه السلام مع تعظيمه واحترامه لبيت المقدس وإسراء الله به إليه ، يقلب بصره في السماء ويستشرف إليها بالدعاء ، حتى أرضاه الله بالحق الذي يقصده والاتجاه الذي يرجوه ... وكان ذلك في منتصف شهر شعبان كما يذكر الرواة ؟

عبد الرحيم فودة

قال ابن عبد ربه في وصف الحرب :

الحرب رحى ثفالها الصبر ، وقطبها المكر ، ومدارها الاجتهاد ، وثقافها الأناة وزمامها الحذر ، ولكل شيء من هذه ثمرة ؛ فثمرة الصبر التأييد ، وثمرة المكر الظفر ، وثمرة الاجتهاد التوفيق ، وثمرة الأناة اليمن ، وثمرة الحذر السلامة ولكل مقام مقال ، ولكل زمان رجال ، والحرب بين الناس سجال ، والرأي فيها أبلغ من القتال .

نظرات فى الأدب والتصوف :

تطور التصوف

للأستاذ محمد ابراهيم الجيوشى

أشرنا فيما سبق إلى أن حياة النبي صلى الله عليه وسلم فى عزوفه عن الدنيا ، وتركه الطيبات ، وأخذه نفسه بالزهد والتقشف ، وانقطاعه فى كثير من أوقاته للتأمل والتفكر ، كل هذا كان فيه القدوة التى تأثرها زهاد الأمة ، ومن أتى بعدهم من التابعين ، وكانت أنماط الحياة التى ينهج عليها الصحابة وتابعوهم امتداداً لتعاليم النبي عليه السلام ، فلما جاء الصوفية تأثروا هذا الطريق ، وساروا على ذاك النهج ، حتى بلغوا ما بلغوا من نقاء السريرة ، وطهر القلب ، وصفاء النفس ، والقدرة على الكشف ، بفضل ما أخذوا به أنفسهم من الزهد فى الملذات ، والبعد عن الشهوات ، ومحاربة النفس ، والعكوف على التعبد .

التصوف فى القرن الأول والثانى :

ويلاحظ على هذا الزهد أنه كان خاضعا لسلطان الحزن والبكاء ، وهذان يدلان على مبلغ خوفهم من النار وآلامها ، وعلى الندم الناشئ عن معصية الله سبحانه .

ونستطيع أن نقول : إن الطابع العام للزهد فى القرن الأول الهجرى وفى بعض القرن الثانى كان الحزن والخوف وغلبة البكاء ، حتى وجد من عرفوا بالبكائين من زهاد هذا العصر ، وأكبر مثل لذلك فى تلك الآونة الحسن البصرى المتوفى عام ١١٠ هـ ، فقد كانت دعامة الحياة عنده الزهد فى هذه الدنيا والإعراض عن جاهها ، والإقبال على الله ، والتوكل عليه ، والخوف منه ، والتفكر الدائم فيما بينه وبين نفسه ، والتصفح المتصل لما تنطوى عليه النفس من نوازع وأغراض[1] .

فالحسن البصرى يمثل عندى فترة الانتقال من الزهد إلى التصوف ، والتصوير الحق له قول أبى نعيم الأصبهانى فى حلية الأولياء ، حليف الخوف والحزن ، أليف الهم والشجن ، عديم النوم والوسن ، أبو سعيد الحسن ابن أبى الحسن ، الفقيه الزاهد ، المشمر العابد ، كان لفضول الدنيا وزينتها نابذا ، ولشهوة النفس ونخوتها واقذا »[2] .

فى هذا النص تصوير دقيق لمقدار استشعار الحسن رضى الله عنه الخوف ، وأثره فى حياته ، حتى لقد روى أنه رؤى قاعدا كأنه أسير قدم لتضرب عنقه ، وإذا تكلم كأنه يعاين الآخرة ، فيخبر عن مشاهدتها ،

(١) الحياة الروحية فى الإسلام ص ٧٢ .

(٢) حلية الأولياء ص ١٣١ ، ١٣٢ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فإذا سكت كأن النار تسعر بين عينيه [١] ، وعوتب فى شدة حزنه وخوفه ، فقال : ما يؤمنني أن يكون الله تعالى قد اطلع فى على بعض ما يكره فمقتني ، فقال : اذهب ، فلا غفرت لك ، فأنا أعمل فى غير مهمل [٢] .

كل ذلك يصور ما كان عند الحسن من زهد وخوف ، وأنه كان دائب البحث عن خفايا النفس والسعي فى تطهيرها مما يشينها ، مبعدا عنها الغفلة حتى لا تنسى الله تعالى لحظة .

وكان إلى جانب هذا الخوف الذى يمثله الحسن البصرى ، نوع آخر يصحبه بكاء ودموع وخوف أيضا ، ولكنه ليس ذلك البكاء والحزن الناشئ عن الخشية والرهبة ، وإنما كان مبعثه الضيق من كثرة الحجب المتراكمة على النفس ، فتحول بينها وبين مشاهدة الخالق والتمتع بجماله الأزلى ، واجتلاء طلعته الكريمة ، كان حزنا وبكاء يهيجهما الشوق والحنين إلى الله ، فبكاء الأول كان بكاء الخائف ، أما بكاء هذا فبكاء المهجور أو الضياع المحب الذى لم يستطع الوصول إلى من يحب .

وقد غلبت هذه النظرة إبان القرن الثانى للهجرة ، ومن هنا نرى الحياة قد لونت بلون جديد ، وهو الحب للذات الإلهية والهيام بها ، والشوق إلى لقائها .

وقد حمل لواء هذه الدعوة الجريئة ، والنزعة الجديدة شهيدة العشق الإلهى رابعة العدوية ، فترددت فى أقوالها فيما ورد إلينا عنها من نثر و نظم ، ثم شاع فيما بعد على ألسنة الصوفية جميعا .

قال الدكتور محمد مصطفى حلمى : « وكما طبع الحسن البصرى الحياة الروحية الإسلامية فى القرن الأول الهجرى بطابع الزهد والخوف والحزن فقد طبعتها كذلك رابعة العدوية المتوفاة سنة ١٨٥ هـ بهذا الطابع ؛ إذ كانت فى حياتها زاهدة عابدة خائفة حزينة ، باكية ، غير أنها زادت على هذا كله عاملا جديدا ، كان له آثار خصبة قوية فى توجيه الحياة الروحية وجهة جديدة ، وذلك أن رابعة لم تصدر فى زهدها وعبادتها عن الخوف والحزن فحسب ، كما كان يصدر الحسن البصرى وغيره من زهاد عصره ، بل صدرت عن ذلك الخوف والحزن : الخوف من النار ، والحزن مما يحتاج إلى الاستغفار ، وعن الحب : حب الله لما يخصها به من نعمه وآلائه ، وحبها لذاته » [١] .

وهذا التفصيل الذى أورده الدكتور عن حب رابعة هو الذى عبرت عنه فى أبياتها المشهورة .

أحبك حبين حب الهوى
وحباً لأنك أهل لذا كا

(١) الإحياء جـ ٤ ص ١٨٤ .

(١) الحياة الروحية ص ٢٥ . التصوف وفريد الدين العطار ص ٢٥ ، ٢٦ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فأما الذى هو حب الهوى
فشغلى بذكرك عمن سواكا
وأما الذى أنت أهل له
فكشفك لى الحجب حتى أراكا

وصفوة القول : إن رابعة حملت راية الحب الإلهى ، وأسلمتها لمن أتى بعدها من الصوفية فاندفعوا بها فى بحر لجى لا ساحل له حتى غرقوا فى عمقه ، وذابوا فى محيطه ، وقطعوا المسافات الطوال والأشواط البعيدة ، وقد حفلت كتبهم بالتغنى بالحب الإلهى ، وحوت من الطرائف ما يبهج النفس ، ويثلج القلب ، ويشرح الصدر ، وينعش الفؤاد ، وسنفيض فى حديث هذا الحب عندما نتكلم عنه باعتباره مظهراً أدبياً من مظاهر الأدب الصوفى .

وحياة رابعة صورة لما تحس به ، وتصوير صادق لمشاعرها ووجدانها ، فقد حدثوا أنها كانت دائمة البكاء والحزن ، وكانت إذا سمعت ذكر الله غشى عليها زمانا ، وكان موضع سجودها كهيئة المستنقع من دموعها ، كما يروى الشعرانى (١) .

أما حب رابعة فكتب الصوفية حافلة بأخبارها فيه من شعر ونثر ، والحق أن رابعة فتحت فتحا جديداً فى التصوف الإسلامى ، وكشفت فيه عن منبع ثجاج ، لما للحب من سلطان على القلوب ، واستهواء إليها على مدى الأزمان ، ومن قولها فى ذلك :

إنى جعلتك فى الفؤاد محدثى
وأبحت جسمى من يريد جلوسى
فالجسم منى للجليس مؤانس
وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيس

هذه هى السمات الغالبة على التصوف فى أول أمره ، وفى فترة انتقاله من الزهد إلى أن بلغ استقلاله وهى الخوف والحزن والبكاء ثم الحب على يدى رابعة .

التصوف فى القرن الثالث والرابع :

كان التصوف فى القرن الأول والثانى لا يكاد يخرج عن دائرة الكوفة والبصرة ، فلما أقبل القرن الثالث ظهر التصوف فى كثير من الأقطار الإسلامية الأخرى ، والمدن المتعددة كبلخ ، ونيسابور ، ومصر ، والشام ، وبغداد وغيرها من البلدان الإسلامية ، إلا أن بغداد كانت تعد أقوى المراكز الصوفية .

وقد لوحظ على التصوف فى الفترة الماضية ، أنه كان أشبه بعلم الأخلاق ، فكان يتحدث عن الأخلاق الإسلامية وفضائلها وميزاتها فلما أقبل القرن الثالث لم يكتف بذلك ، بل أخذ الصوفية يفيضون فى شرح أحوال النفس الإنسانية ، والكلام عن مداخلها ، وبيان مراتبها ، وتحليلها تحليلا دقيقاً ، على أن الحب كما كان طابع التصوف بعد رابعة العدوية ، ظل كذلك من أهم خصائص التصوف فى القرن الثالث ، وقد دار على

(١) الطبقات الكبرى للشعرانى جـ ١ ص ٧٢ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ألسنة شيوخ الصوفية فى هذا القرن مثل معروف الكرخى ، وقال الجنيد فى المحبة كلاما يعدونه خير ما قيل فيها ، واستعملها ذو النون فى كلامه ، وليس أدل على مبلغ تسلط نظرية المحبة على صوفية القرن الثالث من هذا الكتاب الذى بعث به يحيى بن معاذ إلى أبى يزيد البسطامى المتوفى ص ٢٦١ هـ يقول فيه :

« سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته ، فكتب إليه أبو يزيد : غيرك شرب بحور السموات والأرض ، وما روى بعد ، ولسانه خارج ويقول : هل من مزيد. وأنشد

عجبت لمن يقول ذكرت إلفى
وهل أنسى فأذكر ما نسيت
أموت إذا ذكرتك ثم أحيا
ولولا حسن ظنى ما حييت
فأحيا بالمنى ، وأموت شوقا
فكم أحيا عليك وكم أموت
شربت الحب كأسا بعد كأس
فما نفد الشراب وما رويت(١)

فهذا تسام عجيب فى الحب ، وارتجاء رفيع فى فلسفة المحبة ، فهو يعجب لمن يقول ذكرت إلفى ، وينكر هذا لأن الذكر يعقب النسيان والنسيان لا يليق بالمحبين .

وهكذا تتابعت هذه النظرية ، وتداولتها أذواق الصوفية على مر السنين حتى جاء الحلاج ، وقد خلف فى المحبة وما يتصل بها من حلول واتحاد ، وبقاء وفناء نفحات مشرقة وآثار خالدة ، ولقد بلغ من اهتمامهم بها أن المحاسبى جعل لها فصلا خاصا أشبه ما يكون برسالة صغيرة تحدث فيها عن أصل محبة العبد لربه ، وأن هذا الحب منة إلهية أودع الله بذرتها فى قلوب المحبين .

وإن نظرة فى تاريخ التصوف ترينا أن هذا القرن ظهر فيه مشايخ الصوفية الذين وضعوا معالم التصوف ، وأرسوا قواعده على أساس منظم ، وشرعوا للناس سبيله وأبانوا مناهجه .

ومنهم أبو عبدالله الحارث بن أسد المحاسبى المتوفى سنة ٢٤٣ هـ ومنهم ذو النون المصرى المتوفى سنة ٢٤٥ هـ قال عنه السيوطى إنه أول من تكلم بمصر فى ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية ، ولذى النون كلام كثير يدور حول المعرفة والمحبة ، وله فى المعرفة نظرية خاصة .

وكان لآثاره صدى بعيد فى نفوس من أتى بعده من صوفية المشرق ولا ننسى أن نشير إلى أبى يزيد البسطامى المتوفى سنة ٢٦١ هـ ذلك الصوفى الذى انتهت به أذواقه ومواجيده إلى الفناء عن نفسه والاستغراق فى الله وقد أضاف إلى قاموس الصوفية لفظ السكر فكان لها وللمحبة والحب والعشق أثر بعيد المدى فى التصوف الإسلامى ؟

محمد ابراهيم الجيوشى

(١) رسالة القشيرى ص ١٥٩

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأوزاعي عالم أهل الشام

للأستاذ محمد عبد الله السمان

سواء أكان اسم الأوزاعي نسبة إلى أوزاع وهو بطن من ذي الكلاع من اليمن، أو بطن من همدان، أم نسبة إلى الأوزاع وهي قرية من دمشق على طريق باب الفراديس ...

وسواء أكان الأوزاعي قد ولد في بعلبك وفي عام ٨٨ هـ وتوفي عام ١٥٧ هـ، أم قد ولد ببغداد وفي عام ٩٣ هـ وتوفي عام ١٥٧ هـ.

فإن الذي لا ريب فيه أن الإمام الأوزاعي قد توفي ببيروت وفي قرية على بابها يقال لها حنتوس، ومدفون في قبلة المسجد وأهل القرية يتبركون به إلى اليوم.

والذي لا ريب فيه أيضا، أن الأوزاعي كان إمام يقتدى به كما يقول الإمام مالك، وكان إمام أهل زمانه كما يقول سفيان بن عيينة، وكان، كما يقول يحيى بن معين، أحد العلماء الأربعة الذين أجمع الناس على إمامتهم «الثوري، وأبي حنيفة، ومالك، الأوزاعي».

لقد نشأ الأوزاعي يتيما في حجر أمه، التي كانت تنتقل به من بلد إلى بلد، وتأدب بنفسه وتفقه على كثير من الشيوخ الفقهاء والحفاظ في عصره، حتى ساد سائر البلاد في الفقه والحديث، وحدث عنه مالك والثوري والزهري وغيرهم من الأئمة المشهورين.

وإمامة الأوزاعي في الفقه لا تحتاج إلى تعريف فهو أصحاب المذاهب الفقهية التي سبقت الفقهاء الأربعة المشهورين، وإن كانت مذاهبهم درست وبقي إلى اليوم شيء من آثارها.

يقول الدكتور عمر فروخ في كتابه «تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون» بعد أن تحدث عن أهم المذاهب السائدة إلى اليوم:

«وقد كان لأهل السنة والجماعة مذاهب بادت أي ترك الناس العمل بها، منها: مذهب ابن أبي ليلى المتوفى عام ١٤٨ هـ، ومذهب الأوزاعي المتوفى عام ١٥٧ هـ، ومذهب الثوري المتوفى عام ١٦١ هـ، ومذهب شريك النخعي المتوفى عام ١٧٧ هـ ومذهب سفيان ابن عيينة المتوفى عام ١٩٨ هـ، ثم مذهب أبي ثور المتوفى عام ٢٤٦ هـ».

ولا شك أن مذهب الإمام الأوزاعي كان من أشهر هذه المذاهب، فقد انتشر في الشام، ثم تسرب إلى الأندلس في عهد الحكم الأموي وظل سائدا هناك حتى جاء عهد هشام بن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عبدالرحمن الداخل ، فانتقل إلى الأندلس مذهب الإمام مالك .

ويعتبر الإمام الأوزاعي من أئمة الحديث أيضا ، فقد صنف فيه بالشام ، كما صنف الإمام مالك بالمدينة ، وابن جريج بمكة ، والثوري بالكوفة ، وحماد بالبصرة ، والأوزاعي كتابه « السنن » في الحديث ، كما له كتابه « المسائل » في الفقه .

بل إن الأوزاعي كان من أوائل المصنفين في الحديث في النصف الآخر من القرن الثاني الهجرة بالشام .

وكان يعنى كل العناية بالإسناد ، ومن أقواله المشهورة :

« ما ذهاب العلم إلا ذهاب الإسناد » .

وقد عمد في أواخر حياته - بعد أن كان يملي على طلابه الحديث ويصحح لهم ما يكتبونه عنه ليجزم بروايته - عمد إلى التنفير من الاعتماد على الكتابة ؛ لأنه تشاءم مما سيئول إليه الحفظ ، فلم يسره الميل عن طريق السلف الذين كانوا يتلقون الحديث من أفواه العلماء ، وقال : « كان هذا العلم شيئا شريفا إذ كان من أفواه الرجال يتلقونه ويتذاكرونه ، فلما صار في الكتب ذهب نوره ، وصار إليه غير أهله » (١) .

ونحن إذا تركنا الأوزاعي أحد كبار الأئمة في الفقه والحديث ، فإنما لنعرض الإمام الأوزاعي العالم الذي اجتمعت في شخصه أخلاق العلماء في مثاليتها وعظمتها ، حتى قال بعضهم - كما جاء في الجزء العاشر من البداية والنهاية لابن كثير :

« لم يكن في أبناء الملوك والخلفاء والوزراء والتجار وغيرهم أعقل منه ، ولا أورع ولا أعلم ، ولا أفصح ولا أوقر ، ولا أحلم ولا أكثر صمتا منه ... ما تكلم بكلمة إلا كان المتعين على من سمعها من جلسائه أن يكتبها عنه من حسنها » .

أما شجاعة العالم وهي ألزم ما تكون له ، فقد بلغ الأوزاعي فيها الذروة ، هذه الشجاعة التي قامت عنده على أساسين :

الأول : خشيته لله وحده ، حتى قال بشر بن الوليد : « رأيت الأوزاعي كأنه أعمى من الخشوع » .

الثاني : تعففه عن دنيا الناس ، حتى حدث عنه ابنه محمد فقال : « قال لي أبي : يا بني ، لو قبلنا من الناس كلما يعطوننا لملنا عليهم » .

على هذين الأساسين كانت شجاعة الأوزاعي وكان - كما يقول صاحب الحلية : لا يخاف في الله لومة لائم ، ولا يقول إلا بالحق لا يخاف سطوة العظام .

---

(١) السنة قبل التدوين للأستاذ محمد عجاج الخطيب مطبعة مخيمر - القاهرة ص : ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حين تغلب العباسيون على بنى أمية ، استدعاه عبد الله بن على عم السفاح ، فتأخر عنه أياما ثلاثة ، وفى مثل هذا الظرف يتسابق الناس إلى مجالس المنتصرين ليعلنوا ولاءهم لهم ويتطوع ضعاف النفوس لتأييدهم إن حقا وإن باطلا ورغم أن المنتصرين استولوا على زمام السلطة ، وقضوا على معظم منافسيهم ، إلا أنهم كانوا فى مسيس الحاجة إلى مساندة آراء عالم له مكانته كالأوزاعى ، ولكنهم خاب أملهم ، فما كان مثل الأوزاعى يقول غير الحق ، أو يسخر دين الله لمخلوق مهما بلغ من المنعة والسلطان .

قال له عم السفاح :

يا أوزاعى : ما ترى فيما صنعنا من إزالة أيدى أولئك الظلمة عن العباد والبلاد أجهادا ورباطا هو ؟ فأجاب الأوزاعى : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى » : قال عم السفاح :

يا أوزاعى : ما تقول فى دماء بنى أمية ؟ . فأجاب : « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزانى ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » :

قال عم السفاح :

« ما تقول فى أموالهم ؟ .

فأجاب : إن كانت فى أيديهم حراما فهى حرام عليك أيضا ، وإن كانت حلالا فلا تحل لك إلا بطريق شرعى » ...

قال عم السفاح :

« ألا توليك القضاء ؟ .

فأجاب : إن أسلافك - يعنى الأمويين - لم يكونوا يشقون على فى ذلك ، وإنى أحب أن يتم ما ابتدءونى به من الإحسان » .

هذه شجاعة الأوزاعى التى جعلت القلوب تلتف حوله ، وتجمع على الوقوف بجانبه ، حتى لقد هم به أحد الولاة . فقال له أصحابه : « دعه عنك ، والله لو أمر أهل الشام ان يقتلوك لقتلوك » .

وهذه مكانة الأوزاعى ، الذى حج مرة ، ودخل مكة ، وسفيان الثورى - وهو من هو مكانة وعلما - آخذ بزمام جمله ، ومالك ابن أنس - وهو ممن لا يحتاج إلى تعريف يسوق به ، والثورى يقول : أفسحوا للشيخ حتى أجلساه عند الكعبة ، وجلسا بين يديه يأخذان عنه .

رحم الله الأوزاعى الفقيه المحدث ، إمام أهل زمانه ، الذى ما رؤى ضاحكا متهقها قط ، وكان يعظ الناس فلا يبقى أحد فى مجلسه إلا بكى بعينه أو بقلبه .

رحم الله الأوزاعى ، الذى أجمع المسلمون على عدالته وإمامته ، فأفتى فى سبعين ألف مسألة ، والذى مات فلم يترك الدنيا شيئا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من المتاع الزائل ، وإنما ترك علما ، ومثلا أعلى للعلماء الجديرين بأن يكونوا ورثة الأنبياء ...

إن أحد الولاة جلس على قبر الإمام الأوزاعى ، فقال : « يرحمك الله ، فوالله لقد كنت أخاف منك أكثر مما أخاف الذى ولانى » .

* * *

هذا هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو ابن يحمد الأوزاعى ، إمام أهل الشام الذى تخرج فى مدرسة أولئك الصحابة الذين نزلوا بالشام ، أمثال أبى عبيدة بن الجراح وبلال وشرحبيل ، وعوف بن مالك الأشجعى ، والعرباض بن سارية ، والذى رفعه عمله إلى قمة العلماء ، ورفعته عفته عن الدنيا إلى قمة العظماء ، ورفعته ثقته فى الله إلى قمة الأصفياء

ذكر الحافظ بن عساكر فى تاريخ دمشق : أن الإمام الأوزاعى ، دخل الحمام ببيروت ، فشغل عنه صاحبه ، وأغلق الحمام عليه ، وذهب ثم جاء ففتح الباب فوجده ميتا ، قد وضع يده اليمنى تحت خده ، وهو مستقبل القبلة .

إن الشاعر الذى رثا عالم أهل الشام أجاد حين قال :

جاد الحيا بالشام كل عشية
قبراً تضمن لحده الأوزاعى
قبر تضمن فيه طور شريعة
سقيا له من عالم نفاع
عرضت له الدنيا فأعرض مقلعا
عنها بزهد أيما إقلاع

محمد عبد الله السمان

من جيد شعر الخنساء قولها فى رثاء أخيها :

إذا القوم مدوا أيديهم ... إلى المجد مد إليه يدا
فقال الذى فوق أيديهم ... من المجد ثم مضى مصعدا
يكلفه القوم ما عالهم ... وإن كان أصغرهم مولدا
ترى الحمد يهوى إلى بيته ... يرى أفضل الكسب أن يحمدا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حياة سلمان الفارسي وإسلامه

للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

جلس المسلمون يتذاكرون حوادث موقعة الخندق بعد أن نصرهم الله على عدوهم فذكروا مشورة سلمان الفارسي وبلاءه في القتال، فقال الأنصار (سلمان منا) وقال المهاجرون (سلمان منا) ولكن الرسول قال قولته التي شرف بها سلمان على الزمان (سلمان منا أهل البيت).

* * *

في قرية يقال لها (جي) إحدى قرى أصبهان من أعمال فارس، ولد سلمان في بلاد المجد والسؤدد التي قال فيها الشاعر.

قومي استولوا على الدهر فقد
ومشوا فوق رءوس الحقب
عمروا بالشمس هاماتهم
وبنوا أبياتهم بالشهب
وأبى كسرى علا إيوانه
أين في الناس أب مثل أبي

وتفتحت عيناه على المجد المؤثل والعز التالد، إذ كان أبوه زعيم فلاحي قريته، يعيش في بحبوحة من العيش وسعة في الرزق.

ويظهر أن أباه لم يرزق غيره، فأحبه أشد الحب، حتى لقد بلغ حبه إياه وإيثاره له وخوفه عليه درجة عظيمة، جعلته يحبسه في البيت كما تحبس الجارية مخافة أن يقع له مكروه.

فلما شب الصبي عن الطوق، تعهده أبوه بالتربية والتعليم، فعلمه المجوسية التي كان يدين بها، فلما عرف شيئاً عن دين آبائه وأجداده، ترك حياة اللهو واللعب، وعكف على دراستها، حتى أصبح سادن النار، فهو الذي يوقدها ويتعهدها فلا تخبو ساعة في البيت... وهكذا شغل الفتى المدلل وقته في تعلم دينه والبحث عن دقائقه، وما كان أغناه عن هذا العناء لو لم يكن هناك تدبير علوي هو الذي وجهه هذه الوجهة، فجعله يطرح حياة اللهو واللعب التي كان يتمتع بها أشباه له وأنداد.

كانت لأبيه ضيعة كبيرة شأنه شأن ذوي الجاه والسلطان، وقد شغل عنها حيناً ببناء له في داره، فاستدعى ابنه سلمانا وقال له:

يا بني قد شغلني ما ترى وأخاف إن نحن أهملنا أمر ضيعتنا أن يصيبها التلف، فانطلق إليها لترى ما صار إليه أمرها. ولكن لا تغب حتى لا تشغلني عن كل ضيعة بهمي بك.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لقد كان الأب يخشى أن تتوشه الوساوس من أجل ابنه الذى لا يقوى على فراقه ... وقصد سلمان ضيعة أبيه ليرعى شئونها وينفذ ما أمره أبوه ، وفى طريقه إليها مرَّ بكنيسة من كنائس النصارى ، وكانوا فى تلك اللحظة يصلون ، فسمع أصواتهم ، فدفعه حب الاستطلاع إلى دخولها ليرى ماذا يعملون ويعرف ما يقولون ، ونظراً لأنه لم يكن يعرف عن مثل هذه الأمور شيئاً ، ولم يكن له بمخالطة الناس ومعرفة أحوالهم عهد ، إذ أنه قضى قضى معظم أيامه رهين البيت ، فلما رأى صلاتهم وسمع أقوالهم أعجب بما رأى ، وما سمع ، ورغب فى التدين بدينهم والسير على نهجهم ، حتى إذا فرغوا من صلاتهم سألهم عن أشياء فى الدين أخبروه عنها ، فأدرك بفطرته أن هذا الدين خير من الدين الذى كان عليه آباؤه وأجداده ، ولما سألهم عن منبع دينهم وأين يوجد سدنته والعارفون به ، أخبروه أنه يستطيع أن يجد طلبته فى بلاد الشام .

ومكث عندهم يرى ما يفعلون ويسمع ما يقولون حتى غربت الشمس ونسى ماكان قد خرج من أجله ، وغفل عن كل شىء إلا عن وجوده مع القوم فى كنيستهم ، لقد أراد سلمان أن يروى نفسه الظمأى التى يحس توقها إلى دين تجد فيه مطالبها العليا .

ولما أقبل الليل ولم يعد سلمان إلى بيت أبيه شغل الرجل بأمر ابنه ، وبعث الرسل فى طلبه ، واستمر فى البحث عنه وتتبع أثره واستقصاء خبره ، وقد ملأ الحزن قلبه واستولى عليه هم ثقيل ، وما زال الرجل دائم السؤال عن وحيده يحدوه الأمل ويدفعه الرجاء ، حتى عثر عليه .

فلما مثل بين يدى أبيه عاتبه أبوه على اختفائه ورغم وصيته له ، واستعلمه حقيقة أمره وسبب غيبته ... فقال له سلمان :

- يا أبت إنى مررت بقوم يصلون فى كنيسة لهم فأعجبنى ما رأيت من أمرهم ، وهزنى ما عرفت من خبرهم ونزل دينهم من نفسى منزلا حسناً وعلمت أن دينهم خير من ديننا .

فنزل هذا القول على الأب نزول الصاعقة ، وظهر الغضب فى عينيه وبان الألم فى وجهه وقال :

- أى بنى إن دينك ودين آبائك خير من ذلك الذى فتنك بزخرفه وتسلط على حسك بتمويهات يقوم بها قوم يتخذون الشعوذة حرفة لهم يغوون بها السذج أمثالك .

- يا بنى عليك أن تعبد ماكان يعبد آباؤك وأن تسير على ما ساروا عليه فلسنا بأنضج منهم تفكيرا ولا أكثر تعقلا .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فسكت سلمان ولم يجب ، ورأى الأب على وجه ابنه علامات تدل على عدم الاقتناع ، فساورته الهواجس وخاف أن يفتن ابنه فى دينه ويميل إلى تلك الدعوة التى اجتذبته ، وحبسه فى الدار كما كان يحبسه من قبل .

لم يقتنع سلمان بما قال أبوه ولم يرقه هذا التقليد الأعمى ، فقال فى نفسه ، كلا والله : إن ما رأيت خير من ديننا الذى ورثناه عن أسلافنا ، والذى اعتنقناه بلا تفكير ، وتبعنا تعاليمه دون تدبر ، وإنه لجدير بالإنسان الذى وهبه الله العقل الناضج والفكر الثاقب ، أن ينظر فى الأمور ويحكم فيها عقله ويعمل فكره ، وأن يستقصى الأمور ويختار منها أيها خير .

وأخذ يحتال لنفسه حتى اتصل بهؤلاء النصارى مرة ثانية واستمر يراسلهم ويتعرف أخبارهم ويستوحيهم أسرار دينهم ، حتى إذا اقتنع بأن ما يعبدون خير مما يعبد هو وآباؤه ، أرسل إليهم يطلب إذا قدم عليهم من الشام قافلة من تجار النصارى ، وقضوا مآربهم ، ثم عولوا على العودة إليها ، أن يخبروه ليصحبهم إلى هناك حيث يتلقى من تعاليم دينهم ما يشفى غليل نفسه ...

وانتهز هؤلاء النصارى قدوم قوم إليهم من الشام واعتزامهم العودة ، فأرسلوا يخبرون سلمانا بذلك ، فاحتال على التخلص من قيده ، ثم لحق بالقوم وصحبهم فى رحلتهم حتى وصل إلى أرض الشام ، وهناك أخذ يتنقل من مكان إلى مكان ، يسأل عن أهل هذا الدين ويختلط بهم ويبحث عن أفضلهم علما وأوسعهم خبرا وأكثرهم معرفة ، حتى سمع بأحد الأساقفة وأنه سادن هذا الدين وفقيهه وخبير فى أدق شئونه ، فقصد إليه سلمان ، فلما التقى به قال له: إنى قد ملت إلى هذا الدين ، فأحببت أن أكون معك ، أقوم على خدمتك وخدمة كنيستك وأتعلم معك علوم هذا الدين ، وأصلى وترشدنى إلى خير الطرق ، فرحب به الأسقف وقبل ما عرضه عليه سلمان وضمه إلى معيته فى كنيسته .

عاش سلمان معه يلحظ تصرفه ويتعرف أمره ويقبع خطاه ، وقد رأى من صفات هذا الأسقف مالم يعجبه فهو يجمع الصدقات التى يقدمها أصحابها ، لتنفق على فقراء القوم ، وبدلا من أن ينفقها على مستحقيها فإنه يكنزها لنفسه ، حتى بلغ ما جمعه منها سبع قلال مملوءة ذهبا وفضة .

لقد رأى سلمان هذا الرئيس الدينى الذى ملكه الناس أمرهم ، يؤثر نفسه على الآخرين فيحرم الفقير حقه ويحبس عن المسكين رزقه فكادت عقيدته فى هذا الدين الذى عشقه ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تنزعزع وإيمانه بالنصرانية يتحول ، لولا أن انتهى أمر هذا الأسقف سريعا، فقد ثار عليه القوم وأبغضوه بغضا شديدا وصلبوه ورموه بالحجارة ، بعد أن كشف لهم سلمان أمره .

ثم تولى أسقف أخرى يعرف حق الدين وحق الفقراء ويرعى شئون الناس ، فهو زاهد فى متاع الدنيا راغب فى الآخرة .

كان هذا الأسقف تقيا صالحا راهبا أمينا، مثابرا على عبادة ربه فى الليل والنهار منصرفا عن كل ما تشتهى النفس إلى ما أعده الله فى الآخرة لعباده المتقين .

وعرف سلمان فيه كل هذه الخلال ، فأحبه حبا عظيما ، إذ رأى فيه الصفات التى كان يتخيلها لدين يدعو إلى الحب والسلام ، رأى فيه خير مثل يحتذى فى الصلاح والقدوة الحسنة ، فأقام معه ما شاء الله له أن يقيم مطمئنا إلى جواره ، راضيا برعايته متفانيا فى خدمته ، حتى إذا قربت منية الأسقف وظهرت عليه علامات الموت وأحس سلمان أن الرجل مفارق له ، جلس إليه وقال له .

أيها الراهب الصالح ، إنى كنت معك وأحببتك ملء قلبى ، وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى . وإنى لأرجو أن توصينى وتدلنى على رجل ألحق به .

فقال له : يا بنى والله ما أعلم اليوم أحداً من أهل زماننا يتوفر فيه ما تريد ، فقد ذهب الصالحون ، وأما الباقون فقد بدلوا ، وتركوا ما كانوا عليه ، إلا رجلا بالموصل (سماه له) ستجد فيه طلبتك فإنه على نور من ربه وعلى هدى من شريعته ... حتى إذا فارق الأسقف الحياة ، رأى سلمان أنه لا بقاء له فى هذه المدينة ، فشد رحاله إلى الموصل ، ولما بلغها ألقى عصا التسيار وأخذ يسأل عن صاحبه حتى عرف مكانه والتحق بخدمته ، وأقام عنده ما بقى هذا الناسك على قيد الحياة ، وقبل أن يخلى مكانه أوصى سلمانا أن يلحق بزميل له فى بلدة نصيبين ، فذهب إليها وأقام عند كاهنها حتى حضرته الوفاة فأوصى سلمانا أن يلحق برجل فى عمورية فهو من بقى فى هذه الدنيا ، فذهب إليه سلمان وأخبره عن كل ما وقع له ، وذكر له كل ما سمع من وصايا الرجال الذين التحق بخدمتهم وما كان من أمرهم ، وطلب منه النصيحة ، فقال له :

يا بنى ، أما أمثالى وأمثال من ذكرت من الصالحين فلن يوجد ما آمرك أن تلحق به ، ولكن قد أظل زماننا نبى يبعث بدين إبراهيم ، يخرج بأرض العرب وهجرته إلى أرض بين حرتين[1] بينهما نخل ، وبه آيات وعلامات لا تخفى ، يأكل الهدية ولا يأكل

---

(١) الحرة بالفتح أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة ، فإن استطعت أن تلحق به فى تلك البلاد فافعل .

ولا غرابة فى ذلك فقد عرف كثير من كهان الشام وغيرها قرب ظهور الدين الجديد وبشروا بالنبي ومكان ظهوره . كما حدث من بحير الراهب ، عندما رأى محمداً مع عمه فى طريقه إلى بلاد الشام للتجارة ، وشاهد علامات النبوة ، جعل يلحظه لحظا شديداً وينظر إلى أشياء من جسده فقد كان يجدها عنده من صفاته حتى إذا تأكد من ذلك ، طلب من عمه أبي طالب أن يرجع بابن اخيه إلى بلده وحذره من اليهود وقال له : « لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغينه شراً فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم » ...

وبعد أن تحدث الكاهن إلى سلمان ووصف له العلامات التى لابد أن توجد فى النبي ، وبعد أن نصحه باتباعه ، لأن هذا الدين الذى سيأتى به هو خير الأديان و وأن النبي هو خاتم الأنبياء ، وهو الذى بشر به الأنبياء السابقون .

التحق بالرفيق الأعلى وبقى سلمان فى عمورية أياما طالت أو قصرت ، حتى أقبل ركب من قبيلة (كلب) ببادية الشام طلب منهم أن يصحبوه معهم إلى أرض العرب على أن يدفع لهم أجرهم ، فصحبوه معهم حتى إذا بلغوا وادى القرى ، ضاقوا بصحبته فاستولوا على ما معه ، ثم باعوه لرجل يهودى فأقام معه صابراً على ما حل به من بلاء ، يعمل له ما يؤمر به ، شأنه شأن الموالى ، ومع ذلك فقد كان عيشه فى هذا المكان طيباً ونفسه عنه راضية ، إذ رأى فيه تخيلا بعث بعض الأمل إلى نفسه علّه يكون البلد الذى وصف له والذى سيكون مهاجر النبي الجديد وغالبا ما يخفف الأمل شاق الحياة ويبعث فى النفوس قوة الاحتمال والصبر على ما يلقى من عنت سيده وإرهاقه له .

وذات يوم قدم رجل من قريظة بينه وبين اليهودى الذى عنده سلمان صلة قرابة فاشتراه منه وأخذه معه إلى المدينة ، فلما وقع عليها بصره عرفها من وصف الكاهن إياها ، فاطمأنت نفسه وارتاح فؤاده ، وحمد ربه أن هداه إلى بغيته ، وهكذا استقر به الحال فى المدينة ينتظر ما تسفر عنه الأيام .

* * *

صفقت حوله القلوب ابتهاجا
لسناه وصاح يشدو والزحام
طلع البدر من قباء علينا
وجب الشكر أشرق الإسلام

عبد الوجود عبد الحافظ

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

صور من بغداد :

جامعة الدين وجامعة اللغة

للأستاذ محمد محمد أبو شهبة

لقد شاء الله سبحانه - وله الحمد والمنة - أن أكون مبعوث جامعة الأزهر إلى جامعة بغداد للتدريس بكلية الشريعة بها هذا العام، وهي تقع بجوار مسجد الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان في حي الأعظمية ببغداد، وهي كلية قديمة حديثة: أما حداثتها فباعتبار انضمامها إلى جامعة بغداد بهذا الاسم في السنوات الأخيرة واعتبارها كلية من كليات الجامعة، أما قدمها فلأنها ترجع إلى القرن الخامس الهجري فقد بناها أبو سعد محمد وابنه السلطان عضد الدولة ملك شاه السلجوقي بجوار قبر الإمام أبي حنيفة - رحمه الله - وكان ذلك سنة ٤٥٦ هـ الموافقة ١٠٦٦ م، وكانت تسمى في هذا العصر مدرسة الحنفية وقد عين لها المدرسون، ورصد لهم وللطلاب المخصصات المالية الكافية كما كان متبعاً بالنسبة لبقية المدارس الشهيرة المعاصرة، ثم سميت في العهد العثماني وقبيل الحرب العالمية الأولى «كلية الإمام الأعظم»، ثم سميت «دار العلوم الدينية والعربية»، ثم «دار العلوم»، ثم انتهى الأمر بها إلى أن سميت «كلية الشريعة»، وكان ذلك في أواخر عام ١٩٦٠ ثم ضمت إلى جامعة بغداد (دليل كلية الشريعة ببغداد ص ٨ وما بعدها).

وقد جاء على هذه الكلية وقت كانت وحدها في العراق الشقيق تزوده بالمثقفين، وقادة الرأي وبما قد يحتاج إليه من موظفين يقومون على شئونه، وإنا لنرجو لها - إن شاء الله - أن تزدهر وتترعرع حتى تتبوأ مكانتها اللائقة بها، وتؤدي رسالتها على خير وجه.

وقد كنت أعتقد عن يقين أن جامعتنا الدينية الكبرى التي وحدت بين قلوبنا هي الإسلام وأن جامعتنا العربية التي وحدت بين ألسنتنا هي القرآن، حتى قدر لي أن أكون مبعوث جامعة الأزهر إلى الحجاز أو على التدقيق إلى بلد الله الحرام «مكة» من منذ بضعة عشر عاماً وإلى العراق هذا العام، فرأيت هذا الاعتقاد حقيقة ماثلة في دنيا الواقع.

ويشهد الله أني لم أشعر بغربة ولا بوحشة فالدين هو الدين، والتحية هي تحية الإسلام، والوجوه هي الوجوه، والطباع هي الطباع،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والتقاليد هي التقاليد على تفاوت يسير لا يؤثر في الجوهر، كنت أسير في الطريق فأقرئ الناس السلام وهم يقرئونني، ويؤثرونني عليهم في الركوب في المركبات العامة وفي الجلوس، وإذا سألتهم سؤالا عن مكان أو شيء ما ابتدروا في الإجابة، وقد يتطوع بعضهم بصحبتي ليدلني على ما أريد، وذهبت إلى المسجد فإذا الناس يتراصون ويتصافون صفوفا، ويقتدون بإمام واحد، وإذا هم بعد الصلاة يتصافحون ويتعارفون، وسمعت الأذان فإذا هو الأذان الذي كنت أسمعه في القاهرة وفي الحجاز، ولو قدر لي أن أذهب إلى باكستان، أو أندونيسيا، أو الملايو، أو في أي قطر من أقطار الإسلام فسأجد ما وجدته في مكة، وفي بغداد من ألفة ومودة، وإعزاز وتكريم، وإحساس بوحدة الدين والقلوب والمشاعر اللهم إلا ما يكون من إعواز في اللغة العربية وعجمة في اللسان هم جادون في التغلب عليه إن شاء الله بفتح المدارس والمعاهد لدراسة اللغة العربية: لغة القرآن.

فما الذي صنع هذه الرابطة القوية وهذه العروة الوثقى التي لا انفصام لها؟ ليس من شك في أنه الإسلام جامعتنا الدينية الكبرى وموحد قلوبنا وموحد غاياتنا وآمالنا هذه الوحدة الدينية الكبرى، هي التي صدع بها الحق تبارك وتعالى في قوله:

«واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون»[1].

وقوله سبحانه: «إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون»[2].

وهذه الوحدة الإسلامية هي التي دعا إليها نبي الإسلام - صلوات الله وسلامه عليه بقوله: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» وما أروع هذا من تمثيل وتشبيه فالبنات إذا كانت كلها قوية فهي بانضمامها تزداد قوة، وصلابة، وإذا كان بعضها ضعيفا، فالضعيف بانضمامه إلى القوي يصير قويا فالهيكل الكلي على أية حال قوي متماسك يصمد أمام عوامل الهدم والتفريق ويقول صلى الله عليه وسلم منبها إلى وحدة المسلمين في الآمال والآلام، والمشاركة في السراء والضراء والعسر واليسر: «مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» رواه مسلم ويبين رسول الله صلى الله عليه وسلم حقوق هذه الأخوة الإسلامية بين

---

(١) آل عمران ١٠٣.

(٢) الحجرات ١٠.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأفراد والجماعات وهى إقامة العدل لا التظالم والنصرة على الأعداء لا التخاذل والتكريم والاحترام لا التحاقر فيقول : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم » وفى رواية « لا يسلمه » يعنى للأعداء .

ولعل فى هذا بلاغا لبعض المسلمين الذين يتظالمون ويتخاذلون بل وينحازون إلى الأعداء ضد إخوانهم المسلمين ولا يسعون فى سبيل هذه الوحدة التى هى من صنع الرحمن لا من صنع الإنسان، لقد حاول المستعمرون أعداء الإسلام والعروبة أن ينالوا من هذه الوحدة ويقضوا عليها واستعملوا فى هذا السبيل العنف والإرهاب حينا والترغيب والإغراء حينا آخر . ولم يدعوا وسيلة من وسائل الدس والتفريق إلا لجأوا إليها . وهم وإن كانوا قد وصلوا إلى بعض ما يريدون بمساعدة صنائعهم المأجورين فلم يصلوا إلى كل ما يريدون ولن يخلى الله سبحانه الأمة الاسلامية فى كل عصر وقطر من رجال مخلصين يبطلون ألاعيبهم ويردون كيدهم فى نحرهم ويعملون على بقاء هذه الوحدة أبد الآبدين . إن هذه الوحدة لن يفصمها فاصم مادام المسلمون على الصراط المستقيم صراط الله وهو الإسلام وصدق الله حيث يقول : « ... فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » (١) .

وكما وحدالله بين المسلمين بالإسلام وحد بينهم فى اللسان بالقرآن ، وبفضل لغة القرآن تمكن المسلمون من المحيط إلى المحيط أن يجيدوا اللغة العربية الفصحى نطقا وكتابة وتأليفا فهذا الكتاب هو الذى صير من هذه الأمة الإسلامية على اختلاف ألسنتها وشعوبها عربا باللسان ، ونبغ فى العربية وعلومها فى كل قطر علماء كثيرون من الفرس والروم ، والعجم والبربر ، بل نبغ فى لغة القرآن كثيرون ممن لا يدينون بالإسلام ولكنهم يعيشون على أرضه وتحت سمائه والشواهد على هذا كثيرة فى القديم والحديث .

وبفضل لغة القرآن بقيت اللغة العربية هى الرباط القوى بين العرب جميعا على اختلاف دياناتهم وتباعد أقطارهم ، وتعدد لهجاتهم العامية التى قد تتقارب أو تتباعد .

لقد كنت أمقت الدعوة إلى اللغة العامية فى التأليف والتعليم وأعتبرها دعوة شعوبية وخسيسة على العرب يراد بها الفرقة اللغوية وأعتبرها أيضا إفلاسا من دعاتها فى العربية وقواعدها ، وفهم أسرارها وأساليبها ، وما تبينت واقعا ملموسا فضل الفصحى فى التوثيق بين الشعوب العربية إلا بعد أسفارى إلى الحجاز ثم إلى بغداد ، لقد كانت الوسيلة

(١) البقرة ٢٥٦ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده

٧ — حب التملك

الملك - بكسر الميم وضمها - حيازة الشيء والاستيلاء عليه. والانفراد بالتصرف فيه، ولا شك أن النزوع إليه من الميول الفطرية التي تنشأ عن غريزة حب الذات، بل إنه في الإنسان غريزة من الغرائز التي فطره الله عليها. وجعلها فيه أظهر منها في غيره من بقية أنواع الحيوان، ذلك لأن الحيوان كما يقول الأستاذ محمد حسنين الغمراوي في كتابه «الغرائز»: «بعيد عن مطامع الملك. يستغني عن اللباس يستر به جسمه، ويكتفي بالوزر اليسير من الطعام الذي يجده بلا عناء ويرضى من السكنى بالمأوى الحقير يكن فيه سواد الليل ويحفظ فيه نسله. سواء أكان على فرع شجرة بعيدة المنال. أم في أرض

(بقية المنشور على صفحة ٧٠٤)

التفاهم التام بيني وبين الطلاب هي العربية الفصحى، وأخذت نفسي وطلابي بهذا فتم تفاهمنا على خير وجه وأوجدنا جوا عربيا سليما. وكان تدريبا للطلاب على النطق العربي الفصيح، وحبذا لو أخذ المدرسون طلابهم بهذا في كل قطر حينئذ ستتربى ملكة اللغة الفصحى في نفوس الطلاب ويستعذبون النطق بها بدل أنهم اليوم يستصعبونها ويعتبرون التزامها تكلفا وتقعيرا.

وكذلك لمست فائدة الفصحى في مخاطبة الطلاب المسلمين والطالبات المسلمات الوافدين والوافدات من أقطار إسلامية غير عربية إلى جامعة الأزهر وغيرها من الجامعات العربية، لقد كانت وسيلة التفاهم في قاعات الدرس والبحث بيننا وبينهم هي اللغة العربية الفصحى ما كان الواحد منهم قط يفهم بالعامية مهما كانت واضحة حتى إذا خوطب بالفصحى فهم، وهكذا ظهرت حكمة الله سبحانه في التوحيد بين المسلمين في العقيدة والشريعة كما وحد بينهم في اللغة وكان الفضل في هذا وذاك للقرآن.

فليكف دعاة العامية عن دعوتهم الهدامة وليدعوا اللغة العربية الفصحى لغة القرآن تعمل عملها في التوحيد اللساني بين المسلمين والعرب في كل مكان.

د. محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر
وكلية الشريعة - جامعة بغداد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده

٧ — حب التملك

الملك - بكسر الميم وضمها - حيازة الشيء والاستيلاء عليه. والانفراد بالتصرف فيه، ولا شك أن النزوع إليه من الميول الفطرية التي تنشأ عن غريزة حب الذات، بل إنه في الإنسان غريزة من الغرائز التي فطره الله عليها. وجعلها فيه أظهر منها في غيره من بقية أنواع الحيوان، ذلك لأن الحيوان كما يقول الأستاذ محمد حسنين الغمراوي في كتابه «الغرائز»: «بعيد عن مطامع الملك. يستغني عن اللباس يستر به جسمه، ويكتفي بالوزر اليسير من الطعام الذي يجده بلا عناء ويرضى من السكنى بالمأوى الحقير يكن فيه سواد الليل ويحفظ فيه نسله. سواء أكان على فرع شجرة بعيدة المنال. أم في أرض

(بقية المنشور على صفحة ٧٠٤)

التفاهم التام بيني وبين الطلاب هي العربية الفصحى، وأخذت نفسي وطلابي بهذا فتم تفاهمنا على خير وجه وأوجدنا جوا عربيا سليما. وكان تدريبا للطلاب على النطق العربي الفصيح، وحبذا لو أخذ المدرسون طلابهم بهذا في كل قطر حينئذ ستتربى ملكة اللغة الفصحى في نفوس الطلاب ويستعذبون النطق بها بدل أنهم اليوم يستصعبونها ويعتبرون التزامها تكلفا وتقعيرا.

وكذلك لمست فائدة الفصحى في مخاطبة الطلاب المسلمين والطالبات المسلمات الوافدين والوافدات من أقطار إسلامية غير عربية إلى جامعة الأزهر وغيرها من الجامعات العربية، لقد كانت وسيلة التفاهم في قاعات الدرس والبحث بيننا وبينهم هي اللغة العربية الفصحى ما كان الواحد منهم قط يفهم بالعامية مهما كانت واضحة حتى إذا خوطب بالفصحى فهم، وهكذا ظهرت حكمة الله سبحانه في التوحيد بين المسلمين في العقيدة والشريعة كما وحد بينهم في اللغة وكان الفضل في هذا وذاك للقرآن.

فليكف دعاة العامية عن دعوتهم الهدامة وليدعوا اللغة العربية الفصحى لغة القرآن تعمل عملها في التوحيد اللساني بين المسلمين والعرب في كل مكان.

د. محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر
وكلية الشريعة - جامعة بغداد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

جدباء لا تتطلع إليها أنظار الأعداء ، ثم إن فى الملك استجابة لمعنى نفيس يحرص عليه كل إنسان . ويجد فيه مظهرا لكرامته وسمو إنسانيته وهو الحرية ، لأنه يهيئ للمالك حرية التصرف فى الشىء المملوك على الوجه الذى يرضى ذوقه . ويمضى إرادته . ويحقق غرضه ، وهو إلى ذلك القوة المحركة للسعى والعمل . وتحصيل أسباب الرزق وتوفير وسائل الرفاهية والرخاء .

ولكن هذه الغريزة إذا انحرفت عن اتجاهها السليم وطريقها القصد كانت علة العلل فيما يقع بين الناس من تفاخر وتكاثر وعداوة وبغضاء . وأحقاد وشحناء ، وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: يهرم ابن آدم وتشب منه اثنتان الحرص على المال . والحرص على العمر ، وكان مما دخل به إبليس على آدم ليغريه بالمعصية . ويقصيه عن الجنة أن قال له فيما حكاه الله عنه : « هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى » كأنما كان على علم بما فطر عليه الإنسان من حب التملك . والرغبة فى تجديد ما يطول به إلفه ، ويتكرر أمام عينيه مرآه : فحرك فى نفسه الشوق إلى ما منعه الله منه ونهاه عنه ، وما زال به يغريه ويستهويه حتى انطلى الزور عليه . ونسى عهد الله إليه . كما يفهم من قوله تعالى : « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما » . ثم كان ما ذكره القرآن حيث يقول الله فيه « وعصى آدم ربه فغوى ، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى » .

ويمكن بقليل من التفكير أن نجد فى جموح هذه الغريزة التفسير لكثير من المآثم والمظالم التى تقع بين الناس كالسرقة والغصب والنهب وما إلى ذلك مما يدخل فى معنى أكل أموال الناس بالباطل ، ويفهم من قوله تعالى : « كلا بل لا تكرمون اليتيم . ولا تحاضون على طعام المسكين . وتأكلون التراث أكلا لما . وتحبون المال حبا جما » . أن هذه الرذائل مردها إلى البخل والشح والحرص على المال ، وقد بين سبحانه أن الشعور بالاستغناء يدفع الإنسان إلى الكبر والجور والطغيان ، كما يفهم من قوله تعالى : « إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى » . وقد ذكر من أمثلة ذلك قارون : « إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين . وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين . قال إنما أوتيته على علم عندى » .

وبين جل شأنه موقف المترفين من دعوات الأنبياء والمرسلين حيث يقول سبحانه : « وما أرسلنا فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون . وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومن ذلك يتبين أن لغريزة حب التملك أثرها الخطير فى حياة الأفراد والجماعات، فهى من جانب منشأ لكثير من النزعات المنحرفة. والاتجاهات الضارة، ولهذا يجب أخذها بالتوجيه الراشد والتقويم السليم حتى لا تنحرف بأصحابها إلى الشح والظلم والبغى والعدوان، وهى من جانب آخر مثير فى النفس دوافع الجد والعمل. وتوجه نشاط الإنسان الى استثمار الأرض وتعميرها والانتفاع بما سخره الله له. ولهذا يجب أن يفسح لها مجالها لتؤدى وظيفتها فى خدمة الأفراد ومصلحة المجتمع.

وعلى هذين الأساسين نجد الإسلام، وهو دين الفطرة لا يحرم الإنسان لذة الانتفاع بالملك، ولا يطلق له حرية التصرف فيما يملك؛ لأن ملكيته فى الحقيقة ملكية نسبية ناقصة لا ملكية حقيقية تامة، فإن هذه لله الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير، والغنى الذى يحصل عليه الإنسان إنما هو من الله كما يقول سبحانه: «وأنه هو أغنى وأقنى»، وقد ذكرنا فى المقال السابق أن المال مال الله، وعرضنا من الشواهد القائمة فى دوافع الوجود والحياة، وفى كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل ما لا يدع مجالا للشك فى صحة ما ذهبنا إليه.

أما مظهر الملكية النسبية للإنسان فى المال فيمكن ملاحظته فيما شرعه الله من الميراث والزكاة والوصية والنفقة. فإنها مظهر من مظاهر الملكية أو ثمرة من ثمراتها، وقد أضاف الله المال إلى الناس فى كثير من الآيات كقوله تعالى: «ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون». وقوله سبحانه: «والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم»، وقوله جل شأنه: «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها»، فدلت هذه الإضافة على الملك بالمعنى الذى ذكرته أو أشرت إليه؛ وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن هذه الإضافة وأمثالها كإضافة أموال السفهاء واليتامى إلى الأولياء فى قوله تعالى: «ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما». لكنى رأيت فى هذا التأول شيئا من التكلف والتعسف، وقياسا مع الفارق الكبير، إذ ليس للأولياء فى أموال اليتامى ما لكل مالك رشيد من حرية التصرف فى ماله، ويمكن ملاحظة ذلك بالتأمل فى قوله تعالى: «وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا أو كبيرا»، وقوله سبحانه: «إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا».

ولعل مما يؤيد ذلك أن الترغيب فى الإنفاق والوعد بالثواب عليه أضعافا مضاعفة لا يمكن فهمه على استقامته إلا على أساس تقرير مبدأ الملكية، إذ كيف

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يتصور الثواب على الإنفاق والصدقات ، والعقاب على الشح وكنز الأموال إذا لم يكن للإنسان حرية التصرف فيما يحصل عليه ، أو بعبارة أخرى حرية التصرف فيما يملك أو بعبارة أدق حرية التصرف فيما رزقه الله وجعله فيه مستخلفاً عليه . . ؟ وكيف يفهم الأجر على إحسان العمل وإتقانه إذا لم يصر هذا الأجر ملكا لصاحبه ينتفع به على الوجه الذى يراه ، ولا يخرج به عن طاعة الله ، ويدخر منه لغده ولأهله وأولاده من بعده.

ثم إن استثمار الأموال فى المشروعات التى تعود على الفرد والمجتمع بالخير المشترك والربح الحلال لا يمكن تحققه مع إهدار مبدأ الملكية ، فإذا لوحظ مع هذا أن معظم أبواب المعاملات فى الفقه الإسلامى تقوم على هذا المبدأ كالوديعة ، والإعارة ، والإجارة ، والشفعة والقراض ، والمساقاة والمزارعة ، عرفنا إلى أى حد يحترم الإسلام مبدأ الملكية ، ويضع له الضمانات التى تصونه وتشيع بين الناس الأمن على حقوقهم والاطمئنان على أموالهم ، ويكفى لبيان ذلك أن نشير إلى حد السرقة ، فقد أمر الله بقطع يد السارق والسارقة حيث يقول سبحانه : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم » . وقد بينت السنة القدر الذى يستوجب القطع وهو ربع دينار فأكثر ، ولا عبرة بالتفاوت فى القيمة لعدم التفاوت فى الجريمة ، ولأن الغرض من إقامة الحد هو صيانة حرمة الملك وحماية أمن المجتمع وإحلال الأمانة محل الخيانة ، وقد تساءل أحد الشعراء عن يد تدفع ديتها خمسمائة دينار كيف تقطع فى ربع دينار . وقال فى ذلك :

يد بخمس مئين عسجد وديت
ما بالها قطعت فى ربع دينار

فرد عليه آخر بقوله :

عز الأمانة أغلاها وأرخصها
ذل الخيانة فافهم حكمة البارى

ونخلص من ذلك بما ذكرته وكررته ، وهو أن ملكية الإنسان للمال ملكية نسبية ناقصة ، وأنها بهذه المثابة وعلى أساس هذا الاعتبار تتعلق بها حقوق يجب أن تؤدى وتناط بها أحكام يجب أن تحترم وتلتزم . أما وسائل التملك المشروعة فأهمها العمل بكل أنواعه . والميراث كما بينه الله فى كتابه ، والوصية ، والهبة ، وإحياء الأرض الموات التى لا مالك لها . واستخراج ما فى باطن الأرض من معادن ، وهو ما يعرف باسم « الركاز » ، وإقطاع الإمام أو ولى الأمر بعض الأرض لمن يزرعها ويستثمرها .

ولا يتسع المجال اليوم لتفصيل كل ذلك . . فإلى عدد قادم بإذن الله .

عبد الرحيم فودة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من مؤلفات الإمام الراحل

الإسلام.. عقيدة وشريعة

للأستاذ عبد الجليل شلبي

يعتبر هذا الكتاب من أهم كتب المرحوم الشيخ محمود شلتوت وأوسعها انتشاراً. وهو أكثر شيوعا فى الأقطار الإسلامية الشقيقة فى آسيا وإفريقية مما يدل على أنه لبى رغبة فى نفوسهم وسد ثغرة فى ثقافتهم الدينية.

كان الشيخ قد بدأ بنشره مقالات مبسطة فى حلقات أسبوعية بجريدة الشعب وفى الإذاعة ثم زاد عليها بعد ذلك وأكملها - وكان الغرض منها إيصال هذه المعلومات الدينية إلى القراء والمستمعين الذين لم يؤتوا حظاً واسعاً من الثقافة الدينية بقصد تغذية عواطفهم وعقولهم بها ودفعهم إلى الاستزادة منها - وقد عمد إلى تبسيط أسلوبها وتهذيب عبارتها لتكون قريبة التناول خالية من جفاف عبارة الفقهاء، بل لقد اقتسمت فى كثير من الأحيان بسمة اللهجة الخطابية ويظهر أن الشيخ فى هذا الوقت كان يملى ولا يكتب، وعلى أى حال نجحت هذه الطريقة فى اجتذاب السامعين وإقبال القراء على الكتاب وجعلته فى أكثر من مواضيعه يرضى ذوق العامة والخاصة على السواء.

ولن يتسع هذا الحديث الموجز لتشريح هذا الأثر الكبير وتحليله، وإنما هى لمحات عابرة تلقى ضوءاً على طريقته وأفكاره.

تضمن عنوان الكتاب قسمين رئيسيين: قسم يعرض العقيدة الإسلامية والأساس الذى بنيت عليه، وقسم يوضح أحكام الشريعة الإسلامية وما فيها من عدالة ودقة ويسر، ويبدو أن القسم الأول ذكر استبقاء البحث حتى يكون الكتاب شاملا لجانبى الإسلام عقيدته وأحكامه لأننا نجد الأفكار التى فيه ومسائله العلمية تزدحم ازدحاما كان يتطلب شيئاً من البسط والتحليل كالذى نجده فى القسم الثانى ولو فعل ذلك لكان هذا الجزء وحده كتاباً وليته فعل فربما أخرج منه رسالة توحيد ثانية.

نهج فى هذا البحث منهج المتكلمين فاضطره هذا إلى الاحتكاك بالخلافات المذهبية بين طوائف المتكلمين ولكنه لم يشأ أن يتقيد بمذهب منها أو يذكر ما ينصره على مذهب آخر بل رأى أن يعرض عما لا ضرورة إليه من الخلافات، وهو المنهج الذى نهجه الشيخ محمد عبده فى رسالته. ولخص فكرته فى هذه الخلافات فى قوله: «إن العمليات التى لم ترد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بطريق قطعي ، أو وردت عن طريق قطعي ، ولكن لابسها احتمال فى الدلالة فاختلف فيها العلماء ليست من العقائد التى يكلفنا بها الدين والتى تعتبر حداً فاصلا بين الذين يؤمنون والذين لا يؤمنون »[1] ، ولكنه وهو يلخص مسائله الشعبة اضطره البحث أن يلم ببعض هذه الخلافات فلم يتورط فى ذكر التفاصيل أو ينحرف عن منهج الكتاب ، وإنما ذكر أساس الموضوع وأحال على الكتب الأخرى فقال : « ... وقد ذكرت كتب التوحيد ما اتفقوا عليه وما اختلفوا فيه ، وأوردت الأدلة التى استدل بها كل على ما يرى » ، أما هو فاقتصر على القدر الضرورى ، لأن الموضوع تكميلى ، ولأن الخلافات المذهبية وراء ما وضحه القرآن والسنة لا حاجه به لعامة المسلمين .

وأما القسم الثانى من الكتاب وهو قسم الشريعة فيبدو أنه كان الغرض الأساسى منه عرض فيه فروع الشريعة وأحكامها العامة وتوسع فى بعض منها وأوجز فى البعض الآخر مراعيا فى هذا حاجة جمهور المسلمين والرد على المتعصبين ضد الإسلام والطاعنين عليه من غيرهم ، وشخصية المؤلف واضحة قوية فى هذا الجزء فهو حينما يبين وجهة الشريعة فى تقنين الأحكام ويشرح فلسفتها وما فيها من جلب نفع ودفع ضرر يعتمد على تفكيره الخاص ويطول وقوفه عند الفكرة حتى تتضح وتعمق بكثرة الأدلة وجمال العرض وقوة الدليل ، وهو يتخذ أدلته من القرآن والسنة قبل كل شيء ثم من قوانين الاجتماع وسنن التطور ، وحين يحتمل الأمر أكثر من وجه أو يكون محل خلاف بين الفقهاء لا يعرض عن تشريحه كما فعل فى القسم الأول ولكنه يعرض الآراء ويوازن بينها ويرجح ما يختاره منها وإذا تأملنا موقفه من هذه الخلافات نجده يميل غالبا إلى اختيار الأيسر من الآراء مما يجعله رجل تسامح لا رجل تشديد .

لم يكن من همه أن يجعل كتابه من كتب الفقه أو أصول الفقه ، لهذا لم يقف عند كل باب من أبوابه ولم يستقص ما ذكره من الأبواب ، وإنما همه فيما ذكره أن يبين حكمة تشريعه وسر فلسفته وضرورة مراعاته ، بهذا كان الكتاب دعوة للإسلام ودفاعا عنه وردا على المفترين عليه ، وأهم الأبواب التى أولاها عناية هى الأبواب التى تحدث فيها عن المسئولية الدينية والمسئولية الجنائية وما يدخل فيها من عقوبة وقصاص والتى تحدث فيها عن الأسرة ومكانة المرأة من أسرتها ومكانتها من المجتمع كله وما خصص لها الشرع من وظائف وألقى عليها من مسئوليات .

وقد رتب على البحث فى الأسرة والمجتمع بحثه فى تكوين الأمة الإسلامية ووحدتها وعلاقة المسلمين بعضهم ببعض وعلاقتهم بالأمم والدول الأخرى وما يتصل بهذا من

(١) ص ٦٦ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قوانين المعاهدات فى الحرب والسلم وشئون التجارة والمعاملات وختم الكتاب بالبحث فى مصادر التشريع الإسلامى ، وهى الكتاب والسنة والقياس والإجماع

ويطول بى القول لو ذهبت أحلل منهجه فى كل قسم من هذه الأقسام ، ولكن ما منزلة الكتاب بين مؤلفات العصر ، وهل زاد شيئاً فى الفكر الإسلامى الحديث ؟

أهم ميزاته أنه مدن الفقه الأزهرى فرفعه عن جفاف الأسلوب وضيق الفكرة وجمود الرأى ، وهو بما يذكر من سر التشريع وفائدة العمل به يجمع بين القلب والعقل ويهيج العاطفة والشعور بجانب تلقين المعرفة وتبيين المنطق ، فتراه فى العبادات يذكر تاريخ كل عبادة ويصف ما كانت عليه عند الأمم الأخرى ، ويبين أثرها فى نفس الفرد وسلوكه وفائدتها له وللمجتمع الذى يعيش فيه ، وفى الحديث عن المرأة يبين مزية القانون الذى شرعه لها الإسلام وما حدث من ضرر بسبب الخروج عليه فيقنعها بالدليل العملى بأنه قدرها وحافظ عليها وأنصفها - وهكذا يفعل فى بقية الأبواب .

والحق أنه لم يأت فى كل هذا بجديد لم يسبق إليه أو مبتكر لم يخطر على بال الآخرين ولكن ذلك لا ينقص من قيمة الكتاب فهذا العمل فى ترتيبه وجمعه ومزج فقهه بفلسفته يعتبر جديداً . وشىء آخر وهو أنه لم يتقيد بمذهب معين وإذ لم يكن له مذهب جديد - فالعمود الذى يدور عليه بحثه هو الفقه الحنفى ولكنه يستأنس بآراء الآخرين ويستعين بها وكثيراً ما يرجحها ويأخذ بها - ويبدو تأثره بالشيخ محمد عبده ، والشيخ رشيد رضا أكثر من غيرهما ، فحديثه عن الأولياء وما يرجو العامة من بركتهم أو شفاعتهم هو حديث الشيخ رضا ، وإذ شئت قلت مدرسة ابن تيمية بأتباعها القدامى والمحدثين ، وقد جمعت هذه المدرسة من قبل مفكرين بارزين أمثال ابن القيم والآلوسى صاحب روح المعانى ، والشيخ عبد المجيد سليم وهو أستاذ شلتوت .

أما حديثه عن الإجماع وأثره فى التشريع فيكاد يكون رداً على الأستاذ على عبدالرازق أو تعديلا لفكرته وإن كان بينهما كثير من الوفاق .

هذه نظرة الطائر إلى هذا الكتاب الكبير من كتب الشيخ ، وهو عصارة أفكاره وخلاصة تجاربه وزبدة قراءاته ، وقد اشتقت منه مؤلفات أخرى أصغر اعتمدت عليه فى الفكرة وزادت عنه بسط العبارة وكثر الأدلة وإفاضة الحديث ، منها أثر القرآن فى بناء المجتمع ، وأثر القرآن فى بناء الأسرة ، والقرآن والمرأة ، والتكافل الاجتماعى فى الإسلام ... ويدل كل هذا على ما فى الكتاب من تركيز وإحاطة وشمول .

رحمه الله تعالى ونفع بعلمه المسلمين ؟

عبد الجليل شلبى
عضو المكتب الفنى لمجمع البحوث الإسلامية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الملاحم والمطولات الإسلامية في الشعر العربي

للدكتور سعد الدين الجيزاوي

— ٣ —

ومما يلفت النظر فى شعرنا الحديث ، شيوع الملاحم والمطولات .

وأول من بدأ المطولات ذات الطابع الإسلامى فى العصر الحديث هو محمود سامى البارودى فقد أنشأ قصيدة كبرى بلغت أبياتها أربعمائة وأربعين وسبعة أبيات بعنوان : « كشف الغمة فى مدح سيد الأمة » . وهى على وزن وروى قصيدة البردة المشهورة للبوصيرى وموضوعها السيرة النبوية أيضاً ، إلا أن البارودى قد شرح وفصل وضمن قصيدته معارف أكثر مما تضمنته قصيدة البوصيرى ومطلع مطولة البارودى :

يا رائد البرق : يمم دارة العلم
واحد الغمام لأقمار بذى سلم [1]

ومن المشاهد التى فصلها ، ووقف فى عرضها : مشهد الهجرة النبوية إذ صوره فى ستة عشر بيتاً ، ووقف طويلا عند غار ثور حتى لكأنه مصور يرصد حركات معركة ، وبرز فى ذلك التصوير ما كان للبارودى من صفات عسكرية مثل قوله

وسجف العنكبوت الغار مختفياً
بخيمة حاكها من أبدع الحيم
قد شد أطنابها ، فاستحكمت ورست
بالأرض ، لكنها قامت بلادعم

ثم ظهرت بعد البارودى عدة مطولات منها :

نهج البردة للمرحوم أحمد شوقى ومطلعها :

ريم على القاع بين البان والعلم
أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم [1]

وقد بلغت أبياتها تسعين ومائة بيت .

ثم همزية حافظ إبراهيم ومطلعها :

حسب القوافى وحسبى حين ألقيها
إنى إلى ساحة الفاروق أهديها [2]

وقد بلغت أبياتها سبعة وثمانين ومائة بيت .

ثم بكرية عبد الحليم المصرى ومطلعها :

---

(١) مطبوعة مستقلة عن الديوان ، مطبعة الجريدة سنة ١٣٢٧ هـ .

(١) الديوان جـ ١ ص ٢٢١ أنشدت سنة ١٩١٠ .
(٢) الديوان جـ ١ ص ٧٧ أنشدت عام ١٩١٨ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

افنى أبا بكر عليهم قوافياً
وأمطر لسانى حكمة ومعانيا (١)

وقد بلغت أبياتها أحد عشر ومائة بيت .

ثم علوية عبد المطلب ومطلعها :

أرى ابن الأرض أصغرها مقاما
فهل جعل النجوم بها مراما (٢)

وقد بلغت أبياتها سبعة وثلاثمائة بيت .

ثم مقصورة السيد رشيد رضا بلغت أبياتها أربعة وتسعين وعانى بيت (٣) ، وقصيدة كبرى للمرحوم أحمد محرم أنشأها أبان اشتعال ... الحرب العالمية الأولى عندما بدأ فى الأفق انتصار الجيوش الإسلامية ، وقد بلغت أبياتها تسعة وعشرين ومائتى بيت ، وهى ضمن مخطوطات محرم الكثيرة ، ثم ظهرت فى عام ١٩١٩ ، أرجوزة العرب الكبرى ، للمرحوم أحمد شوقى التى بلغت أبياتها ستة وعشرين وصبعمائة وألف بيت ، ثم همزية العرب فى مدح سيد العجم والعرب وقد بلغت أبياتها مائتى بيت وبيت (٤) .

ومما يلاحظ فى هذا المقام أن هذه المطولات قد أنشدت فى فترة من الزمن كانت سطوة المستعمر فى مصر قد بلغت منتهاها ، كما كانت الوطنية المصرية ، والدعوة إلى العزة العربية الإسلامية قد شقت طريقها إلى القلوب ، فأراد الشعراء أن يسهموا بنصيب ، فراحوا يبرزون أمجاد الأمة العربية ، والأبطال الإسلاميين ، ويصورون ما كان لنا من عزة وسيادة فى ظلال الدولة الإسلامية الكبرى فيما مضى ليكون من ذلك قدوة للشباب .

يقول المرحوم عبد الحميد العبادى : « ولا ندرى بالدقة الباعث لحافظ على نظم قصيدته العمرية ... فلعل الباعث له ما رآه من التياث حال العالم الإسلامى ... — إبان الحرب العالمية الأولى ، وفساد أمر الخلافة ، فأراد أن يجلو على المسلمين صورة لأعرى شخصية ظهرت فى الدولة الإسلامية وهى شخصية عمر فيكون للناشئة منها مثال يحتذى ، وينسجون على منواله ، وقد يكون حافظ أراد بنظم هذه هذه القصيدة أن ... يجرى فى غبار شوقى ولا سيما بعد أن نظم شوقى نهج البردة (١) .

ونحن نرجح الباعث الأول ، لأنه هو الذى أوحت به الظروف ، ونرجح أنه نفس الباعث الذى أوحى إلى بقية الشعراء بالسير فى هذا المضمار فى تلك الفترة من الزمن .

وفى عام ١٩٣٥ ظهرت ملحمة المرحوم أحمد محرم الكبرى ، وكانت لها هزة فى عالم الأدب .

---

(١) نشرت بجريدة الأفكار بالعدد ٢٥٢٠ مايو سنة ٩١٨ .

(٢) ص ٢٣٠ من الديوان ، أنشدت عام ١٩١٠

(٣) راجع رشيد رضا أو إخاء أربعين عاما للسيد شكيب أرسلان

(٤) للمؤيد عدد مارس سنة ١٩١٠ .

(١) حافظ وشوقى للصيرفى طبعة ١٩٤٨ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولم يكن هدف شعراء المطولات والملاحم أن يظهروا براعة فنية أو افتنانا فى صناعة لفظية ... بل كانت هذه المطولات ظاهرة طبيعية أملتها الظروف ، إذا اصبح الشعراء حريصين على أن يعبروا عن ذلك الفيض من المعانى التى انبثقت من « البعث الإسلامى » الذى صاحب تطور الحياة الفكرية فى عصرنا الحديث ، فكان لابد لهؤلاء الشعراء من البسط والتفصيل ، وكان طبيعيا أن يكثر المعروض من شعرهم فكانت هذه المطولات والملاحم وعلى الرغم من أن إلياذة محرم الكبرى لم تطبع إلى يومنا هذا[1] فإنها أحدث تطورا فى المطولات إذ أنشأ بعدها كثير من الشعراء مطولات أطلقوا عليها « ملاحم » كما سنرى ، وهو ما لم نعهده قبل ظهورها فى شعرنا الحديث .

والآن ، نعرض ملحمة أحمد محرم لأهميتها دون إطالة ، ثم ننتقل إلى ما استجد بعدها من ملاحم .

ملحمة أحمد محرم :

وإن أتاح الله ... سبحانه وتعالى إلى أحمد محرم شرف إنشاء الإلياذة فإن فكرة هذا العمل الجليل لم تنبت بادئ ذى بدء عنده ، وإنما الذى أوحى بها جندى من جنود العروبة والإسلام ، يعمل بجهد لا يعرف الملل ، ونشاط لا يعرف الكلال ، بعيداً عن ضوضاء الدعاية ... ذلك هو السيد محب الدين الخطيب .

لقد ود السيد محب الدين تنفيذ مشروعات إسلامية عديدة منها إيجاد ملحمة إسلامية كبرى تخلد أمجاد الإسلام الذى هو أجدر بالتخليد مما قام به رجال فى أمم أخرى بتخليد مآثرهم فى ملاحم كبرى كهوميروس والفردوسى .

* * *

ولقد بدأ السيد الخطيب بعرض فكرة الإلياذة الإسلامية على المرحوم شوقى بعد عودته من المنفى ، وظل يتصل به فى هذا الشأن إلى مدة طويلة ويبدو أن شوقى قد اكتفى بنظم أرجوزة العرب الكبرى (دول العرب وعظماء الإسلام)[2] . فاتجه السيد محب الدين إلى أحمد محرم ، ولم تكن الصلة بينهما وثيقة حينذاك ... وما زال به حتى اقتنع بالفكرة ، وتشبع بها وشرح الله لها صدره ، فأقبل بعقيدة راسخة ونفس راضية ، وأخذ على عاتقه القيام بهذا العمل الخطير مستلهماً القوة من وحى الرسالة النبوية الكريمة حتى هيأ الله له السبيل ، وتم على يديه ذلك العمل الأدبى الإسلامى الكبير ، ذلك التراث الخالد الذى مازال مطوياً إلى اليوم لم ينتفع به المسلمون ، ولم تزدن به المكتبات العربية .

(١) طبعت أخيرا فى يونيو ١٩٦٣ دار العروبة

(١) راجع أصداء الدين ص ٢٣٣ فهناك عرض لهذه الأرجوزة (لسعد الدين الجيزاوى).

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقد فرح الخطيب باستجابة محرم، وأكبر فيه هذا الروح السامى، ورأى من باب التقدير أن يجعل « إهداء » الجزء الثالث عشر سنة ١٣٥٤ هـ من مجلة الحديقة إليه إذ قال :

« ... لقد كنت فى مثل هذا اليوم من العام الماضى أدور بعينى فى آفاق ممالك الضاد مقسائلا عن الشاعر الذى ادخره الله لتدوين عظمة الإسلام والإشادة بحقائقه ، فى ديوان مجد تتألق به مكتبة الأدب العربى ، وقد شاءت الأقدار أن تكون هذه المأثرة لشاعر مصر الأستاذ أحمد محرم ، فشرح الله صدوره للنهوض بأعباء هذا العمل العظيم » .

وإذ كنت قد أهديت الجزء الماضى (١) من الحديقة لصاحب هذه المأثرة ، وكان اسمه لا يزال محجوباً عنا وراء سجف الغيب ، فإن ذلك لا يمنعنى أن أهدى إليه هذا الجزء وقد عرفه الناس ، فعرفوا به الأيد والقوة ، وباتوا يدعون الله له بطول العمر ، ليتمتعوا معه وأحفادهم بترتيل « ديوان مجد الإسلام » إلى يوم الدين .

ولما ذاع نبأ الإلياذة ، وإقدام محرم على إنشائها ، ثم نشر القصيدة الأولى منها (١) ... استبشر المسلمون فى مصر ، وفى العالم الإسلامى ، وانهالت رسائل التهانى على الشاعر من مصر ومن العراق ومن الهند وغيرها . ثم تلقت جريدة الفتح من مجلة « الضياء » الهندية أن شاعر الهند الإسلامى « حفيظ » قد شرع فى نظم « شاهنامة إسلامية » باللغة الأوردية ، يسجل فيها مفاخر الإسلام ، ثم أشادت الجريدة بما أذاعته الفتح من بشرى قيام شاعر مصر الكبير أحمد محرم بإنشاء إلياذة إسلامية .

وكان لهذا المقال أثره فى نفس محرم ، وتشجيعه على المضى فى هذا العمل العظيم فأنشأ قصيدة يحيى فيها شاعر الهند الإسلامى ويتعهد بإتمام مشروعه ومنها (٢) :

صوت تردد فى الآفاق يهتف بى
لا سرنى هاتف إن لم يجب أدبى
أجل ، هو الخطب إن أمسى أوائلنا
فى الهالكين ، وهم منا على كثب

* * *

للشاعر (٣) الفارسى العذر إن نزعت
به النوازع تغشى موطن الكذب

---

(١) جاء فى إهداء الجزء الثانى عشر من الحديقة « ولقد كنت حريصا على أن يكون هذا العمل المجيد من نصيب أمير الشعر شوقى ، وسعينا لذلك أكثر من مرة ولكننا أردنا وأراد الله غير الذى أردنا لأنه ادخر هذه المأثرة الكبرى لشاعر آخر لا يزال اسمه محجوبا عنا وراء سجف الغيب » ، كان شوقى قد انتقل إلى رحمة الله تعالى . وهذا الإهداء يبين لنا مدى اهتمام السيد الخطيب بتنفيذ الفكرة .

(١) كان ذلك فى سنة ١٩٣٥ .

(٢) الحديقة ١٣ ص ٤٧ .

(٣) يقصد الفردوسى فى الشاهنامة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أثنى على قومه يبغى لهم شرفا
يرجو عمارته بالمنطق الخرب
إن الألى عصفوا (بالنوبهار) هم [1]
كانوا الغياث لهم من عاصف اللهب

* * *

قال الوشاة : وفى للفرس شاعرهم
وما وفى (شاعر الإسلام والعرب)
مهلا ، فإنى لقومى إن هم التمسوا
مستودع الودمن نفسى لذو حدب
لو لم يطعنى بيانى حين أنصرهم
نصرتهم ببيان من دم سرب
إلخ ...

وسار محرم فى نظم الإلياذة حتى أكملها أربعة أجزاء فى سيرة النبى عليه الصلاة والسلام . وظن أن الهيئات الإسلامية ودور النشر ستتلقفها وتسارع إلى نشرها ، وإذاعتها ، وملء المكتبات الإسلامية بها. وأنه سيتمكن بذلك من إتمام مشروعه فى نظم الأمجاد الإسلامية ، وتسجيل عهد الراشدين والأمويين ... إلى عصرنا الحديث غير أنه صدم فى أول الطريق ، إذ طرق أبواب الأزهر ، ووزارة المعارف ، والقصر ، فلم يجدعونا . وأجحمت دور النشر بسبب ظروف الحرب وغلاء الورق ... وقد سجلت جريدة منبر الشرق تقاعد عظماء الإسلام عن مديد المعونة لهذا المشروع ولكن فى أسلوب لاذع [1] :

لا تعجبوا مما يكابد شاعر
بالعبقرية والحجا موصوف
أربى على (هومير) فى إلياذة
فيها قلائد للنهى وشنوف
نسخت بأمجاد العروبة ما ادعى
ومفاخر الإسلام ، وهى صنوف
مرحى سراة المسلمين لخطبكم
فى (طبعها) بالمال ، وهو ألوف
ما كان أكرمكم لوان وراءها
حسناء تحمل وردها وتطوف !!

وظلت الإلياذة مطوية ضمن غيرها من إنتاج محرم فى ربيع قرن [2] من الزمان ، وإن تعجب ، فإنه إلى يومنا هذا لم يكتب لهذه الإلياذة أن تطبع وتنشر وأخيراً تفضلت دار الكتب بأخذ صورة فوتوغرافية لها موجودة بدار الكتب بقسم المخطوطات المصورة لمن يريد الاطلاع عليها [3] .

سعد العريف الجزاوى

(١) يشير إلى الفتح الإسلامى وإخماد نار المجوس بالفرس .

(١) عن جريدة الصدق العدد ٤٤٤ فى ٦ يولية سنة ١٩٤٢

(٢) ١٩٢٠ - ١٩٤٠ حيث توفى الشاعر .

(٣) برقم (٢٩٤٦٨ ب) وكان ذلك عام ١٩٥٢ بعد جهود بذلتها مع المرحوم نعيم ودار الكتب والآن كبرت الصورة وصارت الأجزاء فى حجم متوسط واضح .

وأخيراً طبعت هذه الإلياذة ونشرت فى يونية سنة ١٩٦٣ (دار العروبة) .

الأزهر وقضايانا القومية

للأستاذ تحسين عبد الحق

تجتاز الأمة العربية - فى مرحلتها النضالية الحالية - أعظم وأدق مرحلة فى تاريخها الحديث - فإلى جانب نضالها الطويل المستمر ضد الاستعمار نراها اليوم تتحرك تجاه نضال أعنف وأشد - هو نضال جماهيرنا من المحيط إلى الخليج من نفسها ...

ولا شك أن مرحلة النضال المصرى القائمة فى أماكن متفرقة من وطننا - والتى تحكمها تيارات كثيرة - وافدة - تحتاج منا إلى العمل السريع المباشر - حتى لا تضيع أمتنا فى متاهات التناقض الذى يسود عالم اليوم .

إننا حملة رسالة - وأصحاب قيم ومثل عليا . وقيمنا تنبع من أننا أمة حملة رسالة المحبة والسلام والعدل والمساواة فى وقت كانت تصطرع فيه أكبر امبراطوريتين فى العالم هما امبراطوريتا الفرس والرومان - ومن خلال تمسكنا وإيماننا برسالتنا - استطعنا - أن نقدم إلى العالم وقتها أطول فترة من السلام القائم على العدل فى التاريخ ...

واليوم - تجتاح عالمنا - نفس الظروف - وإن اختلفت المسميات فمن الشرق تهب ريح المادية ... ومن الغرب تهدر أمواج السيطرة والتسلط - المدعمة بالتحلل الأخلاقى والمعنوى - محاولة ابتلاع كل من يقف فى طريقها ...

ووضعت النظريات - وفسرت المفاهيم - على أسس نفعية مصلحية - ولا نعتقد أن هناك من يختلف معنا على أن كلا من النظامين الماركسى والرأسمالى قد فشلا فشلا ذريعاً فى ضمان الحياة الروحية وصيانتها لإنسان اليوم ...

ولا أظننى مغالياً إذا ما ذكرت أن التاريخ يحملنا - مرة أخرى - مسئولية التوفيق بين المطالب المادية الذاتية للفرد وبين قيمه ومثله العليا - حتى يستطيع أن يحيا حياة إنسانية روحية .

ولقد وحد العرب صفوفهم وقضوا على الفتنة فيما بينهم فحاربوا المرتدين منهم - وأخمدوا بؤرة الفساد فى الجزيرة العربية - وهم اليهود - وذلك قبل أن يبدءوا العمل على نشر ما آمنوا به على غيرهم من الناس .

وكان الإيمان والوحدة - والقضاء على الدخيل - السبب الرئيسى فى مساعدتهم على نشر مبادئهم فى كل مكان ...

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وكان الإيمان بمبادئ الإسلام كدين وحياة هو المنطلق الأساسي لكل منجزاتهم في مختلف الميادين ...

وأمتنا العربية - أقرب ما تكون في مرحلة تتشابه فيها مع مرحلة الكفاح ضد يهود الجزيرة العربية - وفترة حروب الردة .

وسوف يكون في مقدورها بعد الانتهاء من ذلك أن تكون مهيئة - فكرياً - وحضارياً لتقديم تجربتها الحيوية الجديدة كنموذج لما ينبغي أن تكون عليه حياة إنسان القرن العشرين ...

والفرق الوحيد - الخطير - بين أمتنا في حاضرها وبينها في ماضيها - هو ضعف عنصر الإيمان بالدين والقيم والمثل العليا الإسلامية .

ومن هنا تأتي مسئوليات الأزهر التاريخية كأقدم وأكبر جامعة إسلامية في العالم - تجاه قضايانا القومية ...

ولا شك أن مفهوم قضايانا القومية - يجب ألا ينحصر - إقليميا في الحدود الطبيعية لوطننا الممتد من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي وبرغم - أن المجهودات البناءة - يمكن أن توجه - بالدرجة الأولى إلى ما بين تلك الحدود ... إلا أن طبيعة الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية - التي يعيشها عالم اليوم تتشعب بصورة تلقائية في اتجاهات متعددة - تؤثر كل منها في الأخرى وكثيراً ما تؤثر الأعمال الخارجية - بنسب متفاوتة - في تدعيم أو خلخلة الأوضاع الداخلية الإقليمية ...

وقياساً على هذا المعنى فإنه - ما دمنا نحن متفقين على أن القضية الفلسطينية مثلا - قضية من أهم قضايانا القومية وأخطرها - والتي يجب أن نعد لها إعداداً علمياً منظما في مختلف المجالات - داخلياً وخارجياً ... وإذا كنا متفقين كذلك على أن وضع اليهود في قلب وطننا العربي على هذه الصورة - بغض النظر - عن ظروف وجوده وملابساته إنما يشكل بالنسبة لنا - خطراً - متحركا يستطيع أن يؤثر مستقبلا في وجودنا نفسه .

كما كان يمثل خطراً على - الإسلام في مراحل الدعوة الأولى - في الجزيرة العربية ...

آمن المسلمون - وقتذاك - أن القضاء عليه هو واجب من صميم واجبات الجهاد في سبيل الله ... فإن من الأجدر بنا الآن ألا نعطي - وجود اليهود - في قلب وطننا - وفي أرض فلسطين المقدسة طابع العداء القومي العربي - فقط - وإنما يجب أن نؤمن بذلك كقضية قومية - ودينية - يكون لها نفس الطابع والمستوى الذي نظر به المسلمون الأوائل إليها ... ونود أن نؤكد أن مجرد تطبيق هذه النظرة من الوجهة الدينية على اليهود - برغم تأثيره المباشر في الداخل - سوف يكون ذا تأثير بعيد المدى في الخارج أيضاً .

والخارج الذي أعنيه ... هو الشعوب الإسلامية والمسلمون في جميع أنحاء العالم .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى نطاق العمل الداخلى .. يستطيع الأزهر أن يتزعم الدعوة إلى إقامة - أسبوع - من كل عام يطلق عليه - أسبوع فلسطين - وذلك بالتعاون مع وزارة الأوقاف ووزارة الثقافة والإرشاد القومى ... ودور الأزهر فى ذلك يكون دور القيادة الفكرية - وعلى هاتين الأخيرتين تنفيذ ذلك بوسائلهما الخاصة والعامة وكل منهما تخاطب جمهورها الذى تتعامل معه ... بالأجهزة التابعة لها ...

وفى هذا الأسبوع المقترح - تدرس القضية الفلسطينية من وجهة النظر القومية والدينية فى المساجد - وفى جميع قرى الجمهورية العربية المتحدة - ويخطب لها فى جمعتين - الجمعة الأولى فى بدايته - والجمعة الثانية فى نهايته ... ومن خلال ذلك سوف يتفهم أولئك الذين ما زالوا لا يعرفون شيئاً عن القضية الفلسطينية - فى أعماق الريف - الكثير منها - وفى مجال العمل الخارجى . يستطيع الإيمان بوجهة النظر الدينية الإسلامية فى اليهود - وفى القضية الفلسطينية - أن يقف حجر عثر فى سبيل الدعاية الصهيونية - اليهودية فى أماكن متفرقة من العالم . . وبخاصة فى آسيا وإفريقيا .

إن اليهود الصهاينة - يعتمدون الآن - على بعض الدول الإفريقية مثلا - فى كسر حلقة الحصار العربى - الذى يكاد يودى بها اقتصادياً وذلك عن طريق منظماتهم المتعددة فى القارة . . والذين ينتظمون فى سلك الجمعيات اليهودية الآن - كل مؤهلاتهم فى الانضمام إليها - هو أنهم يهود . . أى الطابع الدينى - أولا - فلماذا لا نواجههم بنفس سلاحهم ولنا القدرة المادية .. والغلبة البشرية - وذلك لكثرة المسلمين فى إفريقيا .

إن عدد المسلمين فى إفريقيا يتراوح اليوم بين ٨٥ ، ٩٥ مليوناً من المسلمين أى بنسبة ٣٤ أو ٣٥ ٪ تلك النسبة التى تشكل على وجه التقريب حوالى ثلث سكان القارة .

والدول الإسلامية التى يتخذ فيها الإسلام طابع الأغلبية المطلقة والذى يصبح فيها تلقائيا - الدين القومى . . كثيرة تبلغ - اثنتى عشرة دولة مستقلة فى إفريقيا الشمالية - هى الدول العربية الست ثم ، دول الصحراء والساحل مثل - موريتانيا ، ومالى، والنيجر والصومال ، والسنغال ، وغينيا - ومن الملاحظ أنها جميعاً عدا الصومال - تمثل كتلة واحدة متصلة - مشتركة الحدود .

والصومال - تنفرد بميزة خاصة وهى أن ٩٩ ٪ من سكانها مسلمون - وفى نيجريا الشمالية - حوالى ٨٠ ٪ مسلمون ويبلغ المسلمون نصف سكان أثيوبيا - وفى شرق إفريقيا - وفى موزمبيق ما يقرب من ثلاثة ملايين مسلم .

فإذا استطاع الأزهر - بما يمثله فى أذهان مسلمى العالم - وفى إفريقيا بنوع خاص - أن يقود الدعوة المضادة ضد اليهود فى فلسطين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

دينيا .. عند مسلمى إفريقيا - فسوف يكون لذلك تأثيره المباشر فى مجال القضاء على النفوذ اليهودى الإسرائيلى - فى أجزاء متعددة من القارة - مما يدعم قضيتنا - قومياً - وعالمياً . وذلك تمهيداً للقضاء عليها - والجهاد ضدها - فى سبيل دعم الإسلام والقومية العربية .

وكما نطالب - بتكتيل قوى الإسلام والمسلمين فى الجهاد ضد اليهود فى فلسطين - فنطالب بألا يترك - أولئك المسلمون - نهباً لنشاط الإرساليات التبشيرية - التى ثبت للجميع بطريقة لا يتطرق إليها الشك - أنها لا تخدم أغراضا - دينية إنسانية - بقدر ما تخدم أغراضا اقتصادية احتكارية - تبغى السيطرة على أرزاق المسلمين الإفريقيين ومقدراتهم - فى الوقت الذى يبارك فيه كثير من هذه الإرساليات التبشيرية - التفرقة العنصرية - فى إفريقيا - وتدعمها . بل تسخر المسلمين الإفريقيين فى إنشاء الكنائس الضخمة والأحياء السكنية . .

ونشاط هذه الإرساليات فى بلد - مثل الصومال - واضح أشد الوضوح فهى تحاول - نشر المسيحية بين المسلمين من أهالى البلاد - حيث لا توجد وثنية ولا ديانات أخرى - مستغلة فى ذلك فقر الشعب وحاجته إلى الخدمات العامة والرعاية الصحية - وبالرغم من ذلك فلم يتح لها إلا نجاح محدود ! !

وتنتشر فى الصومال المسلم - الآن ، الإرساليات البروتستانتية الأمريكية ... والتى بمهاجمة الإسلام وعقائده علنا وكذلك اللغة العربية وثقافتها - أصبحت هذه الإرساليات مركزاً للدعوة الاستعمارية السياسية التى تهدف إلى كتابة اللغة الصومالية بحروف لاتينية .

وقد اتضح أن جميع الإرساليات التبشيرية الأمريكية التى تزاول نشاطها فى الصومال تخضع لإشراف سفير الولايات المتحدة فى أديس أبابا . إنها تعتبر نقطة ارتكاز الولايات المتحدة فى قلب قارة إفريقيا ، وإن سفيرها فى أديس أبابا - كان قسيسا من رجال الإرساليات التبشيرية . إننا لسنا ضد المسيحية .. ولكننا ضد أولئك الذين يستخدمونها وسيلة لخدمة المصالح الاستعمارية .

ومن ثم وجب علينا - وعلى الأزهر بالذات - أن يدخل المعارك الكثيرة المتعددة - وبقدم واعية - وبأسلوب مرن حتى يستطيع أن يوفى بالتزاماته القومية ، تلك الالتزامات التى تتلخص فى تكتيل المسلمين وتقويتهم فى جميع أنحاء العالم إزاء اليهود فى فلسطين كخطر يهدد الإسلام فى أرض مقدسة له ... ويدعم الإسلام والمسلمين بالفكر الدينى المستنير ليواجهوا - حركات الالتفات الجديدة حول القيم والمثل العليا الإسلامية ... والأزهر فى هذا المجال إنما يخدم قضايا الدين الإسلامى والحرية ، والسلام ، والإنسان فى العالم .

تحسين عبد الحى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عبد القاهر الجرجاني وآراؤه في الشعر والشعراء

للأستاذ الدكتور أحمد أحمد بدوي

— ٢ —

والبحتري في بعض الأحيان من الشعر ما يشبه السحر ، كقوله :

وسأستقل لك الدموع صبابة
ولو ان دجلة لي عليك دموع (١)

وهو من أجل ذلك يكثر من الاستشهاد بشعره ، والوقوف عنده لتحليله ، وبيان سر جماله ، فتراه مثلا عند ما أراد أن يبين أثر (التمثيل) في النفس ، وأنه يحرك القلوب ويملك أعنتها ، أورد قول البحتري :

دان على أيدي الصفاة ، وشاسع
عن كل ند في الورى وضريب
كالبدر : أفرط في العلو ، وضوءه
للعصبة السارين جد قريب

وشرح ذلك قائلا : فكر في حالك وحال المعنى معك ، وأنت في البيت الأول ، لم تفتقه إلى الثاني ، ولم تتدبر نصرته إياه . وتمثيله له فيما يملي على الإنسان عيناه ، ويؤدي إليه ناظراه ، ثم قسمها على الحال ، وقد وقفت عليه ، وتأملت طرفيه ، فإنك تعلم بعد ما بين حالتيك ، وشدة تفاوتهما في تمكن المعنى لديك ، وتحبيبه إليك ، وتيله في نفسك ، وتوفيره لأنسك (٢) .

ويقف معجبا بقوله :

إذا ما نهى الناهي ؛ فلج بي الهوى
أصاخت إلى الواشي : فلج بها الهجر (٣)

وقوله :

إذا احتربت يوما ؛ ففاضت دموعها
تذكرت القربى ؛ ففاضت دموعها (٣)

ويحلل قوله :

إذا بعدت أبلت ، وإن قربت شفت
فهجرانها يبلي ، ولقيانها يشفي

إذ يذكر أنه قد علم أن المعنى : إ[redacted] حتى أبلتني ، وإن قربت مني شفتني ؛ إلا أنك تجد الشعر يأبى ذكر ذلك ويوجب اطراحه وذلك لأنه أراد أن يجعل البلى كأنه واجب في بعادها أن يوجبه ويحببه ، وكأنه كالطبيعة فيه ، وكذلك حال الشفاء مع القرب ، حتى

(١) دلائل الإعجاز ص ٤٢١ .

(١) أسرار البلاغة ص ٩٨

(٢ و ٣) دلائل الإعجاز ص ٧٤ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كأنه قال : أتدرى ما بعادها ؟ هو الداء المضنى . وما قربها ؟ هو الشفاء والبرء من كل داء ، ولا سبيل لك إلى هذه اللطيفة ، وهذه النكتة إلا بحذف المفعول البتة ، فاعرفه [1].

ويجد البحترى يصل إلى معان نادرة ، عند ما يحذف أو يذكر ؛ فيرى من النادر اللطيف الذى ينطوى على معنى دقيق ، وفائدة جليلة قوله :

قد طلبنا . فلم نجد لك فى السؤ

دد ، والمجد ، والمكارم مثلا

فإن المعنى قد طلبنا لك مثلا ، ثم حذف ، لأن ذكره فى الثانى يدل عليه ؛ ثم إن فى المجىء به كذلك من الحسن والمزية والروعة ما لا يخفى ، ولو أنه قال : طلبنا لك فى السؤدد والمجد والمكارم مثلا ، فلم نجده ، لم تر من هذا الحسن الذى تراه شيئا [2] .

ويجد من الجناس الجيد قول البحترى :

يعشى عن المجد الغبى ، ولن ترى

فى سؤدد أربا لغير أريب [3]

ويفسر عبد القاهر رأى البحترى فى جوهر الشعر ، ويوجه قوله :

كلفتمونا حدود منطقكم

فى الشعر ، يكفى عن صدقه كذبه

فيرى أن البحترى أراد كلفتمونا أن نجرى مقاييس الشعر على حدود المنطق ، ونأخذ نفوسنا بالقول المحقق ، حتى لا ندعى إلا ما يقوم عليه من العقل برهان يقطع به ، ويلجئ إلى موجبه ، مع أن الشعر يكفى فيه التخييل ؛ والذهاب بالنفس إلى ما تزتاح إليه من التعليل [1] .

وإذا كان المتنبى يحتاج فى بعض شعره إلى التريث ليفهم ، فكذلك البحترى بعض شعر من ذلك النوع ، كقوله :

ضحوك إلى الأبطال وهو يرونهم

وللسيف حدين يسطوورونق [2]

ولم يورد عبد القاهر شعراً معقداً للبحترى كتعقيد شعر المتنبى .

وعقد عبد القاهر بعض الموازنات بين البحترى وأبى تمام حيناً ، وبينه وبين ابن الرومى حيناً آخر .

وهو ممن يرون تقديم البحترى على أبى تمام ، وهو لذلك ينقل عن الآمدى ما يفصح عن هذا الرأى ، كما فعل عند ما روى قول البحترى :

فصاغ ما صاغ من تبر ومن ورق

وحاك ما حاك من وشى وديباج

وأورد قول الآمدى : صوغ الغوث وحوكه النبات ليس باستعارة ، ولكنه حقيقة ، ولذلك لا يقال : كأنه صائغ ؛ وكذلك

(١) المرجع السابق ص ١٢٥ .
(٢) دلائل الإعجاز ص ١٢٩ .
(٣) أسرار البلاغة ص ٨ .

(١) المرجع السابق ص ٢٣٠ .
(٢) المرجع السابق ص ١١٩ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لا يقال : كأنه حائك ؛ على أن لفظة (حائك خاصة فى غاية الركاكة ، إذا أخرج على ما أخرجه عليه أبو تمام فى قوله :

إذا الغيث غادى نسجه خلت أنه
مضت حقب حرس له وهو حائك[1]

وهذا قبيح جداً . والذى قاله البحترى : (حاك ما حاك) حسن مستعمل ، فانظر ما بين الكلامين ؛ لتعلم ما بين الرجلين[2] .

ينقل عبد القاهر ذلك مقراً له ؛ كما يوازن بينهما حين يعرض قول أبى تمام :

قريب الندى نائى المحل كأنه
هلال قريب النور ، نأى منازله

ويرى تنكير كلمة (هلال) مستكرها نابيا يتظلم منه المعنى وينكره ، ويرى سبب ذلك يعود إلى أنه يوهم بظاهره أن ههنا أهلة ليس لها هذا الحكم ، أعنى أنه يقتضى مكانه ، ويدنو نوره ، وذلك محال ؛ لأن وصف النكرة بصفة يقيد هذه النكرة ، ويخرج مالا يتصف بهذه الصفة ؛ ولذلك كان تنكير (هلال) هنا فى غير موضعه ، وكان الذى يستقيم عليه الكلام أن يؤتى به معرفا ، على حده فى بيت البحترى .

كالبدر أفرط فى العلو ، وضوءه
لعصبة السارين جد قريب[3]

ولكن حب عبد القاهر البحترى لم يحل بينه وبين أن يفضل عليه ابن الرومى فى معنى تواردا عليه معا ، حين شبه البحترى الليل بالمداد ، فقال :

على باب ، قنسرين ، والليل لاطخ
جوانبه من ظلمة بمداد

فقال : إن هذا المعنى ضعيف ، لأن المداد ليس من الأشياء التى لا مزيد عليها فى السواد ، كيف ورب مداد فاقد اللون . والليل بالسواد وشدته أحق وأحرى أن يكون مثلا ؛ ولذلك فضل عليه عبد القاهر قول ابن الرومى :

حبر أبى حفص لعاب الليل
يسيل للإخوان أى سيل

فبالغ فى وصف الحبر بالسواد حين شبهه بالليل ..

ومع ذلك يلتمس العذر للبحترى ؛ فيرى أن البحترى كأنه نظر إلى قول العامة فى الشئ الأسود : هو كالنفس ، ثم تركه للقافية[1] .

وكذلك يروى أيضا نقد الآمدى للبحترى فى قوله :

فكأن مجلسه المحجب محفل
وكأن خلوته الخفية مشهد

من أن المكان لا يسمى مجلسا إلا وفيه قول[2] .

---

(١) الحرس (بفتح الحاء) : الدهر .
(٢) أسرار البلاغة ص ٣٢٩ .
(٣) أسرار البلاغة ص ٢٢٢ .

---

(١) المرجع السابق ص ١٩٢ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٠٠ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هذا وعبد القاهر معجب بوصف البحترى للبلاغة ، إذ يقول :

فى نظام من البلاغة ما شـ
ـك امرؤ أنه نظام فريد
وبديع كأنه الزهر الضا
حك فى رونق الربيع الجديد
مشرق فى جوانب السمع ما يخـ
ـلقه عوده على المستعيد
حجج تخرس الألد بألفا
ظ فرادى كالجوهر المعدود
ومعان لو فصلتها القوافى
جئنت شعر جرول [1] ولبيد
حزن مستعمل الكلام اختيارا
وتجنبن ظلمة التعقيد
وركبن اللفظ القريب ، فأدركـ
ـن به غاية المرام البعيد [2]

وإعجابه بهذا الوصف يدل على اتفاقه مع البحترى فى نظرته إلى البلاغة .

ويستشهد عبد القاهر بشعر أبى تمام ، كما استشهد بشعر المتنبى والبحترى ؛ ففى باب الاستعارة يستشهد بقوله :

وقد نثرتهم روعة ثم أحدقوا
به ، مثلما ألفت عقدا منظما [3]

وعندما تحدث عن أثر التمثيل فى النفس أورد شعر البحترى الذى سبق أن ذكرناه ، وأورد شعر أبى تمام قائلا : تأمل بيت أبى تمام :

وإذا أراد الله نشر فضيلة
طويت أتاح لها لسان حسود

مقطوعا عن البيت الذى يليه ، والتمثيل الذى يؤديه ، واستقص فى تعرف قيمته ، على وضوح معناه وحسن مزيته ، ثم أتبعه إياه :

لولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يعرف طيب عرف العود

وانظر هل نشر المعنى تمام حلته ، وأظهر المكنون من حسنه وزينته ، وعطرك بعرف عوده ، وأراك النضرة فى عوده ، وطلع عليك من مطلع سعوده ، واستكمل فضله فى النفس ونبله ، واستحق التقديم كله ، إلا بالبيت الأخير ، وما فيه من التمثيل والتصوير (١) .

وكذلك يستشهد بقوله :

وطول مقام المرء فى الحى مخلق
لديباجتيه ، فاغترب تتجدد
فإنى رأيت الشمس زيدت محبة
إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد [2]

إلى غير ذلك من أمثلة يسوقها فى غير موضع .

---

(١) جرول : هو الحطيئة .

(٢) دلائل الإعجاز ص ٣٩٧ .

(٣) أسرار البلاغة ص ٤٢

(١) أسرار البلاغة ص ١٠٠ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٦ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويقف كذلك عند شعره يشرحه ويحلله، فعند ما عرض قوله:

وغيرى يأكل المعروف سحتا
وتشحب[1] عنده بيض الأيادى

قال: لم يرد أبو تمام أن يعرض مثلا بشاعر سواه، بل ليس إلا أنه نفى عن نفسه أن يكون ممن يكفر النعمة، ويلوم[2].

ولكن عبد القاهر يرى أنه قد وقع فى ضرب من التهوس عندما قال: «وأنت أنزر من لا شىء فى العدد»[3].

ويرى أنه قد جنى عليه التهاون، وفساد الذوق، «حتى صار ما ينعى عليه منه أبلغ شىء فى بسط لسان القادح فيه، والمنكر لفضله، وأخصر حجة للمتعصب عليه، وذلك أنه لم يبال فى كثير من مخاطبات الممدوح بتحسين ظاهر اللفظ، كقوله:

وإذا ما أردت كنت رشاء
وإذا ما أردت كنت قليباً[4]

فصك وجه الممدوح، كما ترى، بأنه رشاء وقليب، ولم يحتشم أن قال:

ما زال يهذى بالمكارم والعلا
حتى ظننا أنه محموم

فجعله يهذى، وجعل عليه الحمى، وظن أنه إذا حصل له المبالغة فى إثبات المكارم له، وجعلها مستبدة بأفكاره وخواطره، حتى لا يصدر عنه غيرها، فلا ضير أن يتلقاه بمثل هذا الخطاب الجافى، والمدح المتناقض[5].

ويسجل له التعقيد فى قوله:

يهدى لمن شاء رهن لم يذق جرعا
من راحتيك درى ما الصاب والعسل[3]

ويراه يركب الوعر، ويسلك المسالك المجهولة، عندما قال:

سيف الإمام الذى سمته هيبته
لما تخرم أهل الأرض مخترما[3]

قررت «بقران» عين الدين، وانتشرت
بالأشترين عيون الشرك، فاصطلما[4]

وعندما قال:

ذهبت بمذهبه السماحة، والتوت
فيه الظنون: أمذهب أم مذهب[5]

(البحث بقية)

الدكتور أحمد أحمد بدوى

---

(١) أسرار البلاغة ص ٢٢٠.
(٢) دلائل الإعجاز ص٦٦. والصاب شجر مر.
(٣) خرمهم: استأصلهم.
(٤) قران: مدينة. والأشتران: مالك ابن الحارث وابنه. واصطلمه: استأصله.
(٥) دلائل الإعجاز ص ٤٠٢.

(١) شحب لونه: تغير.
(٢) دلائل الإعجاز ص١٠٧.
(٣) أسرار البلاغة ص ٩٥.
(٤) الرشاء: حبل الدلو. والقليب البئر.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الثورة الثقافية في الإسلام

للأستاذ حسن فتح الباب

تشهد حركة التاريخ وما سجلت صفحاته من وقائع وأحداث أن دعوة الإسلام التي بشر بها محمد عليه الصلاة والسلام في القرن السابع الميلادي، كانت ثورة اجتماعية شاملة بأجلى معانيها، قصد بها المشرع الحكيم أن يربط الأرض برسالة السماء من طريق صلاح النفس وصلاح المجتمع. فلا غرو أن تقترن الدعوة منذ بدايتها بالنهضة الثقافية، وأن تكون هذه النهضة إحدى السبل الجوهرية لتحطيم الطغيان، وإقامة العدل، وإتاحة فرص الحياة للمحرومين، وإرساء مبادئ الحق والمساواة بين العالمين.

ذلك أن نشر الثقافة الصحيحة والمعرفة الشاملة هو الدعامة القوية التي يستند إليها الإيمان الحق بالإسلام، وهو السلاح الذي يقل أباطيل المضللين ويكشف زيف المرجفين ويمهد السبيل لخلق واقع جديد للمجتمع يسير في هداه حتى يبلغ غايته السامية في توحيد أفراده وضمان الخير والعزة لهم.

لقد وعت رسالة الإسلام الدور الضخم الذي يؤديه العلم في بناء الفرد وهو وحدة الأسرة التي تشكل خلية المجتمع، وأدركت ما يفتحه العلم من آفاق رحيبة نحو مستقبل كريم للإنسان، وما يفجره من طاقات خلاقة في الأفراد والجماعات، ففتحت المغالق والسدود التي كانت تقف حائلا في سبيل العلم ومهدت له الطريق ليتسلل إلى كل عقل كي يتهيأ لاستقبال الدعوة الإسلامية والإيمان بها، فإذا تمت له نعمة الهداية أصبح عضواً نافعاً في مجتمعه واستطاع أن يشارك في العمل الجاهي لتطوير هذا المجتمع الذي يسعى بدوره إلى تطوير المجتمعات الأخرى لأنه يؤمن أن العالم وحدة واحدة وأن رسالة الإسلام رسالة إنسانية شاملة.

تلك هي المقاصد الرئيسية التي توخاها الإسلام في ثورته الثقافية، فالعلم الحق هو الطريق القويم إلى معرفة الله والإيمان به، وهو سبيل الدولة حكوما وشعبا إلى الرفعة والعزة والرخاء، وهو أمل البشرية كافة في تحررها وتقدمها ووحدتها، ومن ثم كان العلم - وهو أكبر روافد الثقافة - حجر الزاوية في الدعوة الإسلامية.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والشواهد على قيام الدعوة الإسلامية على أساس من العلم والثقافة لا تقع تحت حصر ، وحسبنا أن نشير هنا إلى أن آية الرسول الأولى ومعجزته الخالدة هى « القرآن » الذى حوى من العلم كل شئ « كتاب فصلت آياته » وأن أول ما أنزل من آيات البيانات على رسوله الكريم قوله تعالى :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » .

ومن ثم فإن العلم هو دعامة أساسية فى بناء العقيدة الإسلامية ، وهو نقطة انطلاقها إلى آفاق العالم الفسيحة لتصبح حضارة إنسانية خصبة تغنى البشرية وتهديها سواء السبيل .

ولقد تواتر ذكر العلم فى القرآن الكريم تنبيها للأذهان وحثا لها على التفكير ، فمن خلال التأمل فى خلق السموات والأرض وإعمال الفكر فى أسرار الوجود وما تدل عليه من وجود الله يولد الإيمان الحق ، ويثبت فى النفوس معناه وتزدهر حكمته .

رسالة الإسلام عقيدة وحضارة .

ولا عجب أن يبدأ الإسلام بالدعوة إلى العلم والإشادة بأصحابه ، إذ كانت الرسالة التى بعث بها محمد رسالة عقيدة وحضارة جاءت لتهدم القيم البالية والمعتقدات الزائفة وترسى على أنقاضها قيما صحيحة ومفاهيم رشيدة .

وكانت الخطوة الأولى فى سبيل نشر هذه الرسالة تحرير الجزيرة العربية وبعثها من ظلمات الضلال والأوهام إلى نور الحقائق الدينية والدنيوية ، إذ كان العرب فى جاهليتهم بمعزل عن التيار الحضارى السائد فى بعض مناطق العالم فى ذلك الحين بحكم بيئتهم الصحراوية المغلقة ، وانعدام السبيل إلى موارد الثقافة البعيدة ، فضلا عن طبيعة الحياة الفطرية وما تتسم به من عدم الاستقرار بحثا عن أسباب العيش .

ولئن أثبت التاريخ أن العرب قبل الإسلام كانوا على صلات تجارية بدولتى الفرس والروم المتخاصمين للجزيرة العربية ، فمن الثابت كذلك أن حضارة هذه الشعوب كانت تمر بمرحلة غروب واحتضار كما يطلق عليها فى المصطلح الحديث ، ومن ثم كانت عاجزة عن النهوض العلمى بأهلها بل بالغرباء من أبناء الشعوب المجاورة .

وهكذا خيمت ضلالات الجهالة على العرب قبل الإسلام حتى كان المتعلمون منهم قلة بلغت من الندرة حدا لا يقاس عليه ، وكان حظها من التعليم نزرا يسيرا لا يتجاوز الإلمام بمبادئ القراءة والكتابة ، فضلا لا يتعدى القشور .

أما ما عرف عن العرب فى عصر الجاهلية من بلاغة القول فى خطبهم ومواعظهم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأشعارهم التى كانوا يرتجلونها فى المواسم والأسواق ، فتلك موهبة فطرية لا ترقى بهم إلى مصاف العلم ، وليس بوسعها — وحدها أن تشكل ثقافة عميقة تنبع منها جداول الفكر والحضارة .

التدوين عماد النهضة العلمية :

ذلك أن عماد العلم والثقافة هو التدوين ، وكان قاصراً على رجال معدودين من قريش وردت أسماؤهم فى التاريخ على سبيل الحصر ، منهم الخلفاء الراشدون : عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى ابن أبى طالب وأربع عشرة رجلا غيرهم . ولقد أصبح هؤلاء الرجال بعد إسلامهم أوائل الرواد المسلمين فى النهضة العلمية بإرشاد الرسول صلى الله عليه وسلم فقد اختار منهم كتاب الوحى ، وأوفد طلائعهم لبث الدعـــوة إلى الدين الجديد .

كرامة العـــلم والعلماء :

ولقد أقسم الله فى كتابه العزيز بالقلم ، ووصف ذاته سبحانه فى كثير من الآيات بالعليم ، وقال تعالى : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » . « وما يعقلها إلا العالمون » . « إنما يخشى الله من عباده العلماء » . وكفى بهذا تكريما للعلم وتعظيما للعلماء .

وبوحى من آيات الله البينات ، جاءت الأحاديث الشريفة داعية إلى العلم سبيلا لبلوغ الغايات السامية فى الإسلام وهى هداية الناس وتحقيق الخير والرفاهية لهم فى ظل العقيدة السمحة . فحث الرسول الكريم على طلب العلم بقوله : « لا بارك الله فى يوم لا أزداد فيه علماً » . وجاء فى الأثر حثاً على التماس العلم فى مظانه مهما بعدت المناهل وشق السبيل « اطلبوا العلم ولو فى الصين » .

وإذا ذكرنا المدى الشاسع الذى كان يفصل الجزيرة العربية عن الصين ، واعتماد الاتصال بين الشعوب فى ذلك العصر على الوسائل البدائية ، وما يعانيه المسافر ، فضلا عن مخاطر الطريق من فرقة الأهل والأحباب ، والبعد عن موارد الرزق ومواطنه ، أدركنا قيمة العلم الكبرى فى الإسلام .

ويكفى مصداقا لذلك أن نذكر ما عرضه الرسول على أسرى المشركين فى غزوة بدر من إطلاق سراح من يفتدى منهم نفسه بتعليم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة ، ففى الحق أنها أشبه بفدية النفس بالنفس كما تقضى قواعد الفداء التى شرعها الإسلام فالجهل عدو النفس البشرية وملقيها فى ركام العدم ، ولكى تبنى دولة عليك أن تحرر النفوس من عبودية الجهالة وتضىء بصيرتها بنور المعرفة فتبعثها من الموت إلى الحياة .

معركة فى سبيل العلم :

وفى سبيل هذه القضية الكبرى ، قضية العلم والثقافة ، شحذ الإسلام أمضى أسلحته لقهر أعدائها وفتح الطريق لأنصارها من أبنائه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المخلصين ، ووجه هؤلاء الأبناء لخوض معركتهم الجليلة فى كل مكان حتى يرتفع بناء الفكر المتحرر المستنير ، وينقشع ضباب الجهل المخيم على بقاع كثيرة فى الأرض ، وكافح هؤلاء الأبطال كفاحا متصلا حتى أصبح منهم القادة الهداة والعلماء المصلحون .

ولا عجب إذن أن يدعو الإسلام إلى العلم والثقافة دعوته إلى الجهاد فى سبيل الله ، وأن يشترط فى داعية الفكر ما يشترطه فى المجاهد من الإيمان بقداسة الرسالة العليا ، أسلوبا وعملا وغاية ، وأن يجعل منزلته إذا أدركته منيته وهو يذود عن رسالته منزلة الشهداء فى معارك الدفاع عن الإسلام .

وحسبنا فى هذا المقال أن نذكر قول الله عز وجل : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة . فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم » ، ونذكر قول رسوله عليه السلام : « تعلموا العلم ، فإن تعلمه خشية ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة » . وقوله : (من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة) .

ولقد فضل الإسلام العالم على العابد فى قوله صلى الله عليه وسلم (ساعة عالم متكىء على فراشه ينظر فى علمه خير من عبادة العابد ستين يوما) ، وقوله : (حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة ، وعيادة ألف مريض ، وشهود ألف جنازة) ، قيل : « يا رسول الله ، ومن قراءة القرآن ؟ » ، فقال عليه الصلاة والسلام : (وهل ينفع القرآن إلا بالعلم) .

ويقول الرسول فى فضل العلماء (إن مثل العلماء فى الأرض كمثل النجوم يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر ، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة) ، (لموت قبيلة خير من موت عالم) .

بل لقد جعل الإسلام مرتبة العلماء تعقب مرتبة الأنبياء وتسبق مرتبة الشهداء ، فقال صلى الله عليه وسلم (يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء) ومن قوله عليه السلام فى فضل العلماء حين يتولون مراكز القيادة وخسارة الأمة بفقدهم : (إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور العلماء ولكنه يقبض العلم بموت العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا) .

التثقيف العلمى فى بيوت الله :

ومن آيات الإسلام فى تكريم العلم والعلماء أن جعل من بيوت الله المقدسة مدارس التعليم والتثقيف ، وتلك أبلغ دلالة على إدراك قيمة العلم فى تثبيت العقيدة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والاتصال بالله ، وهي دلالة كذلك على قدسية المعرفة ودورها الكبير في تعميق وعي الفرد والجماعة بشئون العقيدة والحياة رفعا لمستوى الإنسان وإعلاء لشأن المجتمع ، وليس أشرف من المسجد مكانا للعلم ، ولا أدعى من الترغيب في تحصيل المعرفة من جعله منزلا لها .

وغني عن الذكر ، ما أفاضت به صحف التاريخ من الإشادة بالرسالة العظمى التي اضطلعت بها المساجد في النهضة العلمية عبر العصور الإسلامية الزاهرة ، إذ كانت مراكز إشعاع للعلوم والحضارة العربية استفاضت في العصر الوسيط حين بلغت الدولة الإسلامية أقصى مراحل التطور الحضاري ونمت من أصولها شجرة المدنية الحديثة .

ولع المسلمين الأوائل بالبحث العلمي

كان من أثر حث الإسلام على العلم والدعوة إليه ورفع قيمته حتى جعله في مرتبة الفرائض أن اتجه المسلمون الأوائل إلى التماسه أنى وجدوا إليه سبيلا ، بل تشربت أرواحهم بحبه حتى أصبح البحث العلمي ديدنا لهم ومصدرا لتفهم في أنفسهم ونخارهم بما حصلوه من معارف ، فسعوا إلى مناهل الفكر مهما بعدت المسافة وشقت الطريق في عالم لم تكن تربطه وسائل المواصلات أو تتاح له سبل المعرفة التي نشهدها في عالم اليوم .

والعربي بفطرته وبحكم نشأته الصحراوية شغوف بالأسفار مولع بارتياد الآفاق ، وكان يفرغ طاقته هذه في طلب المنافع الدنيوية العاجلة وإشباع غرائزه بالاتجار في الأسواق ومبادرة اللذات . فلما جاء الإسلام وجه تلك الطاقة إلى العمل المثمر البناء وانتجاع موارد المعرفة بحثا عن كل طريف ومستحدث في العلوم والآداب والفلسفات والفنون .

وقد تعمقت أصول الدين الحنيف في نفوس العرب حتى جد روادهم من الفقهاء والعلماء والفلاسفة في طلب العلم وتحصيله من كل فج عميق . وكان البحث العلمي في سبيل تفسير القرآن أكبر غاية يتلمسها المسلم في دنياه ويأمل بها المثوبة في أخراه . ونستطيع في ضوء هذا الفهم أن نتبين مفهوم قول أبي الدرداء : « لو أعيتني آية من كتاب الله فلم أجد أحدا يفتحها عليّ إلا رجل ببرك الغماد (موضع بأقصى اليمن كان يضرب به المثل في البعد وصعوبة الوصول إليه) لرحلت إليه » . ومن أجل هذا الهدف النبيل الذي يبتغيه طالب العلم يقول الشعبي : « لو أن رجلا سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن ليسمع كلمة حكمة ما رأيت أن سفره ضاع » ؟

(للحديث بقية)

حسن فتح الباب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

دولة الإسلام والعالم

على الحدود ... بين دولتين وحضارتين

مناطق الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري

للأستاذ فتحي عثمان

— ٢ —

جاء الإسلام يستحث المسلمين بدافع العقيدة والإيمان لحفظ الثغور والرباط في سبيل الله ، فكان هذا تعزيزاً للظروف الجغرافية والسوابق التاريخية ، ذكر ابن كثير في تفسير الآية الكريمة : « يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا » : « قيل المراد بالمرابطة مرابطة الغزو في نحور العدو ، وحفظ ثغور الإسلام ، وصيانتها عن دخول الأعداء إلى حوزة بلاد المسلمين » وقد أورد الآثار التي ترغب في ذلك ، فمنها حديث النبي الذي رواه البخاري : « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها » ، وروى أحمد : (من رابط في شيء من سواحل المسلمين ثلاثة أيام أجزأت عنه رباط سنة) ، (حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها) وقد خلف هذا المعنى الديني أثره على كلمة (الرباط) من الوجهة اللغوية إذ غدت اصطلاحا للجهاد المقدس ، ففي اللسان : « الرباط والمرابطة ملازمة ثغر العدو أو الجهاد وأصله أن يربط فيه الخيل » ، وفي القاموس المحيط : « والمرابطة أن يربط كل من الفريقين خيولهم في ثغرة ، وكل معد لصاحبه ، فسمي المقام في الثغور رباطا » . ومن هنا لا نجد غريباً في أخبار الرشيد سنة ١٨٧ هـ أنه : « أغزى ابنه القاسم الصائفة ، فوهبه لله وجعله قربانا له ووسيلة ، وولاه العواصم » ورأى الفقهاء المسلمون ألا بأس بسكنى نساء المسلمين وأطفالهم الثغور ، وإن لم يكن بين الثغور وبين أرض العدو أرض للمسلمين ، لأنهم يندبون إلى المقام في الثغور ، وإنما يمكنون من المقام بالنساء والذراري ، فالنساء سكن الرجال ولأنهم إذا أقاموا في ذلك الموضع بالنساء والذراري ، كثروا بمرور الزمان حتى يصير ذلك الموضع مصراً من أمصار المسلمين ، ويتخذ المسلمون وراء ذلك ثغراً بالقرب من العدو .

ولكن هذا إذا كانوا بحيث لو نزلت بهم جلبة للعدو قدروا على دفع شرهم عن أنفسهم وعن ذراريهم ... » — كما ورد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى شرح السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيبانى أملاه السرخسى .

وأعطت الاحتكاكات الأولى للمسلمين مع أطراف الدولة البيزنطية وأحلافها من (روم العرب) نذيراً عن الخطر البيزنطى وخبرات عن دور أطراف الدولة البيزنطية وأحلافها فى نظام الدفاع البيزنطى . وقد كانت المقاومة البيزنطية فى الشمال تبرز أهمية المنطقة خاصة وأنها كانت أقرب مناطق الشام إلى بلاد الروم ، فقد استمرت هجمات الروم على المسلمين من شمالى الشام ومن الجزيرة ، ومن هنا اتخذ المسلمون الشام قاعدة للهجوم على الجزيرة فأرمينية ، ثم اتخذت بعد ذلك قاعدة للغارات الدورية على آسيا الصغرى ، وهكذا نشأ التنظيم الإدارى الحربى الإسلامى ،

ويروى عن عمر بن الخطاب أنه زار الشام سنة ١٧ هـ : « فقسم الأرزاق وسمى الشواتى والصوائف ، وسد فروج الشام ومسالحها ، وأخذ يدور بها ، وسمى ذلك فى كل كورة » . كما أنه : « اتخذ فى كل مصر من الأمصار على قدره خيولا من فضول أموال المسلمين معدة لكون إن كان » ، كما يذكر الطبرى . وكان الأصل أن يعتمد كل إقليم على نفسه فى الدفاع إلا إذا دعت الضرورة ، فقامت مسالح الشام ومصر والعراق على ذلك إلى اليوم ، لم تجز أمة إلى أخرى عملها ، إلا أن يقتحموا عليهم بعد كفر منهم ، فيقدموا مسالحهم بعد ذلك ، فاعتدل ذلك سنة ١٧ هـ » - كما يروى الطبرى . ويروى البلاذرى : « وكان المسلمون كلما فتحوا مدينة ظاهرة أو عند ساحل رتبوا فيها قدر من يحتاج بها إليه من المسلمين » ، « وولى أبو عبيدة كل كورة فتحها عاملا ، وضم إليه جماعة من المسلمين وشحن النواحى المخوفة » ، « ولما ولى معاوية الشام والجزيرة لعثمان أمره أن ينزل العرب مواضع نائية عن المدن والقرى ، ويأذن لهم فى اعتمال الأرضين التى لا حق فيها لأحد ... وألزم المدن والقرى والمسالح من يقوم بحفظها ويذب عنها من أهل العطاء ثم جعلهم من عماله » ، « فبعث معاوية لحبيب بن مسلمة ألفى رجل أسكنهم قاليقلا ، وأقطعهم بها القطائع وجعلهم مرابطة بها » ، « وبعث معاوية - إلى قبرص - باثنى عشر ألفاً كلهم أهل ديوان فبنوا بها المساجد ، وبنى بها مدينة ، وقاموا يعطون الأعطية » .

وما كادت أقدام المسلمين تستقر فى الشام حتى صارت أول (مدربة) فى الإسلام ، أى حملة سلكت الدرب إلى بلاد الروم ويروى أن ذلك كان سنة ١٦ هـ ، ويبدو أن كلا من الفريقين قد عمل على تخريب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الحصون الواقعة على الحدود بينهما لخلق شقة حرام بين الدولتين No man's land وكان الروم قد بدأوا ذلك حين انسحابهم من الشام ، وجرى المسلمون على (تشعيث) الحصون أول الأمر ، فلما ثبت أقدامهم وتتابعت حملاتهم شعروا بحاجتهم إلى مراكز عسكرية عند الحدود ، فتطلع المسلمون إلى مد نفوذهم إلى الثغور وتحصينها وشحنها بالجند ، وتعلموا من السوابق التي قدمها أعداؤهم بين أيديهم فى فنون القتال والتحصين والتنظيم وقد سجل ابن النديم فى (بغية الطلب) بوادر هذا التطور الهام ، فذكر أن جند حمص كان الجند المقـــدم وكانت قنسرين يومئذ ثغرا ، والناس كانوا يجتمعون بالجابية لقبض العطاء واقامة البعوث من أرض دمشق فى زمن عمر وعثمان ، حتى نقلهم إلى معسكر دابق معاوية بن أبى سفيان لقربه من الثغور ، وكان والى الصائفة وإمام العامة فى أهل دمشق لأن من تقدمهم من أهـل حمص وأهل قنسرين وأهـــل الثغر مقدمة لهم وإلى أهلها يئولون إن كانت لهم جولة من عدوهم ، وبدأت العواصم الخلفية والثغور الأمامية تأخذ مكانتها المتميزة فى نظام الدولة الإسلامية ، فجرى ترتيب (الروابط) ببعضها وإرسال (الطوالع) إلى بعضها الآخر لتعسكر فترة فى تعود ، وأعانت ولاية معاوية على الجزيرة والشام معالم خلافته بعد ذلك على وضع سياسة حربية متكاملة للثغور الشامية والجزرية وقد أقدم المسلمون فى عهد عثمان على فتح أرمينية من جهة ، وتكوين الأسطول وغزو جزر البحر المتوسط من جهة أخرى ، وصار مقياس المد والجزر فى النفوذ الإسلامى أرمينية بالنسبة للجبهة البرية على حـــدود الروم فى آسيا الصغرى وقبرص بالنسبة للجبهة البحرية فى حوض البحر المتوسط ، واتجه الأمويون إلى غـزو الروم فى مقر عاصمتهم القسطنطينية ، كما بدأ المروانيون يتجهون إلى إقامة تحصينات عسكرية ثابتة على الحدود الإسلامية البيزنطية بعد أن كان أسلوب الدفاع المتحرك والحملات الفصلية من صوائف وشواتى هو السائد عند المسلمين من قبل ، وهكذا ظهرت تحصينات المصيصة والمثقب وقطرغاش ومورة وبوقا وبغراس .

وبينما كانت (الثغور) الإسلامية تتطور على هذا النحو ، كانت (البنود) البيزنطية - وهى وحدات التنظيم الإدارى الحربى عند البيزنطيين التى كان يجمع القائد strategas فى كل منها بين السلطتين المدنية والعسكرية - تشهد تطورا آخر من أبرز معالمه قيام بند كيبرايوت البحرى للدفاع عن سواحل آسيا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى ذمة الله "إمام المسلمين"

للأستاذ عباس طه

كان فقيد الإسلام والمسلمين الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت موسوعة علم ودين وأدب ومعرفة ذخرت بعلوم اللسان والفقه الأكبر والفقه الأصغر، وشتى المعارف الإسلامية.

وكان شأن الفقيد مع أبنائه وطنه فى عالم الإسلام والعروبة: يعمل فى صمت أبلغ من كل كلام، وأفصح من كل لسان، ويفنى لأبنائه جيله ومعاصريه وأعقابهم من بعدهم مثالا يحتذى، وقبساً يستضاء به إذا عميت السبل على الحكماء وشملت الحيرة قلوب أهل الخبرة، فإذا نعينا فقيد العالم الإسلامى إلى طلاب العلم ورواده وقصاده ونشاده، فإنما ننعى إليهم فقيها عالما كانت البلاد

على الحدود بين دولتين

الصغرى والجزر المحيطة بها لمواجهة الخطر البحرى الإسلامى، كما أنشىء من قبل البند البيزنطى البرى الأرضى (الأرمياق) لمواجهة الخطر البرى الفارسى، كما حدثت تعديلات فى تنظيم البنود البرية البيزنطية لمواجهة الهجمات الإسلامية التى هددت العاصمة ذاتها.

وجاء العباسيون فتابعوا سياسة المروانيين فى تحصين الحدود بالجند والمعاقل، يقول ابن النديم فى (بغية الطلب): «اعلم أن دابق كانت مجمعاً لعساكر الإسلام فى كل صائفة من زمن معاوية بن أبى سفيان، فكانوا يجتمعون بها، وإذا تكامل العسكر وقبضوا عطاءهم دخلوا حينئذ من الثغر إلى جهاد العدو، واستمر ذلك فى أيام بنى أمية، لاسيما فى أيام سليمان بن عبدالملك فإنه أقام بدابق سنين وسير أخاه مسلمة لغزو القسطنطينية وكان يمده بالعساكر إلى أن مات سليمان بدابق، وبعد زوال ملك بنى أمية تتبع بنو العباس مدن الثغور وحصونها فعمروها وحصنوها، وغزوا غزوات مذكورة من نواحى حلب، لا سيما أمير المؤمنين الرشيد رحمة الله عليه، فإنه اجتهد فى إقامة الجهاد، وأنفق الأموال الوافرة فى الثغور وأهلها، وكان يقدم حلب ويرتب أمر الغزو منها، وكذلك فعل المأمون بعده ومات غازياً بطرسوس، وجاء المعتصم كذلك وفتح عمورية».

فخر عثمان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى ذمة الله "إمام المسلمين"

للأستاذ عباس طه

كان فقيد الإسلام والمسلمين الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت موسوعة علم ودين وأدب ومعرفة ذخرت بعلوم اللسان والفقه الأكبر والفقه الأصغر، وشتى المعارف الإسلامية.

وكان شأن الفقيد مع أبنائه وطنه فى عالم الإسلام والعروبة: يعمل فى صمت أبلغ من كل كلام، وأفصح من كل لسان، ويفنى لأبنائه جيله ومعاصريه وأعقابهم من بعدهم مثالا يحتذى، وقبساً يستضاء به إذا عميت السبل على الحكماء وشملت الحيرة قلوب أهل الخبرة، فإذا نعينا فقيد العالم الإسلامى إلى طلاب العلم ورواده وقصاده ونشاده، فإنما ننعى إليهم فقيها عالما كانت البلاد

على الحدود بين دولتين

الصغرى والجزر المحيطة بها لمواجهة الخطر البحرى الإسلامى، كما أنشىء من قبل البند البيزنطى البرى الأرضى (الأرمياق) لمواجهة الخطر البرى الفارسى، كما حدثت تعديلات فى تنظيم البنود البرية البيزنطية لمواجهة الهجمات الإسلامية التى هددت العاصمة ذاتها.

وجاء العباسيون فتابعوا سياسة المروانيين فى تحصين الحدود بالجند والمعاقل، يقول ابن النديم فى (بغية الطلب): «اعلم أن دابق كانت مجمعاً لعساكر الإسلام فى كل صائفة من زمن معاوية بن أبى سفيان، فكانوا يجتمعون بها، وإذا تكامل العسكر وقبضوا عطاءهم دخلوا حينئذ من الثغر إلى جهاد العدو، واستمر ذلك فى أيام بنى أمية، لاسيما فى أيام سليمان بن عبدالملك فإنه أقام بدابق سنين وسير أخاه مسلمة لغزو القسطنطينية وكان يمده بالعساكر إلى أن مات سليمان بدابق، وبعد زوال ملك بنى أمية تتبع بنو العباس مدن الثغور وحصونها فعمروها وحصنوها، وغزوا غزوات مذكورة من نواحى حلب، لا سيما أمير المؤمنين الرشيد رحمة الله عليه، فإنه اجتهد فى إقامة الجهاد، وأنفق الأموال الوافرة فى الثغور وأهلها، وكان يقدم حلب ويرتب أمر الغزو منها، وكذلك فعل المأمون بعده ومات غازياً بطرسوس، وجاء المعتصم كذلك وفتح عمورية».

فخر عثمان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

في أشد حاجة إلى الإفادة من مناهله العذبة وعقله الخصيب ، وفكره الناضج .

عرفت الفقيد منذ أربعة عقود من السنين ، فوالله ما لمحت فيه نقيصة تجافيها الأخلاق الكريمة ، ولا أدركت فيه انحرافاً عن الجادة الواضحة ، ولا تمرداً على السجايا السليمة . كان الفقيد عالماً متواضعاً ، سكوتاً ولكنه إذا قال بز القائلين بزهم بنظرياته العلمية وبحوثه الخالدة التي ستبقى له في سجل الصالحات من الأعمال أبقى على الزمن الباقي من الزمن وأخلد في صحيفة الأيام أثراً وأعظم ذكراً . عرفته في ساعة النوازل جلداً على الهموم ، تقرع الخطوب صفاته فترتد عنها نابية كما ترتد الكرة عن الحائط إذا قرعتها . عرفته صامتاً لا يشغل نفسه بالدعاية العجاجة ، ولا يدل الناس على مبلغ ما أوتي من رسوخ في العلم وتفرد بما لم يتفق لأحد من أشباهه ونظائره . عرفته وقد وجه إليه هذا السكوت العميق في صدر حياته سنوات معدودات ولكن وضح أن صمته كان غير مطابق لواقع هؤلاء بعد أن استبان لهم أن الفقيد لم يكن صامتاً على المعنى الذي تواضع عليه سواد الناس ، بل كان منصرفاً إلى وضع الخطوط الرئيسية فيما تمخضت عنه البحوث العلمية الحديثة وكشفت عنه النظريات الفلسفية التي لا قوام للعالم الإسلامي الجديد المتحرر بدونها ، فكم وضع الراحل الفقيه من كتب . ورتب من نظريات بعث فيها روح الإقدام والكشف عن المجهول من المعارف الإنسانية والقضايا الدينية التي لا يزال علماء المسلمين في العالم الإسلامي يسعون لها من أقوم الطرق وأجداها سلوكاً إلى المقاصد العالية . وحسبنا دليلا على أصالة ما نقول ، كتبه القيمة في العقيدة والشريعة التي زخرت بها مكتبات الجامعات ودور الكتب لينهل منها الصادون ويسير على هديها السالكون وفي الصدارة منها : تفسير القرآن ، والفتاوى ، والإسلام والوجود الدولي للمسلمين ، والإسلام عقيدة وشريعة ، والقتال في القرآن ، والمرأة في القرآن ، بالإضافة إلى آرائه في الصحف الواسعة الانتشار ، التي تلقفها العالم الإسلامي وطلاب الحقيقة بالقبول في كل مكان .

وقصارى القول : أن الراحل الكريم لا يزال في قلوب خلصائه وعارفي فضله حياً بآثاره وجليل أعماله ، ولئن أضحى اليوم في عداد الراحلين فهو في طليعة الأحياء ، والناس موتى وأهل العلم أحياء .

رحم الله الفقيد وأجزل له المثوبة .

عباس ط

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ما يقال عن الإسلام

أسبانيا المغربية

بقلم : انريك سوردو

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتاب « أسبانيا المغربية » موضوع فى وصف حضارة الأندلس على عهد الدول الإسلامية ، وأكثر العناية فيه منصرفة إلى وصف حضارة العمران وحضارة المعيشة وما تتسع له من مظاهر العرف والعادة ومظاهر العلاقات بين أبناء المدينة وأبناء الأسرة ، وأكثر ما يكون ذلك فى مدنها الثلاث الكبرى ، وهى قرطبة وأشبيلية وغرناطة ، وإن كان المؤلف يلم أحيانا بما يتصل من قريب بهذه الحضارة فى المدن الأخرى من قبيل طليطلة وقادش وبلفسية ، وما عداها من أطراف الريف .

ويعجب القارئ وهو يتصفح هذا الكتاب ويقلب ما احتواه من الرسوم والنقوش والصور والتماثيل التى بولغ فى الاعتناء بها على مثال لا يقع النظر على ما يشبهه فى غير الآثار المقدسة عند أبناء الغرب من المسيحيين .

ماذا يزيد عليه الكاتب العربى الأصيل لو كتب فى هذا الموضوع وأراد أن يودع فصوله وثنايا سطوره ما يجيش فى صدره من خوالج الحنين والفخر والإعجاب بآثار ذلك الماضى العزيز على بنيه ، إذ يكاد القلم العربى أن يقصر عن الزيادة عما أودعه المؤلف كتابه من تلك الخوالج الناطقة خلال السطور فى غير تكلف ولا انتباه ، ولولا خطرات هنا وهناك يلوح فيها أن المؤلف مخالف للعرب فى دينه ولغته وجنسه لسبق إلى ذهن القارئ أنه يستمع إلى أغنية من أغانى الحنين الذى قيل فى زمانه :

جادك الغيث إذا الغيث همى
يا زمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك إلا حلما
فى كرى ، أو خلسة المختلس

ويبدو مما يورده المؤلف من بعض الأمثال الجارية على الألسن إلى اليوم أنه ليس بالغريب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المنفردين أبناء قومه بتلك الأحلام التاريخية، فإنه يذكر أن أبناء غرناطة فى هذا العصر لا ينسون الأسوة بمصاب غرناطة العربية كلما حزبتهم فاجعة قومية يتطلبون فيها حسن الأسوة، فإنهم يرددون بينهم كلمة تسير فى لفظها وأنمتها مسير الأمثال، ويقولون: «لقد كانت البلية بغرناطة أفدح وأنكى» ... كأنهم ورثوا هذه الكلمة عن ألسنة العرب ثم تناقلوها بغير تبديل فيها، أو كأنهم ذكروا البلد ونسوا من هم أولئك المصابون فيه، ولا حاجة بهم إلى جهد من الذاكرة يلفتهم إلى هذا النسيان، لأن معالم المعيشة البيتية فى أكبر العواصم الأسبانية على عهد العرب لا تزال على ذلك العهد إلى اليوم، سواء فى تنظيم طرقاتها أو تقسيم بيوتها والانتفاع بمساكنها، وكأنما بقيت محارم الحجاب على حالها كما كانت تبنى فى أيام العرب، فلا تزال المنافذ بين الغرف والحجرات وبين الشارع والسوق كأنها تلك المنافذ التى تستر وراءها مقاصير الحريم.

ويحاول المؤلف، لو استطاع، أن ينسى من سبق العرب إلى إقامة الحضارة بتلك البلاد، ومنهم أسلاف من الرومان والقوط، ولكنه ينازع القلم إلى ذكراهم ليقول: إن العرب قد صنعوا ما لم يصنعوه، وقد سبقوهم فى شوط الارتقاء وإن لحقوا بهم فى أزمنة التاريخ، فيقول عن صناع الأندلس اليوم إنهم لا يزالون ينتفعون بما تعلموه من العرب والبربر من صناعات النسيج والفخار والآنية والجلود وصياغة المعادن وتزيين الأخشاب، ويثبت للرومان فضلهم فى تنظيم موارد الماء للرى والشرب والسقاية، ولكنه يعود فيقول إن غلبة «الماء» فى النوافير وفى الجداول المصنوعة وفى الحدائق العليا والسفلى إنما كان ظاهرة «الصحراء» التى يبلغ الماء فيها ما ليس يبلغه فى مكان، من أرواء غلة الأعين والصدور.

ويشيد المؤلف بما اتسمت به الحضارة العربية من قوة الشعور بالحياة الحسية والحياة الفكرية فى آن.

ويطيل الوقوف عند ظاهرة «الطرب» السماع ونغمات الأصوات والآلات، فيروى ما يرجحه بعضهم من أنها أصل كلمة «الطربادور» التى تطلق على الشعراء المنشدين بين جنوب فرنسا وشمال البلاد الأسبانية، ويشير إلى ما تخيله بعضهم من أنها تتصل بمادة «طاب» العربية بمعنى «طيب العيش وطيب الشعور»، ثم يعود فيقول إن هذا الشعور الذى يدل على قابلية النفس للامتلاء بالحيوية والإحساس بجمال الحياة لم يخلفه اليوم غير ثورة الحس فى حلبات مصارعة الثيران، وغير أناشيد الرقص فى الحانات،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تتخللها صيحات « وولى . وولى . . » عند النشوة والاستحسان ، وما هى إلا تحريف لكلمة الجلالة التى كان من عادة العربى أن يهتف بها لإبداء إعجابه بكل جميل : الله . الله .

ويسرف المؤلف فى تعظيم هذه « الحاسة » الجميلة عند العربى فيروى من أقاصيصها ما يصدق وما لا يصدق من أخبار الخلفاء والأمراء ، وينقل من ذلك ما قيل عن شق الثياب والصياح بنداء الباعة والخروج عن الحشمة والعربدة على الندماء ، ويضيف إلى ذلك ما يرويه عن أمراء بغـــداد ودمشق وأمراء المغرب وإفريقية ، وأعجبه ما رواه عن رجل من حاشية الملوك التى تحسن ضبط الشعور فى موقف الطرب والغضب ، فنقل عن أحدهم أنه نسى نفسه فهجم على المغنى فى حضرة الملك وأخذ فى تقبيله ... وعرض نفسه بذلك للقتل العاجل ، لأن ذلك المغنى كان سجيناً متهماً بالخروج على الأمير ، واحتال على أسماع الملك ببعض غنائه لعله يعفو عنه ويستبقيه ...

أما الحياة الفكرية فقد أطنب المؤلف فى سرد أخبارها كما أطنب فى سرد أخباره عن الحياة الحسية ... ومن ذلك أن قرطبة كان فيها مائة وسبعون امرأة يكسبن رزقهن بنسخ الكتب غير الرجال ، وأن المدينة كانت تخرج فى كل سنة ما لا يقل عن ستين ألف كتاب من المصنفات المنسوخة أو المنقولة أو المؤلفة ، وأن عدد الكتب فى بعض المكتبات التى جمعها خليفة من الخلفاء لم يكن يقل عن أربعمائة ألف كتاب ، وكانت منها كتب كثيرة فى غير المباحث الدينية ، أثارت جماعة من الفقهاء المتزمتين فأرضاهم المنصور بإحراق المئات منها .

ويرى المؤلف أن الثقافة العربية غلبت على كل ثقافة تقدمتها فى بلاد الأندلس المغربية ، ولكنها كانت فى بعض المدن تنتزع المدينة من صبغتها الرومانية التاريخية لتقيم فيها نمطا من الحضارة يغلب فيه التوازن بين الغرب والشرق كما غلب من قبل فى القسطنطينية وعواصم الدولة البيزنطية .

وانتقل المؤلف من الثقافة عامة إلى ثقافة الفنون الجميلة فنفى كل ما يشاع فى الغرب عن تحريم الإسلام للاشتغال بالفن الجميل . وقال: « إن الغرب تشيع فيه فكرة عامة مؤداها أن الديانة الإسلامية تحرم كل التحريم صور الأحياء ، وكل ما ثبت ثبوت اليقين فى هذا المعنى أن التماثيل الدينية محرمة فى هذه الديانة ، وفيما عدا ذلك لم يرد فى القرآن آية واحدة تؤيد ما يشيع بين الغربيين ، وإنما ورد فى الأحاديث النبوية التى ترجع استقصاء الكثير منها إلى القرن الحادى عشر الميلاد ما يفيد استنكار النحت والتصوير » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ثم يتوسع المؤلف فى بيان المواضع التى تقبل فيها الرسوم والنقوش مع انتفاء شبهة العبادة والتقديس .

ويشتمل الكتاب على أكثر من مائة صفحة كبيرة محلاة بالصور الملونة أو بالنقوش الهندسية المحكمة ، تلحق بها الشروح التاريخية والتحليلات الفنية ، ويوشك أن تحيط بكل ما بقى فى بلاد الأندلس من الآثار الإسلامية ولا سيما المساجد والقصور ، وتظهر فى بعضها نقوش الكلمات العربية واضحة القراءة مع تتبع الخطوط بينها وبين ما حولها من رسوم الزينة وعقود البناء ، وهى - فيما نرى - أفصح من كل ما اقترن بها من الشروح والتحليلات فى الارتفاع بإعجاب المعجبين إلى ذروة الشعور بجمال تلك الحضارة ، وغاية الاستحسان لذلك الذوق الفنى الذى انبعثت منه ، وفرط الحنين إلى تصور العهد الذى كانت فيه هذه الآثار عماراً حيا يزدحم بمن فيه ، وتحيط به الدنيا المقبلة وهى مترعة بالنعمة والرخاء .

* * *

وكتاب « أسبانيا المغربية » الذى أخرجه طابعوه فى هذا الوضع من الزخرف الجميل والأناقة الفنية إنما هو حلقة من سلسلة متناسقة معدة لإبراز الآثار الفنية فى مثل هذا الموضوع ، ونعنى به موضوع الخلفات المأثورة فى مدن الحضارات التى يطول الحنين إليها بين أبناء العصر الحديث حنين القلوب والضمائر تارة وحنين العقول والأذواق تارة أخرى ، ومنها أثينا اليونانية ، والبندقية وبومبى اللاتينيتين ، وبكين الصينية ، ومن المواصم الإسلامية مكة المكرمة Mecca the Blessed والمدينة المنورة Maidena the Radiant ملحوظا فى ترجمة اسميهما أن يكون كل منهما متبوعا بصفته التى اشتهر بها فى اللغة العربية .

ولم نطلع - بعد على هذين الكتابين الأخيرين ، ولا ندرى كيف يهتدى مؤلفاهما إلى التمييز بين ما فى المدينتين من معالم القداسة ومعالم الحضارة ، ولكننا نعتقد مما اطلعنا عليه من نماذج هذه السلسلة أن عرض الحضارة العربية على هذه الصورة فى الغرب أصلح لتعريف الغربيين بمفاخرها من نشر التواريخ المفصلة ، لأن الالتفات إلى مظاهر الفخامة المحسوسة وآيات الفن الرائعة أعم وأقوى بينهم من الالتفات إلى مآثر الروح والضمير .

عباس محمود العقاد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مختارات من الشعر القديم والحديث

في عيد النصر :

تحية لبور سعيد

للأستاذ حسن جاد

سلام على أرضها الطاهرة
ووقفتها الحرة الباهرة

مثال الفداء ، ورمز الإباء
وعنوان وثبتنا الظافرة

وقلعة أحرارنا الثائرين
على سطوة الدول الغادرة

مفاليك صهيون وانجلترا
وثالثة في الخنا تاجرة

تصدت لحلتهم بور سعيد
بعزمة أبطالها الثائرة

شبابا وشيباً وطفلا صغيراً
وأنثى على غدرهم صابرة

فطاروا هباء ، وولوا سراعا
ودارت على المعتدى الدائرة

* * *

لقد أقسمت قبل ألا تهون
وألا يدنسها المعتدون

فهبت لتحصدهم في الفضاء
وفي ضفة البحر أو في السفين

وفي كل فج ، وفي كل بيت
وبين مخابئهم والحصون

وكانت لهم رصداً كالمنون
ومقبرة لحصيد المنون

فكانوا على موعد للفناء
مظلاتهم كفن الهابطين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وبرت مدينتنا باليمين ولما أبادت قلول الطغاة
وما خفضت للطغاة الجبين مشت فوق أشلائهم والرمم

* * *

وقامت وأصغى إليها الزمان
ترد أنشودة الظافرين سلام لأرضك يا بور سعيد
وبورك هذا الكفاح المجيد

* * *

لقد أصبحت مثلا فى الأمم سحقت الظلام ، وصنت السلام
لعز الإباء وحر الشمم بعزم الأسود وبأس الصمود
وصبر الكفاح ، وبأس النضال ودافعت عن مصر كيد الطغاة
ونار الحمية فى المصطدم وحققت بالنصر حر الوعود
فما راعها زحف دبابة وسطرت بالدم فوق ثراك
ولا مدفع قاذف بالحمم سطور الفدا فى سجل الخلود
ولا طائرات تصب الفناء فقومى انهضى واصنعى للوجود
على الآمنين بها ، والعدم حياة السلام وأمن الوجود
على سمعها كان قصف المدا وفى ذمة الشرق يا فخر مصر
فمع أحلى رنين وأشجى نغم دماء الجريح وروح الشهيد
لقد صمدت فى الكفاح المرير سلام لشعبك فى الخالدين
وروعت الظلم حتى انهزم وبورك نصرك يا بور سعيد

عبد جاد عبد

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الكتب

الحياة الأدبية في ليبيا (*)

تأليف: الدكتور محمد طه الحاجري

عرض وتحليل: الأستاذ فوزي عبد القادر البلادي

الأستاذ الدكتور محمد طه الحاجري أستاذ الأدب العربي بجامعة الإسكندرية قضى بضع سنوات في الجامعة الليبية كأستاذ بكلية الآداب بها وقد أتاحت له هذه السنوات فرصة دراسة الحياة الأدبية في ليبيا ماضيها وحاضرها عن قرب كما يسرت له مهمة الاطلاع على كثير من المراجع والمؤلفات التي سجلت جوانب مختلفة من هذه الحياة فلا غرو حينما يعود إلى أرض الوطن ويدعى إلى إلقاء محاضرات على طلبة معهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة أن يكون موضوعه المفضل (الحياة الأدبية في ليبيا) (الشعر) ولعل الأستاذ الدكتور يعمد في سنوات تاليه إلى إعداد دراسة أخرى عن النثر وفاء بحق هذا الفرع الهام من فروع الأدب ووفاء بحق الحياة الأدبية في ليبيا ذاتها.

(*) مطبوعات معهد الدراسات العربية العالية ... جامعة الدول العربية ... مطابع دار النشر للجامعات المصرية ١٨٠ صفحة من القطع الكبير ...

يبدأ الكتاب بمقدمة قصيرة يقرر المؤلف حقيقة هامة تبدو غريبة لدى الكثيرين: (يعتبر قيام السنوسية في ليبيا مبدأ تاريخها الحديث - وكذلك هو مبدأ الحياة الأدبية الحديثة فيها ...).

ويقسم المؤلف هذه الحياة إلى مراحل ثلاث:

الأولى: مرحلة العهد السنوسي الأول منذ قيام السنوسية حتى الغزو الإيطالي:

الثانية: مرحلة الاستعمار الإيطالي.

الثالثة: مرحلة ما بعد هذا الاستعمار منذ سقوط الحكم الإيطالي حتى اليوم.

ووجه الغرابة فيما تقدم أن تاريخ الحركة السنوسية يكاد يكون مجهولا في العالم العربي إلا من بعض مواقف خاصة بكفاح الاستعمار الإيطالي في فترة ما قبل الحربين العالمية الأولى والثانية يشعر المؤلف مدى الغموض الذي يحيط بهذه الدعوة وعلى الأخص في مراحلها الأولى فيجلو ما غمض من ذلك التاريخ بالقدر الذي يسمح به منهج الدراسة الأدبية.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى القسم الأول من الكتاب وهو الذى خصصه المؤلف للمرحلة الأولى يعرفك المؤلف بصاحب الدعوة السنوسية السيد/ محمد ابن على السنوسى ويبين لك كيف أن حياته تقع فى أربع مراحل تبدأ فى مسقط رأسه ومرباه ومنشئه فى الجزائر والمغرب وتنتهى فى ليبيا وتنتقل فيما بين ذلك بين بلاد السودان والمغرب الأدنى ومصر والحجاز واليمن .

وبعد أن ينتهى المؤلف من عرض حياة صاحب الدعوة ومنشئها يقف قليلا ليقرر أن (النهضة الحديثة التى أتيحت للشعوب الإسلامية فى القرن التاسع عشر كانت تقوم على عاملين رئيسين : أحدهما الاتجاه نحو القديم ومراجعته وإحياؤه والآخر تأثر بالحياة الأوربية فى مناهج تفكيرها وإنماط سلوكها وكان أمر هذين العاملين متفاوتا بين هذه الشعوب كما كان متفاوتا فى ميادين النهضة المختلفة بالقياس إلى الشعب الواحد) ...

ويتساءل بعد ذلك ؟ ما هو موقف النهضة الليبية من هذين العاملين وتطورها ؟ ويجيب على ذلك بأن ارتباط هذه النهضة بالبداوة كان من الطبيعى أن ينأى بها عن العامل الثانى وإنها إنما كانت تقوم على إحياء القديم وذلك بالرجوع إلى المناهل الدينية الأولى والمصادر الأصيلة للإسلام ، ومن خلال القسم الأول للكتاب تعرف أنه كان فى ليبيا أكثر من بيئة علمية كان فيها الزوايا التى أنشأتها السنوسية وجعلت منها مراكز دينية وثقافية وكان فيها الحلقات التى تنعقد فى المساجد تلقى فيها دروس الفقه وتقرأ فيها كتب التفسير والحديث وما إلى ذلك وكان فيها المدارس النظامية التى أنشئت فى العهد التركى الأخير كما كان فيها إلى جانب ذلك بعض المدارس التى أنشأها الإيطاليون فى بعض مدن طرابلس .

وينتقل معك المؤلف بعد ذلك فى رياض الشعر الليبى فى مراحل نهضته المختلفة وهو أساسا موضوع البحث ، ويبدأ بقصيدة منسوبة إلى مؤسس النهضة نفسه السيد / محمد بن على يقول فى مطلعها :

إلا إنما الدنيا غضارة أيكة
إذا اخضر منها جانب جفا جانب

هى الدار : ما الآمال إلا فجائع
علينا ولا اللذات إلا العطائب

وما هذه الأولاد والمال والمنى
لدينا ولا الآمال (؟) إلا المصائب

فلا تكتحل عيناك يوما ببعيرة
على ذاهب منها فإنك ذاهب

ومن شعراء المرحلة الأولى الذين عاصروا صاحب الدعوة فالح الظاهرى الذى قدم الحجاز مع أستاذه سنة ١٨٤٦ م ويشير المؤلف إلى أن معظم شعر فالح قد ضاع شأنه فى ذلك شأن غيره من آثار هذه المرحلة لكن ما بقى منه يدل على شاعرية صادقة وقدرة على صياغة الشعر صياغة عربية جزله ، ويدلل المؤلف

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تاريخ المغرب الكبير

تأليف : محمد علي دبوز

عرض وتقديم : الأستاذ علي يحيى معمر

ثورة أخرى تنبعث فى الجزائر ، ثورة على ظلم التاريخ ، هذا الظلم الذى طال أمد حكمه وامتد زمن سلطانه، وتوطأت له الأكناف ، فعاش فى المغرب الإسلامى الكبير ، حقبة طويلة من الزمن ، تغذيه الملكية المتحجرة ، وتحدر له العقول المتحجرة ، وتساعده أيدى الاستعمار الخفية ، التى تسعى فى الظلام ، كما تسعى الأفاعى لتنفث السم فى أجسام الضحايا الأبرياء .

ولئن قام أبطال الثورة المسلحة فى جبال أوراس يحطمون رؤوس الاستعمار ، الذى حكم البلاد بالحديد والنار ، فلقد انبعث من القرارة أبطال ثورة أخرى يحطمون ما دسته الأفكار المنحرفة ، والدعاية المغرضة ، والأقلام المستعبدة ، التى تحدو الظلم ، وتسير فى ركاب البغى ، وتزين البدعة ، وتنشر بين الناس الكذب والزور والبهتان ، وتذيع ما يبعث الخلاف والفرقة بين أمة تدين بدين واحد ، منذ دخل الفاتحون برسالة الله إلى المغرب الإسلامى الكبير .

ولئن كبل الاستعمار أمس أيدى هذه الثورة فلم تنطلق بما تحمل من حق وحجة وبرهان ، فإن النصر الذى أحرزته الثورة المسلحة ، فأنهت به عهود الظلم والظلام ، قد فتح المجال لثورة العلم التى انطلقت تذيع حقائق النصر ، وتكشف عن دسائس الاستعمار الخارجى والاستعباد الداخلى التى أدخلت فى تاريخ المغرب الكبير قديماً وحديثاً .

والمغرب الكبير هو النصف الثانى من العالم الإسلامى ، هذا النصف الذى مد مشعل النور والعلم والحرية ، ومبادئ الكرامة البشرية إلى الغرب ، فاختطف منه عن طريق إيطاليا وأسبانيا وفرنسا .

ثم تنكر له ووقف فى وجهه موقف الوقح الجحود ، الذى تجرد من الحياء والإنسانية ، ثم تجاوز ذلك فرجع إلى هذه الأمة التى مدت له قبس النور والحياة ـ رجع إليها بالبهتان والعدوان وزعم الأستاذية ...

قلت إن ثورة أخرى انطلقت فى الجزائر ، تحطم الظلم ، ظلم التاريخ الذى زيفته أقلام

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تحدو بالنغم الرتيب لجوقة عسكرية تسير في ركاب الاستبداد الذي يعطي كل الحقوق لنفسه ويحرم أصحاب الحقوق من كل حقوقهم .

وكان في طليعة هذه الثورة العلمية هذا الكتاب القيم الذي صدر حديثاً في القاهرة تأليف العالم الأديب الأستاذ « محمد علي دبوز » أحد المحاضرين في معهد الحياة بالقرارة في الجزائر .

قرأت الكتاب فوجدته ثورة لاهبة تكاد تسمع فيه صليل السيوف في ثورات ماضية ، وأزيز القنابل في الثورة الحاضرة التي حطمت القيود ، وطردت الاستعمار ، وأذلت فرنسا الباغية فطأطأت من رأسها وأنزلت من شموخ أنفها ، وجردتها من الغرور .

إن « تاريخ المغرب الكبير » كتاب تاريخ ولكن المؤلف سكب فيه حرارة دمه ، ونبضات قلبه ، وعصارة روحه ، وأجيج عاطفته ، هذه العاطفة الجياشة التي تزخر بالحب وتزخر بالبغض ، وتزخر بالاحتقار .

تزخر بالحب لأولئك الذين حملوا مشعل النور والهداية ، وميزان العدل والحق والحرية والمساواة ، إلى هذا الشعب المغربي الكبير .

وتزخر بالحب لأولئك الذين دافعوا عن هذه المبادئ في مختلف مراحل التاريخ ، فلم تخضعهم الملكية المتسلطة ، ولا الإمارة المتسلطة من أبناء العم ، ولم تقتل فيهم روح الكفاح غطرسة أجانب يعتزون بالقوة ، ويتسلحون بالبغي ، ويعيشون بالدم البشري عيث السباع بدم الفرائس . حتى استخلصوا حقوق الأمة ، وأنهوا عهود الملكية ، وطردوا الاستعمار كما يطرد اللص الحقير فارغ اليدين من بيت عامر بالثروة والمال .

وتزخر بحب الأقلام القليلة التي لم تنخدع بالبريق ، ولم تفتر بالمظاهر فسجلت الحق للحق ، ووصفت الواقع للواقع دون تحيز أو زيغ أو ميلان .

وتزخر بالبغض ، بغض أولئك الملوك الذين جلسوا على كراسي الحكم باسم الدين ، ثم ادعوا لأنفسهم حق التسلط والتملك ، فخانوا الله في أماناتهم ، وعاثوا في مقدرات الأمة ، ينهبون ويسرقون ويقتلون .

وتزخر بالبغض لأولئك الذين منحهم الله قوة في البدن ، وشجاعة في القلب ، وصبراً على المكاره ، فسخروا هذه القوى لعبيد الشهوة ، يزيدونهم بها ترفاً على ترف ، وفساداً على فساد .

وتزخر بالاحتقار لأولئك الذين وهبوا نعمة الذكاء فباعوا ذكاءهم بمتاع قليل من الحياة الدنيا .

وتزخر بالاحتقار لأولئك الذين أوتوا علماً وأقلاماً فانحدروا عن كرامة العلم ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأمانة العلماء ، إلى حواشي للملوك وعمالهم وعملائهم ، يروجون أكاذيبهم وينسبون لهم من الفضل ما هم بعداء عنه ، ويبرئونهم من جرائم قذرة ارتكبوها يأباها عليهم الدين والضمير . فشوهوا نصاعة التاريخ ، وغيروا وجه الحقيقة ، وظلموا من يستحق الشكر والثناء .

عاش المؤلف فى الجزائر يكافح الاستعمار الفرنسى بكل أساليبه وحيـــله ودعاياته وأكاذيبه ، فدرس نفسية الجبابرة ، وعرف مقدار أمانة التاريخ عند ما يسير فى ركاب الظالمين ، ولذلك فقد استطاع أن يتفهم كل العصور التى كتب عنها ، ويعرف صدق الحوادث وزيفها ، كأنما كان يعيش فيها ، ويفرق بين المؤرخين فيعرف من يثق فيهم ومتى ينزع منهم تلك الثقة حسب التوجيه السياسى فى عصر كل واحد منهم .

وعلى هذا الأساس رجع إلى التاريخ القديم يبحث عن الحقيقة فى نفسية الشعوب ورجال الحكم ، ولا يقتصر فى تصحيح التاريخ على أقوال المؤرخين فحسب .

وقد استطاع المؤلف بما أوتى من سعة الاطلاع ، والصبر على الدراسة ، والتنقيب الخفايا ، والدراسة النفسية للمجتمعات ، والدول والأفراد ، استطاع بكل

لينا اليوم مجهوداً رائعا يعتبر

نهضة المغرب الكبير .

وفتحا جديدا فى التاريخ الاسلامى ، هذا التاريخ الذى تضافرت على تشويهه - دون اتفاق - جهود المؤرخين الأقدمين الذين يسيرون حداة فى مواكب الملوك الظالمين ، والحكام المستبدين . وجهود المستشرقين الذين يعرضون خدماتهم على الإسلام بسوء نية ، وخبث طوية . وجهود أولئك الذين يحملون ألسنة فصيحة ، وأقلاما بليغة ، ولكنها مفتونة بالمادية الغربية ، فهم يجهدون أن يستروا جمال الإسلام فى الدولة المسلمة ، وأن يكشفوا عن عيوب ألصقت بالإسلام وليست منه ولا من نظمه ، ثم يدعون إلى فتنة الغرب فى متع الحياة ليغروا بهذا السراب هذا الشباب المتطلع إلى حياة كريمة .

وقد حفل هذا الكتاب الكبير الذى ألفه الأستاذ محمد على فى فترة من تاريخ المغرب . حفل هذا الكتاب بتصوير بشاعة الظلم ، وتنفير النفوس عنه ، كما حفل بالدعوة إلى دراسة تاريخ الإسلام ، التاريخ النظيف . تاريخ المغرب الذى وقف يتحدى الزمن بالصراع الطويل حتى تم له النصر ، فحطم الاستعمار بثورة السلاح ، ونظف البلاد من أدرانه ، وحطم كيد الملوكية والاستعمار فى تشويه حقائق التاريخ بثورة العلم ، فنظف الأذهان من أخطائه وإننا لننتظر من الجزائر ما هو أكبر وأجدى .

على يحيى معمر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أنباء وآراء

حول تراجم الأعلام

كتب أخي الباحث الأستاذ حسن جاد كلمة في عدد رجب عن كتاب « الأعلام الشرقية » جاء فيها أنه منذ الزمن القديم ومعاجم الأعلام تواكب الأيام وتصاحب القرون حتى القرن الثالث عشر ، وذكر الأستاذ معاجم وضعت في تراجم هذه القرون ثم قال إن كتاب « حلية البشر في القرن الثالث عشر » للبيطار يترجم لأعلام القرن الثالث عشر . وإن المكتبة العربية بقي فيها فراغ القرن الرابع عشر يتطلع إلى من يملؤه ، حتى لا يطوى النسيان أعلامه في مجاهل الزمن ، وإن الأستاذ زكي مجاهد قد نهض بهذا في كتابه « الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية » .

ومع تقديري لمجهود الأستاذ مجاهد أحب أن أذكر إنصافا للحقيقة والتاريخ أن المرحوم أحمد تيمور باشا - وهو أشهر من نار على علم كما يقولون - له كتاب عنوانه « تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر » ، وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٣٥٩هـ ١٩٤٠ م ، وقد ترجم فيه المؤلف لطائفة من الأعلام شهدوا جانبا من القرن الرابع عشر ، ومنهم المشايخ : محمد الأشموني ، وحسونة النواوي ، وأحمد الرفاعي ، ومحمد العباسي المهدي ، وعلي البيلاوي ، ومصطفى السفطي ، وأحمد أبو خطوة ، وغيرهم .

رحمة الله على الجميع .

أحمد الشرباصي

تعليق على نقد :

السيد رئيس تحرير مجلة الأزهر

بعد التحية ... والتقدير

في عدد جمادى الآخرة سنة ١٣٨٣ من مجلة « الأزهر » قرأت نقد لكتابي « المرأة في الإسلام » بقلم الأستاذ محمد عبد الله السمان .

ومع أنني من المقدرين لما يكتبه الأستاذ السمان على صفحات الصحف ، وبما يذيعه في البرنامج الثاني ، وبما يخرجه من سلاسل وكتب تنتزع الثناء والتقدير .

مع كل هذا أرجو أن يفسح لي صدره لمناقشته في وجهة نظره ، وأن توسع لي مجلة الأزهر ركنا صغيراً في بنائها السابق أوضح فيه أيضا وجهة نظري .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولن أتعرض للجانب الذى استحسنه الناقد من كتابى ؛ فهذا يعنى أننا متفقان عليه ، ولكنه من ناحية أخرى يدل على أن الأستاذ السمان ليس مغرضا ، فمتى استحسن شيئا أذاعه ؛ ومتى لم يرض عن شيء أزاحه .

لن يضيرنى فى شيء أن الموضوع ، تعاورته مئات المؤلفات كما يقول الأستاذ الناقد ، إذ أننا مازلنا نعيش فى أوضاع مريضة وفعانى سلوكا عفنا . . ولا عجب فى أن نسمع ونقرأ أن « لجنة تعديل قانون الأحوال الشخصية » تجتمع وتوالى اجتماعاتها هى أن تلتمس حلا لتعديل هذه الأوضاع وتخفيف هذا السلوك . وأنها بالفعل قد وضعت مشروع قانون نشرته جريدة الجمهورية يوم ٢٦ مارس سنة ١٩٦٣ .

وكل هذا يعنى أن بيت الطاعة ، وتعدد الزوجات ، والطلاق ، مشكلات نعيشها ، وأنها تستحق مئات المؤلفات حتى نصل إلى حل مقنع يجعل مجتمعنا أسمى من أن تسيره الرغبات والشهوات .

ثم إن عنوان الموضوع ليس ميزانا للكتاب ، وإنما الميزان « جوانية » الموضوع هل هى مسخ مهزوز لآراء السابقين ، أم أنها خلق جديد واضح السمات ؟ !

الأستاذ السمان يرى أنها مخلوق سفاح آباؤها كتب السابقين ، ويستشهد على ذلك بالتمهيد فقد طمست معالمه بالاستشهاد الكثير وشوهت خلقه بالآباء العديدين .

بيد أن من أول شرائط البحث التمهيدى استعراض آراء السابقين ، بصورة حيادية لا تتدخل فيها ذاتية الكاتب ، حتى يتبين الباحث الأرض التى يسير عليها ، وبعد ذلك يحدد موقفه من تلك الآراء ، فقد يخالفها ، ولكنه أحيانا يوافقها ، وهذا ما حدث بالنسبة للتمهيد ، فقد رضيت عن الآراء التى سقتها ، فمن ثقل الدم إذن أن تكون لى شخصية فى أمر أوافق فيه هؤلاء الباحثين تمام الموافقة .

ثم إن التمهيد ليس هو صلب الموضوع ، فما هو إلا تمهيد يشبه « البرنس » الذى يلبسه المولود و « البرنس » قد يدل على الوليد ، ولكنه ليس هو نفسه ولا روحه .

أما روح الكتاب فإنى أزعم أن لى فيه شخصية ، يمكن أن تشتم من نقد الناقد نفسه إذ أنه أقر ما قلته عن بيت الطاعة ، ورفض ما قلته عن الطلاق ، وهذا ينبئ عن أن فى الكتاب شيئا يستحق الإقرار تارة ، ويتعرض للرفض تارة أخرى ، ويمكن أن تلمحها أيضا من عرض البرنامج الثانى لهذا الكتاب مساء ١٩٦٣/١١/٥ . فقد لقى من « مجلة أخبار الأدب » القبول لبعض جوانب شخصيته ، والضيق ببعض هذه الجوانب .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ثم إن الأستاذ السمان يضيق برأي الذي يوجب جعل الطلاق بيد القاضي ، ويكتفي - حرصا على أسرار الزوجية - بإصلاح الحكمين الذين أشار إليهما القرآن .

وكفاه الله شر هذا الضيق ، فإن تدخل القضاء في شئون الأسرة أمر له سوابقه في الشريعة الإسلامية المنظمة ، فمن حق القاضي أن يفرق بين الزوجين بالملاعنة ، وفي حالة إصابة الزوج بالثة أو بغيرها . الخ . فالإسلام يبيح تدخل القضاء في أمثال هذه الأمور ، مع أن بعضها حساس ، كالملاعنة التي يرمي فيها الرجل امرأته بالزنا ، أو ينفي حملها منه ، وكالإصابة بالثة التي تمس جانب الرجولة من الرجل ، فهذه الأسرار الحساسة لا تمنع تدخل القضاء ... إذ أن القاضي - ومن حقه أن يجعل الجلسة سرية - لن يعود عليه شيء في معرفة هذه الأسرار ، ولن يضيق المتخاصمين أن يعرف القاضي عنهما شيئا ، فلا تربطهما به صلة سوى تلك اللحظة القصيرة التي يقفان فيها أمامه ، على أنه إذا كان من حق الحكمين - كما قال الأستاذ السمان : التفرقة بين الزوجين فإنهما في هذا يحتاجان القاضي ، ويصبح الخلاف بيني وبينه خلافا لفظيا ، فليسمهما هو حكمين من حقهما التفريق ولأسمهما أنا قاضياً ومستشاره من حقهما التفريق أيضاً .

وختاما أبدي تقديري للأستاذ السمان ولآرائه ، وشكري لمجلة الأزهر لسعيها المليح في خدمة العلم والدين ؟

عبد الحميد إبراهيم محمد
ليسانس دار العلوم — جامعة القاهرة

ولو أني حبيت الخلد فرداً ... لما أحببت بالخلد انفراد
فلا هطلت علي ولا بأرض ... سحائب ليس تنتظم البلاد

أبو العلاء

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تعازى العالم الإسلامى بوفاة الإمام الأكبر

سلام عليك أيها الإمام الأكبر :

نداء إلى الله كان يصدع به صوتك ، ونداء من الله كانت تستجيب له روحك ، ففى وداع مستبشر من آثار علمك ذهبت إلى الله نفسك ، وبين يدى نور أعمالك اختارك الله إلى جواره .

فسلام الله عليك - أيها الإمام العظيم - عالما ، وسلام عليك داعية إلى الله ، وسلام عليك مجتهداً فى دين الله ، وسلام عليك فى الملأ الأعلى .

كنت على موعد مع لقاء الله ، وكان المسلمون على موعد مع حديثك عن إحدى آيات الله .

كانت روحك تسبح إلى الله ، وكان المسلمون يسبحون فى دلائل القدرة ، وجلال العبرة التى كان يجليها فهمك ويصورها بيانك ، ويجذب القلوب إليها صوتك القوى المؤمن .

فاهنأ بالقبول ، ولك الفوز والكرامة بشهادة صادقة من أثر لك فى الإسلام خالد ، وعمل منك فى سبيل الله عظيم .

قبل وفاته - رحمه الله - بإثنتى عشرة ساعة أو تزيد - أجلس إليه كبير أطبائه يشهده على ما قام به من عمل فى سبيل الله ... قال ووثوق المؤمن بربه المقبل عليه بنفسه : إننى أفنيت العمر فى الدعوة إلى الله ، مفسراً لكتابه ، مبصراً بدينه ، مبلغاً لرسالته لتكون كلمة الله فى كل قلب . لتكون فى قلب الطبيب ، وفى قلب العالم ، وفى قلب السياسى ، وفى قلب الوطنى ... !

قال الطبيب : أشهد والمسلمون جميعاً يشهدون ... قال : الحمد لله .

وانطلق الطبيب من مكانه ، وخلا الإمام الأكبر إلى أهله يوصيهم ويوجههم ... وكلما دعوا له بالشفاء وطول البقاء علت وجهه ابتسامة مؤمنة راضية وقال : إن الروح تعرف طريقها إلى الله ... !!

ولم تنقض الساعة العاشرة من ليلة الإسراء والمعراج حتى عرفت روحه الطاهرة طريقها إلى الله .

ومن الجامع الأزهر الذى تخرج فيه عالما ، مكافحاً عنه ، وفيالله شيعت جماهير المسلمين جثمانه يلفهم جلال الموت وجلال

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

العلم ... جموع من الناس فى موكب الوداع وسيل دافق من الخلق لا يمنعهم من متابعة السير زحام ، ولا يوقف تدافعهم بعد الطريق وطول الزمن ... ولكنهم فى إصرار عنيد أبوا إلا أن يحملوا جثمانه على الأعناق وإلا أن يكونوا بين يدى أعماله فى مستقر الصالحين .

إنها الروح المؤمنة تجد فى قلوب المؤمنين مكانها ، وقداسة العلم تنزل من القلوب منزلها ، وجلال العلماء العاملين يحل من النفوس محل الإجلال والتكريم .

والإمام الراحل عرفته الدنيا بعلمه وعمله ، واجتهاده وفهمه قبل أن تعرفه شيخاً للأزهر بلقبه ووصفه .

عرفه علماء الإسلام على اختلاف مذاهبهم حجة ثبتاً ، وعرف فيه رجال الاجتماع مصلحا فذا ، وعرف فيه رجال القانون والاقتصاد والطب عالما متحرراً ، واسع الأفق ، لطيف الفهم يمزج الدين بالحياة ، ويشد الحياة إلى الدين فليس عجيباً أن يأسى العالم كله لفقده ، وأن يستشعر الخسارة والفراغ بموته ، وأن يتقبل كل مسلم العزاء فيه .

فسلام عليك أيها الإمام العظيم يوم ولدت ويوم مت ويوم تبعث حيا .

محمد النادى البدرى

* * *

كان لوفاة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر رنة أسى تردد صداها فى كل نفس ، ومس وقعها كل قلب ، وأحس الفراغ العظيم بفقده كل مجلس علم ، كان له من اجتهاده نصيب ، وكل مؤتمر كان له من رأيه الناضج وفهمه الصادق حظ ، وكل مشكلة وجدت فى سعة أفقه ونفاذ بصيرته الحل .

وعلى امتداد أربعين سنة أو تزيد عاشت فى جلال نداءاته إلى الله الملايين ، واستمعت إليه محدثا وموجها ومجددا ومجتهدا وقرأت له باحثا فى الدين ومنقبا واستمتعت بسعة علمه وفقهه ، وسماحة بحثه وشجاعة رأيه .

وفى وفاء مؤمن بكته جماهير المسلمين فى كل بلد إسلامى ، وتقاسمت الحزن عليه والعزاء فيه :

فنى جريدة الأخبار كتب الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد تحت عنوان «إمام التوفيق والتقريب» قال :

... كانت رسالته أوفق رسالة لمن يتولى مشيخة الأزهر فى زمانه ، وهو الزمان الذى حق فيه لهذا المعهد الخالد أن يصبح فى العالم الإسلامى كعبته العلمية مع كعبته المقدسة فى مكة المكرمة ، وتلك هى رسالة التقريب بين المذاهب [1] ، وتقدير مواضع الخلاف

(١) كان فضيلة الإمام الأكبر أحد المؤسسين لدار التقريب بين المذاهب الإسلامية فى القاهرة عام ١٩٤٧ م .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بينها بقدرها الصحيح الذى يتنزه مع العلم والإخلاص، وشجاعة الرأى عن جمود التقليد وغلو المحافظة بغير وعى ولا دراية، والذى لا يمنعه عرفان الحق لإمام المذهب أن يعرف للمخالفين بعده حقهم فى التعقيب عليه والموازنه بين صوابه وما ليس بصواب بعد عصره أو فى إبان عصره عن خطأ لا عصمة منه الإنسان ...

ثم قال: ولقد كان يسعدنا الوقت فى الفترات بين مواعيد اللجان أحيانا أن نستمع إلى رأى الشيخ فى خلافات الأئمة، فلا نذكر أننا سمعنا من شيخ من شيوخ الدين رأياً خيراً من هذه الآراء فيما اتفق لها من حرية الفكر، ومن حسن الأدب فى تقدير السلف الصالح، من خالفه منهم، ومن وافقه على سواء».

وكتب الأستاذ محمد زكى عبد القادر قال:

التقيت بالمرحوم الشيخ شلتوت فى أكثر من مجلس وأكثر من مناسبة، وجرت لى معه مناقشات كثيرة عن الإسلام ومضمون دعوته، وفى كل هذه المقابلات والمناجلات لمحت فى الشيخ بصيرة متفتحة، وذكاء وقاداً، وتحرراً لا يبلغ به حد الإعجاب ولم ألمح فيه جموداً عند نص أو حكم، ولكن لمحت دائما رغبة فى التوفيق بين الدين والحياة، إيمانا منه أن الدين هو الحياة.

وفى جريدة الأهرام كتب الأستاذ صلاح دسوقى قال:

«لقد التقيت بالإمام الأكبر على صفحات مؤلفاته، والتقيت به عن قرب، وكان لقائى به فى كلتا الحالتين لقاء إعجاب وإكبار. كنت أراه رجل الحق والحقيقة، رجل السلام والجهاد ... رجل العقيدة والعمل.

كان يؤمن بأن الدين يبارك التطور الإنسانى والتقدم البشرى، وكان يؤمن بأن الدين لا يقف أبداً أمام الاتجاهات التحررية التى يقوم بها البشر من أجل الحياة الأفضل ما دامت هذه الاتجاهات لا تمس جوهر الدين والعقيدة».

* * *

وفى أخبار اليوم كتب الأستاذ كامل الشناوى قال:

«كنت كلما التقيت بالإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت أحسست أنى أواجه تقوى ثائرة تؤمن بالله والإنسانية والحياة. فقد كانت عقليته متفتحة للمعرفة على اختلافها، وكان تبحره فى العلوم الإسلامية وفهمه لحقيقة الدين يثير الانتباه إليه، ولم أعرف بين رجال الدين من يفوقه فى قوة الجدل، وسلامة المنطق، والقدرة على الإقناع، والاستعداد للإصغاء إلى الرأى المعارض بسماحة ذهنية وصدر رحب».

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وفى جريدة «وطنى» كتب الدكتور أحمد عبد المنعم البهى قال :

«كان الإمام الأكبر يرى أن رسالة العالم الإسلامى لا تقتصر على أداء دروسه ، أو إلقاء محاضراته على طلبته فحسب ، فربما كان هذا فى نظره أقل واجباته . أما مهمته الأولى فهى هداية الناس وإرشادهم ونصحهم وتوجيههم بإلقاء المحاضرات وجمع الكلمة والقضـــاء على المنازعات وذلك لا يكون إلا باندماج العالم فى هذه المجالات» .

* * *

وفى جريدة الثورة السودانية :

فقيد الإسلام الشيخ شلتوت :

قضت القاهرة أمس الأول يوما حزينا وانتشر الحزن منها إلى جميع أرجاء العالم العربى والإسلامى لوفاة فقيد الإسلام والمسلمين الشيخ الأكبر والإمام الأشهر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر رحمه الله .

سكت الصوت الذى كان يدوى بنور المعرفة ويجلجل بالدعوة إلى الله ولكن صداه لن يخفت وجرسه لن ينقطع وأثره لن يموت .. سكت القلب الذى كانت تنبعث منه الدعوة إلى ـ الإسلام دين الحياة .

ولكن الحركة التى بعثها لن تهدأ والشرارة التى أوقدها لن تخبو . اختفى وراء الغيب ذلك العقل المؤمن الذى طبع الله فيه العلم وحباه بالحكمة ولكن آثاره ستظل باقية وروائعه ستبقى خالدة .

كان الشيخ محمود شلتوت وارثاً أميناً لتعاليم جمال الدين وشجاعته . وحافظا مؤمنا لفلسفة محمد عبده وجهاده . ولقى بعدهما من عنت القصور واستبداد الحكام وغلو الرجعية مثل ما لقيا فكان مثلهما فى صبره فى تمسكه بالحق فى قيامه بأوامر الدين ووقوفه مع نواهيه مثلهما مجدداً شجـــاعا أقصاه الحكام يوما عن وظائف الدرس وأقصوه عن حرمه المحمى وعرينه الأشب فى صحن الأزهر الشريف ولكنه كان ينافح فى كل مكان ويجاهد فى كل مقام ولا يخضع لذوى المقامات مهما طغوا .

إلى أن عاد إلى مكانه فى الأزهر ومقامه فى معاهده واعتباره بين المسلمين مع ثورة الشعب العربى .. فى نطاق قضائها على جمود الفقه وركود العقل واستغلال الدين ..

لقد حرر الشيخ شلتوت رحاب الأزهر فدخلته الفتاة . ووسع مجال هدايته فجاء إليه شباب أوربا وأمريكا .. ورفع صوته فبلغ مشارق الأرض ومغاربها .. وأوضح سبيل الدين فوجدت كل دعوة جديدة أصولها فيه وانتماءها إليه .. رحمه الله وعوض الأمة الإسلامية عن فقده الضخم .

وفى جريدة الرأى العام السودانية :

رحم الله العالم الجليل الشيخ شلتوت ..

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تتلمذنا عليه عن بعد ومن زمن طويل منذ أن بدأ يكتب فى مجلة الرسالة فى عهدها الأول الزاهر ، يكتب عن الدين بأسلوب جديد مشرق ويعرض قضاياه الفقهية فى تبصر وفهم لأصولها ، وتبصر وفهم لقضايا الحياة الاجتماعية المتجددة من حوله ، ذلكم هو العالم العامل الجليل محمود شلتوت التى نعته الأنباء يوم أمس الأول والذى شاء الله له أن يغادر هذه الدنيا فى يوم من أيام الإسلام المقدسة ، فى ليلة الإسراء والمعراج .

وما أحسب أن عالما من علماء الدين الإسلامى جذب اهتمام الناس إليه وحببهم إليهم الدراسات الدينية كهذا العالم الجليل الذى فقدناه بالأمس لما امتاز به من فهم عميق لشئون دينه ونظرة حرة صادقة لهذه الشئون ، فكل ما جاز فيه أعمال الرأى والاجتهاد لم يتردد فى أن يعمل رأيه ويجتهد ، رائده فى ذلك مصلحة المسلمين وتحقيق الخير لهم يساعده فى أعمال الرأى ثقافة إسلامية واسعة النطاق ، وعلم واسع أحاط بدقائق الفقه الإسلامى وبآراء من سبقوه ممن يعتد بهم من الباحثين والعلماء .

وقد خلف وراءه - رحمه الله رحمة واسعة وأثابه الجنة - مكتبة إسلامية عظيمة تتحدث بمدى علمه الغزير وآرائه الثاقبة ، فما من موضوع أثار نقاشاً واهتم به الناس إلا تصدى له بالقول الفصل عن دراسة صالبة وبحث على مستوف وقدم فيه كتاباً يعتبر مرجعاً لهذا الموضوع .

وهو فى كل ما يكتب يؤكد حقيقة هذا الدين الذى يصلح لكل زمان ومكان ، وإنه دين ودنيا ...

ولعل القراء يعرفون أنه بدأ فى تفسير القرآن وأنه أكمل حتى الآن تفسير العشرة الأوائل من القرآن ، وماكان أروعه من تفسير دقيق على مبسط يقرب فهم آى القرآن لكل ذى فهم عادى .

وكم تمنينا لو امتدت به الأيام حتى يكمل أداء هذه الرسالة السامية ويصدر تفسيره الكامل للقرآن كله ... ولما كان أجدره بتحقيق هذه الرسالة وأخلقه بها .

والمغفور له الشيخ شلتوت يذكرنا بهؤلاء العلماء الأفذاذ الذين برزوا فى التاريخ الاسلامى أخيراً ، كجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده رحمهم الله جميعاً ، الذين تعمقوا فى فهم رسالة الدين وأحاطوا بدقائق الرسالة الاسلامية واجتهدوا فيما يحق فيه الاجتهاد ، وأثار ذلك عليهم سخط الذين يكرهون التطور فى أى صورة جاء ويفسرون كل ما اختلف فى فهمه أو لم يرد فيه نص جازم بما يوحى بالجمود والوقوف عند صورة معينة من الحياة الاجتماعية لم يعد لها وجود فى واقع الناس .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وسيظل اسم هذا الرجل العظيم خالداً فى التاريخ من بين الشوامخ الذين يهتدى بهم المصلحون ، ويحذون حذوهم ، وهم يحملون رسالة الدين الذى يصلح لكل زمان ومكان .

وستكون كتبه العظيمة التى خلفها بعده مدرسة كاملة لطلاب المعرفة والباحثين عن الحقيقة كلما أبهم عليهم شأن من شئون الدين ، أو دار خلاف حوله .

وإلى رحاب الخلد روحه الطاهرة لقاء ما قدم للدين الاسلامى والمسلمين من جهاد صادق لانارة الطريق لسالكيه ، وتحبيب هذا الدين للقلوب ، وارتباطه بكل جديد نافع فى حياة الناس .

* * *

بهذه الكلمات المخلصة نعى الكتاب الإمام الأكبر إلى العالم الإسلامى ، وبهذه العبارات الملتاعة بعث ملوك ورؤساء الدول الإسلامية برقيات التعزية إلى مشيخة الأزهر ، وأسرة الإمام الأكبر . كما ورد لدار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة كثير من الرسائل والبرقيات التى تواسى فى فقيد الإسلام ورجل التقريب وفيما يلى بعض برقيات رؤساء الدول والهيئات العربية والإسلامية .

قال الرئيس عبد السلام عارف رئيس جمهورية العراق : إن فقدان الشيخ شلتوت مصيبة عمت العروبة والإسلام ، نشاطركم الأسى ، وباسمى وباسم الشعب العراق نقدم تعازينا لكم ولأسرة الفقيد بل وللعروبة والإسلام سائلين البارى أن يسكنه الجنان وللجميع الصبر والسلوان .

* ومن الهيئة العلمية الإسلامية بالقدس :

لقد فجع العالم الإسلامى بوفاة علم من أبرز أعلام الإسلام ، المرحوم العلامة فضيلة الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر الذى وقف حياته على خدمة الإسلام ودفع الشبه عنه ، وبين حكم الله فى كثير من الأمور التى كان يحيط بها الخفاء بفضل آرائه السديدة وأفكاره الثاقبة ، فعزاء العلم وأهله والأمة جميعها ، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين وعن الإنسانية كلها خير الجزاء .

* ومن مؤسسة التربية الإسلامية بأندونيسيا :

فى هذه الأوان العصيبة الحرجة التى تعانى فيها الفكرة الإسلامية شتى ألوان الضغط والتى تزيغ فيها أبصار المسلم العادى باحثة عن المنقذين فى أشخاص الرواد الذين لا يجود بهم الزمان إلا نادراً ، فى هذه الآونة تلقينا نبأ انتقال فضيلة الإمام الأكبر محمود شلتوت إلى جوار الرفيق الأعلى ، فكان نبأ موجعاً للقلب ، ومزلزلا لكيان أولئك الذين يحملون نفس الرسالة ، ويسيرون فى نفس الاتجاه ، كما كان له وقع حزن فى مؤسسة التربية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الاسلامية التى ما تزال تذكر أياديه البيضاء عليها بالشكر والتقدير والعرفان .

* * *

ومن جامعة مدينة العلم ببغداد :

إن جامعة مدينة العلم المفجوعة بفقد إمامها الشيخ الخالص قدس الله سره تعزى الأزهر الشريف بفقيد العلم والدين الشيخ محمود شلتوت صنو إمامنا الراحل فى الدعوة إلى وحدة المسلمين تغمدهما الله برحمته الواسعة ، ووفق المسلمين للسير على نهجهما فى الاعتصام بحبل الله المتين .

* * *

ومن الكلية الإسلامية العليا بالملايو :

لست أدرى كيف أكتب معزيا فيمن مصيبتنا فيه مصيبة الإسلام ، وفجيعتنا بموته فجيعة المسلمين ، ولكن مما يسرى عنها قليلا أن الله تعالى قبض إليه تلك الروح الكريمة يوم ذكرى الاسراء والمعراج المباركة ، وما نتوقعه له عنده تعالى جزاء ما قدمت يداه للإسلام والعلم من إرشادات ومعارف يسترشد بها ملايين المسلمين ،

* * *

ومن علماء الشيعة بالعراق أبرق سماحة الإمام السيد محسن الطباطبائى الحكيم :

فاجعة الأزهر الشريف بوفاة شيخه الجليل خسارة نسأل الله تعالى أن يتداركه بلطفه ، تعازينا للعلماء الأعلام ، ونبتهل إلى الله أن يحملهم كما يريدهم الإسلام فى الهداية والإرشاد.

* * *

وقال سماحة العلامة السيد محمد الشيرازى :

نعزى رجال العلم والدين لفقد العلامة الأكبر الشيخ محمود شلتوت ونسأل الله تعالى أن يجعل خلفه حاذيا حذوه فى الاهتمام بجمع الكلمة

* * *

وأبرق سماحة العلامة السيد كاشف الغطاء :

نشاطركم الأسى والأسف لفقد الإمام الراحل .

* * *

ومن علماء الشيعة بإيران أبرق سماحة العلامة الامام السيد كاظم آل شر يعتمدارى قال :

لقد خسر الاسلام والمسلمون عالما كبيرا هو الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .

* * *

وقال سماحة العلامة السيد محمد هادى الحسنى الميلانى :

خسر العلم ركنا من أركانه بوفاة سماحة العلامة الشيخ محمود شلتوت نشاطركم المصاب وبكم السلوى ، وفقكم الله لخدمة الإسلام .

جماعة المسلمين الأمريكية فى توليدوا وأوهيو يبعثون إليكم بحزنهم العميق

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويشاطرونكم الحزن لفقد الإمام الأكبر محمود شلتوت .

* * *

فوجئت بعد منتصف الليل بإذاعة القاهرة تعلن وفاة طود العلم الراسخ . والمجد الشامخ شيخ الإسلام وعلم الأعلام . وقدوة الأنام وأحد أولياء الله الكرام .

اصبرنا الله وإياكم ورحمه الله وغفر له ورضى عنه وقدس روحه فى أعلى فراديس الجنان

شيخ الإسلام
إبراهيم نياس
السنغال ـ كولاخ

* * *

إننا نشاطر الأزهر حزنه العميق لفقد شيخه الجليل محمود شلتوت وقد كرسنا جزءا من دروسنا ومحاضراتنا لتأبينه والإشادة بفضله وعرض تراثه الخصيب .

ودعواتنا أن يعوض الله العالم الإسلامى عن فقده خيرا .

الفاضل بن عاشور
عميد الكلية الزيتونية ـ تونس

* * *

جمعية الهداية والإرشاد الإسلامية ببيروت وقد أصابتها الكارثة بفقد علم من أعلام الإسلام ناضل عنه بقلمه ولسانه تتطلع إلى العلى القدير أن يكون الخلف كالسلف فى توحيد كلمة الإسلام وتوحيد صفوف المسلمين .

أمين السر
حسين الخطيب

* * *

ارتحل العلامة الشيخ محمود شلتوت إلى جوار ربه الكريم فقد الإسلام ابنا بارا وفقد المسلمون زعيما مخلصا طالما دعا إلى الوحدة الإسلامية .

نرجو الله أن يستخلفه من يقفو أثره ويتابع رسالته ؟

كراتشى ـ نيو تان

الشيخ محمد
رئيس علماء العشيرة الإسلامية

* * *

تلقى مسلمو الاتحاد السوفيتى خبر وفاة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت بالحزن العميق ، أسكنه الله فسيح جناته وبارك مثواه ، وإن المسلمين بالاتحاد السوفيتى يعتبرون فقده خسارة عظمى للعالم الإسلامى ويعزون أساتذة الأزهر وتلاميذه وجميع أفراد الأسرة الكريمة .

المفتى
زين الدين باباخان

* * *

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تقبلوا خالص العزاء من الجماعة الإسلامية وشعب باكستان لفقد العالم الكبير الشيخ محمود شلتوت رحمه الله رحمة واسعة

لاهور - توفيق محمد
سكرتير عام الجمعية الإسلامية
لاهور - باكستان

* * *

كان لوفاة الأستاذ الأكبر العلامة الشيخ محمود شلتوت وقع أليم وحزن عميق وخسارة عظيمة حلت بالعالم الإسلامى والعربى، وإننى وجميع علماء سورية نشاطركم الأسى فى هذا المصاب الأليم .

تغمد الله الفقيد الراحل بواسع رحمته وعوض المسلمين والعرب خيرا بفقده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

عبد الرازق الحسنى
المفتش العام للجمهورية السورية

* * *

كشف

بأسماء السادة رؤساء الروابط الاسلامية وأساتذة الجامعات الأجنبية ورؤساء العشائر الذين شاركوا فى تعزية مشيخة الأزهر والأسرة فى فقد الإمام الأكبر

١ — الدكتور ذاكر حسين - نائب رئيس جمهورية الهند .

٢ — السيد / فالترفيبر - سفير جمهورية ألمانيا الاتحادية بالقاهرة .

٣ — السيد / محمود عزيز صيرفجار - رئيس جمعية الطلبة الأندونيسيين بالقاهرة .

٤ - فضيلة زين الدين باباخان - مفتى طشقند - الاتحاد السوفيتى .

٥ — السيد / لمين علام - الجمعية الاسلامية الموريتانية .

٦ — السيد / حسن السعيد - مسجد طهران .

٧ — الأستاذ أبو الحسن على الندوى - لكناو .

٨ — فضيلة الشيخ محمد - رئيس علماء العشيرة الاسلامية - كراتشى - نياناون .

٩ — الأستاذ حسيم عيرى - رئيس الجمعية الاسلامية - قرطبة .

١٠ — الأستاذ السيد كاظم الشيرازى (قطر) .

١١ — صاحب السعادة محمد أمين أزهرى - القائم بأعمال سفارة أندونيسيا .

١٢ — رئيس جمعية رابطة العلماء ببغداد .

١٣ — الأستاذ أمين السر حسين الخطيب - بيروت .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

١٤ — الفاضل بن عاشور ـ عميد الكلية الزيتونية بتونس .

١٥ — عميد كلية الفقه ـ بغداد .

١٦ — الأستاذ عبد العزيز الشواف ـ رئيس جمعية الهداية الإسلامية ـ بغداد .

١٧ — الأستاذ إسماعيل الأيوبى ـ بغداد .

١٨ — الأستاذ محمد الشيرازى ـ كربلاء .

١٩ — الأستاذ محسن الطبطائى الحكيم ـ نجف .

٢٠ — الأستاذ الدكتور ى ف . فوبك ـ مدير معهد الاستشراق ـ جامعة جوتنبرج (ولين) .

٢١ — سعادة بون شان بلاك ـ سفير كمبوديا ـ القاهرة .

٢٢ — غبطة بطريرك الأبرستولية المسيحية ـ القاهرة .

٢٣ — سعادة رازى ميرز سيدور ـ سفير بولونيا ـ القاهرة .

٢٤ — سكرتير بطريركية الأرمن الكاثوليكية الآب يوسف صباً ـ القاهرة .

٢٥ — غبطة اسطفانوس الأول ـ بطريرك الأقباط الكاثوليك ـ القاهرة .

٢٦ — غبطة البطران بطرس هيرا مطران طائفة الغربال ـ الكاثوليك ـ القاهرة .

٢٧ — سعادة سفير إيطاليا ـ القاهرة .

٢٨ — سعادة سفير يوغوسلافيا ـ القاهرة .

٢٩ — الدكتور لوثر رائمان ـ مدير معهد كارل ماركس للاستشراق ـ ليبزج ـ ألمانيا .

٣٠ — سعادة فلاديمير بوردانوف ـ مدير المركز الثقافى السوفيتى ـ القاهرة .

٣١ — سعادة سفير بورما ـ القاهرة .

٣٢ — الدكتور اسكندر أبادير ـ سمالوط ـ المنيا .

٣٣ — أسرة مدرسة الفرنسيسكان البنين ـ الفيوم .

٣٤ — غبطة البابا كيرلس السادس ـ بطريرك الأقباط الأرثوذكس ـ الأسكندرية .

٣٥ — سعادة سفير بريطانيا .

٣٦ — سعادة سفير الهند .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فتاوى مختارة ..

باب يقدمه:

ابراهيم محمد الأصيل

[الإجابة للجنة الفتوى بالأزهر ولفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود عميد كلية أصول الدين]

في ذمة الله :

على هذه الصفحات من المجلة طالما طالع السادة القراء أجوبة - لفضيلة الإمام الراحل الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر - كانت رشداً للحائر وهدياً للمتردد ، وجواباً شافياً للسائل ، فحق على الباب أن ينعى فيه علماً من أعلام الحق ، ومناراً أشع بالهدى والعلم ، وأضاء بالموعظة والحكمة واستضاء بالكتاب والسنة .

أسلم - رحمه الله - الروح في ليلة من ليالي الله المعدودة بعد حياة كريمة حافلة بالتحصيل النافع ، والجهاد الدائب ، والتبيين الواضح ، والشرح المستفيض ، مع إجمال إعمال الفكر ، وإجالة الرأي فيما - بحق - في الأئمة المجتهدين - ولقد شيع جثمانه الطاهر الخاصة والعامة ، وبكاه القريب والبعيد وصعدت مع الزفرات عليه دعوات حارة له ، فنتوجه بأسى مع الداعين إلى المولى جل وعلا أن يجزل له المثوبة في جواره ، ويفيض عليه من رضوانه ، ويوفق ما قدم لأمته من خير ، وبذل في سبيلها من جهد . هذا وسنوالي إن شاء الله من حين لآخر نشر مختار من فتاويه المدونة في المسائل التي يستفسر عنها السادة القراء وعرض فضيلته لها من قبل بالاجابة والتفصيل .

السؤال

ما حكم شرب البيرة والاتجار بها - وشرب الكينا للتقوية والتداوي بالخمر ؟

اسماعيل عبد الرحمن اسماعيل - القوات المسلحة

الجواب :

جاء في تقرير المؤتمر الدولي لمكافحة المسكرات عام ١٩٣٩ عن البيرة قوله :

« إن إنتاج هذا الشراب وغيره من أنواع الخمور لا يستفيد منه إلا صانعه وبائعه ، أما ضحاياه فهم : أولئك الذين أغوتهم الأهواء بإدمانه وتعاطيه » .

لقد اعتبر هذا المؤتمر أن البيرة من أنواع الخمر وهي على كل حال حسبما تذكر التقارير تحتوي على نسبة من الكحول تتفاوت كثرة وقلة . وإذا لم يكن قليلها مسكراً فكثيرها لا شك مسكر . وقد قال صلوات الله عليه فيما رواه الإمام أحمد وابن ماجه والدارقطني « ما أسكر كثيره فقليله حرام » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقد روى البخارى ومسلم « أن رسول الله عليه وسلم حرم المزر ، وهو شراب كان يتخذه أهل اليمن من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد ، وهذا نص فى البيرة فيقول صلوات الله عليه فيما رواه ابن ماجه « إن من الحنطة خمرا ومن الشعير خمرا » . وروى مسلم وغيره من ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كل مسكر خمر وكل مسكر حرام » من هذا تبين أن البيرة خمر ، وأنها حرام .

وكذلك حكم الكينا المخلوطه بالخمر ، ولا عبرة باختلاف الأسماء ، فقد قال صلوات الله عليه : (يشرب ناس من أمتى الخمر يسمونها بغير اسمها) .

أما الاتجار فيها فهو داخل فى نطاق اللعنة التى صبها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « لعنت الخمر على عشرة أوجه : بعينها وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها وشاربها وساقيها .

أما شربها للتداوى : فقد سأل طارق بن سويد الرسول صلى الله عليه وسلم عن الخمر يصنعها للدواء ، فنهاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك وقال هذه الكلمة التى هى الحكمة كل الحكمة : إنه ليس بدواء ولكنه داء .

وفيما رواه ابن ماجه فى صحيحه قوله صلوات الله عليه : إن الله لم يجعل شفاؤكم فى حرام » .

(أجاب عن هذا السؤال فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود عميد كلية أصول الدين) .

المسح على اللزقة :

السؤال :

هل يمنع وجود اللزقة الأمريكانية على الجسد بمكان به ألم من رفع الجنابة إذا أراد الإنسان الغسل منها ؟

عبد الصمدى ـ اسكندرية

الجواب :

مذهب الحنفية يجب على الجنب غسل كل جزء من أجزاء البدن ، فإن ضره الغسل بالماء مطلقا ولو ساخنا مسح الجزء الذى يضره الغسل ، فإن ضره مسحه أيضا مسح على الجبيرة أو الخرقة ومثلهما اللزقة ، فإن ضره المسح على ذلك أيضا سقط عنه هذا الواجب وبهذا يعلم حكم هذه الحادثة فإنه إن ضره غسل موضع اللزقة وضره أيضا مسحه أو ضره حلها ، ليغسل ما تحتها أو يمسحه ، مسح على اللزقة ، فإن ضره المسح عليها لم يجب عليه شىء بالنسبة إلى هذا الموضع ، ويكفى فى معرفة الضرر التجربة أو إخبار طبيب موثوق به ولو غير مسلم ، على ما ذهب إليه بعض العلماء .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مدة الحمل التي ينتهي بها زوجها اعتداد الحمل :

السؤال :

امرأة توفي زوجها منذ سبعة أشهر والآن لم تخرج من عدة الوفاة بسبب حمل موهوم لازمها زمناً طويلا إذ تدعي هذه السيدة أن الحمل ضاع في ظهرها في حياة زوجها أكثر من سنتين .

وبناء على دعواها تكون مدة الحمل الموهوم سنتين وسبعة أشهر ولم يحصل عليها أثر هذا الحمل لا في بطنها ولا في ظهرها كما تدعي .

فنرجو التكرم ببيان المدة التي تنتهي فيها عدة وفاة امرأة توفي زوجها ؟

عثمان صالح عمر - أرتريا

الجواب :

دعوى هذه المرأة وجود حمل عندها طول هذه المدة سنتان وسبعة شهور مع عدم ظهور آثار الحمل تعتبر من قبيل الدعاوى المشكوك في صحتها ، خصوصاً أنها تقول إن الحمل انتقل إلى ظهرها وذلك أمر غير معروف .

وعلى هذا يجب عرضها على أهل الاختصاص من رجال الطب العدول فإذا تبين أنها حامل أو غير حامل أمكن تطبيق الحكم الشرعي عليها فيما يتعلق بانتهاء عدتها أو عدم انتهائها .

بناء القبور بالآجر :

السؤال :

جرت العادة في سيام على بناء قبور الموتى من الطوب الأحمر - وذلك صيانة لها من تسرب مياه الأمطار الغزيرة إليها . ثم يقام بناء من نفس الطوب فوق القبور لحمايتها من المطر وفي الغالب يجعل جزؤها الأعلى من الأسمنت .

وقد اختلف المسلمون هنا في شأن الطوب الأحمر المحروق لأنه دخل النار - فقال فريق منهم لا ينبغي أن يبنى قبر الميت بشيء دخل النار - وبناء على ذلك أوقف دفن الموتى في هذه القبور التي تم بناؤها حتى يأتي لنا رأي في جواز الدفن فيها أو تحريمه .

لقمان مايولين - سيام

الجواب :

الشافعية لا يفرقون بين اللبن وغيره ومنه الآجر أي الطوب المحروق في بناء القبور .

وأما الحنفية والحنابلة فقد كرهوا البناء بالآجر كراهة تنزيه إلا إذا كان منع تسرب المياه متوقفا على البناء به فعند ذلك يجوز بلا كراهة

وأما بناء قبر فوق الأرض فنص الشافعية على حرمته إذا كان في أرض غير مملوكة وعلى كراهته إذا كان في أرض مملوكة وعند الحنفية يكره بناء القباب على ما نقله ابن عابدين .

ومن ذلك يعلم أن الأجدر بالمسلمين أن يتبعوا في القبور السنة النبوية ولا يبنوا قبابا أو نحوها فوق القبور التي في المقابر العامة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بين الصحف والكتب

اختيار وتعليق : عبد الرحيم فوده

ترجمة القرآن

وكانت ترجمة القرآن العظيم إلى غير لسانه العربي وهما يطوف بالأحلام ، ونجوى يتخافت بها المتناجون في الظلام ، حتى ضجت الجوانح والقلوب حينما أمر بالترجمة ودعا إليها إمام من أئمة المسلمين كان شيخاً للجامع الأزهر ، إذ دعا دعوته إلى الترجمة فثارت أمام دعوته عواصف قاصفة ، وزوابع هاتفة ، وإذا بعلماء يكتبون ويطبعون وينشرون تقدم الدعوة إلى الترجمة وزرايتهم عليها ، وبدا الإمام غضبان أسفا ، فلم يكن النقد قاصداً ، ولم تكن المجادلة بالتي هي أحسن

ولما هدأت العواصف ، وسكنت الزوابع وتهافتت ثائرة المعارضين ، ولما سكت عن الإمام الغضب ، وكنت أصفيه مودة صدق ، وكان كريما أثيرا لدى ، سألته ولم أكن ظاهرته ولا ظاهرت عليه ، كأنما أستشيره وأستنصحه .

أيرى أن لدعاة ترجمة القرآن إلى اللغات الأعجمية قدرة تنقل إلى العجمة ديباجة القرآن في صفائها وجلائها ، وأسلوبه في براعته وروعته ، ونصح القرآن في حكمته وهدايته ، ووعظه في قوته ومتانته ، وزجره في شدته ونقمته ، وتبشيره في حسنه وحليته . . ؟

وهل يقدرون أن ينقلوا إلى الأعجمية قوله الحق ووعده الصدق ، وكلماته في فصاحتها وبلاغتها ، وقصصه في رونقه وبهائه ، إلى حديثه بالغيوب ، وإلى آيات أحكامه في جليل حكمتها وعلو آدابها ، وإلى إعجازه بكل أولئك للناس ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . « وإنه لتنزيل من رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين » . .

وهل في الأعجمية بيان العربية ، وهل تنفتح على قارئ التراجم ما يتفتح على الذين يتلون كتاب الله كلما تلوه من كنوز الهداية والحكمة ومن جواهر المعاني كأنها كوكب درى وكأنها اللؤلؤ المكنون . وكأنها الياقوت والمرجان ؟ أوهل تنغلق هذه الكنوز وترتج أبوابها . فلا تنفتح إذا جدت الترجمة على المعنى الذي فهمه المترجم حقا أو باطلا ، جليلا أو ضئيلا ، « وإنه لكتاب عزيز ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .

أو ليست ترجمة القرآن إلى الأعجمية باطلا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قضى الله ألا يأتى كتابه العزيز من بين يديه ولا من خلفه ..؟

وأنصت الإمام يستمع رزينا مطمئنا ، ثم أجاب فى وقاره وسكينته (وددت) أن يوضع كتاب جامع فى دين الإسلام تكون ترجمته لغير اللسان العربى أيسر وأقرب من ترجمة القرآن العظيم .

الأستاذ عباس الجمل

من كتابه آية البر

التعليق : إن ترجمة القرآن إلى غير اللغة العربية باطل قضى الله ألا يأتى كتابه من بين يديه ولا من خلفه . كما قال صاحب هذه الكلمة ـ رحمه الله ـ وقد انعقد الإجماع على استحالة هذه الترجمة . وكل ما كان يقال كان يدور حول ترجمة تفسير القرآن كما انتهى إلى ذلك الرأى وحتى ذلك الرأى قضى الله أن يظل مجرد رأى فى مصر ، بلد الأزهر وعلوم القرآن .

خلف كل شىء ..

لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة جاء صاحب الشرطة ليسير بين يديه بالحربة على عادته مع الخلفاء قبله ، فقال له عمر : مالى ولك ؟ تنح عنى ، إنما أنا رجل من المسلمين ثم سار وساروا معه حتى دخل المسجد فصعد المنبر ، واجتمع الناس إليه فقال : أيها الناس ، إنى قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأى كان منى فيه . ولا طلب له . ولا مشورة من المسلمين ، وإنى قد خلعت ما فى أعناقكم من بيعتى ، فاختاروا لأنفسكم ولأمركم من تريدون ، فصاح المسلمون صيحة واحدة : قد اخترناك لأنفسنا وأمرنا ، رضينا كلنا بك ، فلما هدأت أصواتهم حمد الله وأثنى عليه وقال : أوصيكم بتقوى الله . فإن تقوى الله خلف كل شىء وليس من تقوى الله خلف ، وأكثروا من ذكر الموت فإنه هادم اللذات ، وأحسنوا الإستعداد له قبل نزوله ، وإن هذه الأمة لم تختلف فى ربها ولا فى كتابها ولا فى نبيها ، وإنما اختلفوا فى الدينار والدرهم ، وإنى والله لا أعطى أحداً باطلا ، ولا أمنع أحدا حقاً

للأستاذ أحمد حمدان عبد الوهاب

من مجلة نور اليقين ـ بغزة

ليلة النصف :

فليلة النصف لم يصح فى صلاتها حديث ، والاجتماع لإحيائها فى المساجد وغيرها لم يفعله النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وحديث النزول فيها إلى السماء الدنيا راويه وضاع ، ودعاؤها الذى يتلقنه الناس بعضهم من بعض ويحفظه متعلمهم وجاهلهم على خلل فى التلقين دعاء يحتوى على أمرين كلاهما يؤدى إلى تفسير القرآن بما لا يشهد بصحته نقل ولا عقل .

المرحوم الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت

أحمد الشنتناوي / مكتبة العربية

فهرس

صفحة

٦٤١ الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت
للأستاذ أحمد حسن الزيات

٦٤٦ الموفق الموفق الإمام المصلح محمود شلتوت
للأستاذ عباس محمود العقاد

٦٥١ صفحة بيضاء من جهاد محمود شلتوت في سبيل الإصلاح الديني والتقريب بين المسلمين
للأستاذ محمد محمد المدني

٦٥٢ ملك التتار يعتنق الاسلام طوعا
للأستاذ محمد رجب البيومي

٦٦٣ مع البلاغيين ابن قتيبة الناقد
للأستاذ علي العماري

٦٦٩ رسالة المسجد في نشر الثقافة والحضارة
للأستاذ أحمد الشرباصي

٦٧٣ المنافق يحيد عن الحق ويشكك في العدالة
للأستاذ عبد اللطيف السبكي

٦٧٨ شيخي محمود شلتوت
للأستاذ محمود الشرقاوي

٦٨٣ عجل الذهب الذي عبده بنو إسرائيل
للاستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي

٦٨٦ من معاني القرآن للأستاذ عبد الرحيم فودة

٦٨٩ تطور التصوف للأستاذ محمد إبراهيم الجيوشي

٦٩٣ الأوزاعي عالم أهل الشام
للأستاذ محمد عبد الله السمان

٦٩٧ حياة سلمان الفارسي وإسلامه
للأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

٧٠٢ صوت من بغداد جامعة الدين وجامعة اللغة
للأستاذ الدكتور محمد محمد أبو شهبة

٥٤١ المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام ـ ٧ ـ
للأستاذ عبد الرحيم فودة

٧٠٩ من مؤلفات الإمام الراحل : الإسلام عقيدة وشريعة
للأستاذ عبد الجليل شلبي

صفحة

٧١٢ الملاحم والمطولات الإسلامية في الشعر العربي ـ ٣ ـ
للدكتور سعد الدين الجيزاوي

٧١٧ الأزهر وقضايانا القومية
للأستاذ محسن عبد الحي

٧٢١ عبد القاهر الجرجاني وآراؤه في الشعر والشعراء ـ ٢ ـ
للأستاذ الدكتور أحمد أحمد بدوي

٧٢٦ على الحدود . . . بين دولتين وحضارتين
للأستاذ فتحي عثمان

٧٣٠ الثورة الثقافية في الإسلام
للأستاذ حسن فتح الباب

٧٣٦ ما يقال عن الإسلام : أسبانيا المغربية
للأستاذ عباس محمود العقاد

٧٤٠ في عيد النصر : تحية لبور سعيد (قصيدة)
للأستاذ حسن جاد

٧٤٢ فقيد الإسلام : (قصيدة) الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت للأستاذ حسن جاد

٧٤٤ الكتب : الحياة الأدبية في ليبيا تأليف الدكتور محمد طه الحاجري عرض وتحليل الأستاذ فوزي عبد القادر الميلادي

تاريخ الغرب الكبير : تأليف محمد علي دبوز عرض وتقديم الأستاذ علي يحيى معمر

٧٥٩ أنباء وآراء : حول تراجم الأعلام ـ تعليق على نقد

٧٥٤ تعازي العالم الإسلامي بوفاة الإمام الأكبر

٧٦٤ الفتاوى : للأستاذ إبراهيم محمد الأصبل
الباب يرثي الإمام الراحل ـ ما حكم شرب البيرة والسكينا والانجار بهما ـ المسح على اللزقة ـ عدة المتوفى عنها زوجها مع ادعاء الحمل ـ بناء القبور بالآجر

٧٦٧ بين الصحف والكتب : ترجمة القرآن ـ خلف كل شيء ـ ليلة النصف .

مطبعة الأزهر

الثمن أربعون مليما